


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة مولود معمري تيزي وزو

قسم اللغة و الثقافة الامازيغية


أطروحة الدكتوراه

تخصص:اللغة و الثقافة الأمازيغية

فرع:الحضارة(تاريخ)

الموضـــــــوع:

# مملكة كوكو ونظامها السياسي و العسكري


إعداد:علي بن الشيخ

إشرا ف :الأستاذ ستار أوعثماني


أعضاء لجنة المناقشة :

1- محند أكلي حديبي،أستاذ محاضر،بجامعة مولود معمري،تيزي وزو،رئيسا

2- ستار أوعثماني،أستاذ بجامعة عبد الرحمان ميرة،بجاية،.مشرفا و مقررا

3- حميد أيت حبوش ،أستاذ محاضر،جامعة السينية وهران،عضوا مناقشا

4-حورية عبد النبي،أستاذة محاضرة،بجامعة مولود معمري،تيزي وزو،عضوا مناقشا

5-محمود أيت مدور،أستاذ محاضر،بجامعة عبد الرحمان ميرة،بجاية ،عضوا مناقشا


السنة الجامعية : 2017- 2018




الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة مولود معمري تيزي وزو

قسم اللغة و الثقافة الامازيغية


أطروحة الدكتوراه

تخصص:اللغة و الثقافة الأمازيغية

فرع:الحضارة(تاريخ)

المـــــوضـــــــوع:

# مملكة كوكو ونظامها السياسي و العسكري


إعداد: علي بن الشيخ

إشراف: الأستاذ ستار أوعثماني

أعضاء لجنة المناقشة :

1-محند أكلي حديبي،أستاذ محاضر،بجامعة مولود معمري،تيزي وزو،رئيسا

4- ستار أوعثماني،أستاذ بجامعة عبد الرحمان ميرة،بجاية،.مشرفا و مقررا

2- حميد أيت حبوش ،أستاذ محاضر،جامعة السينية وهران،عضوا مناقشا

4-حورية عبد النبي،أستاذة محاضرة،بجامعة مولود معمري،تيزي وزو،عضوا مناقشا

5-محمود أيت مدور،أستاذ محاضر،بجامعة عبدالرحمان ميرة،بجاية،عضوا مناقشا



السنة الجامعية 2017-2018

# إهـــــــــــــداء

أهدي هذه الأطروحة إلى روح والدي اللذان تعبا كثيرا من أجلي، وإلى زوجتي التي شجعتني على إنجاز هذه الأطروحة و إلى ولدي طارق و سعيد و إلى كل العائلة.

أشكر الأستاذ المشرف ستار أوعثماني الذي استفدت كثيرا من توجيهاته والدكتور محمد أرزقي فراد الذي قدم لي وثائق تايخية هامة حول مملكة كوكو. والى رئيس الجمعية الثقافية مملكة كوكو لقرية كوكو بعين الحمام، والى جعفر رئيس الجمعية الثقافية لقرية أشلام، ورئيس الجمعية الثقافية لقرية اورير في اعكورن الذين قدموا لي يد المساعدة و قمت باستجوابات معهم.

# فهرس الموضوعات

# مـقـدمــة

**مقدمة:**

شهد أواخر القرن 15 م حدثاً بارزاً، أثر في تطور الأحداث في شمال إفريقيا عامة، ومنها الجزائر، ويتمثل في سقوط غرناطة في سنة 1492، بعدما عاش المسلمون قرابة ثمانية قرون في الأندلس، شيّدوا خلالها حضارة راقية. لكن بعد سقوط آخر معقل للمسلمين تم اضطهاد هؤلاء وطردهم من الأندلس وأكثر من ذلك طاردوا المسلمين في عرض البحر الأبيض المتوسط، حتى وصل الأمر إلى استيلاء الإسبان على بعض المدن الساحلية مثل تنس، شرشال وبجاية في سنة 1510م.

وكانت الدولة الزيانية في تلمسان تعيش في مرحلة التدهور و الإنحطاط، وبالتالي كان هناك فراغاً سياسياً كبيراً، وفي خضم هذه الأحداث برز الإخوة بربروس في البحر الأبيض المتوسط اللذان استقرّا في جزيرة جربة وقاما بشنّ غارات كبيرة على مختلف السواحل والموانئ الجنوبية لاوربا وجزرها، مثل سردينيا، ونابلي، وكانا ينقذان المسلمين الفارين من الأندلس إلى سواحل شمال إفريقيا.

وكانت منطقة القبائل في أوائل القرن 16م تابعة للدولةالحفصية اسمياً لأن نفوذ هذه الدولة لم يكن يتعدى حدود مدينة تونس، وبالتالي كانت أيضا تعيش في مرحلة التدهور و الإنحطاط، وعيّن الحفصيون أحمد اولقاضي حاكما على عنابة، وبسقوط بجاية جاء إلى عرش أجداده وهو آث غوبري، أين أسس مملكة سميت مملكة كوكو، وذلك في سنة 1511هـ في قرية أورير، والدافع لذلك هو مواجهة الخطر الإسباني، وتعاون مع الإخوة بربروس لتحرير جيجل وبجاية، فتمّ لهم تحرير جيجل سنة 1514م، لكن لم يكن بمقدورهم تحرير بجاية رغم شنهم لعدة حملات.

**1-الإشكالية:**

عُرفت مملكة كوكو بهذه التسمية، لكن هناك من يتساءل عن مدى صحة هذه التسمية.هل ما اسسه آث القاضي يمكن إعتباره مملكة باتم معنى الكلمة .

أطلق المؤلفون الإسبان المعاصرون لتلك الفترة إسم ملوك كوكو reyes de cuco ،و الإقليم الذي حكموا فيه إسم مملكة كوكو ومن بين هؤلاء المؤلفين نجد مارمول كارفخال في كتابه الوصف العام لإفريقيا، و ذكر فيه أنه يوجد جبل من بين جبال الأطلس يسمى كوكو cuco باسم المدينة التي شُيدت فيها وهذا الجبل مرتفع جدا. [1].

في الحقيقة لم تُسم باسم المدينة و انما باسم القرية التي أُسست فيها. أما المؤلف بيير بوايي، فقد ذكر أن مملكة كوكو هي التسمية الفرنسية royaume de koukou ، أما التسميات الأخرى فهي مملكة كوك royaume kouque ومملكة قاقو royaume de gago [2].

بينما تحدث المؤلف ديفو G .Devaux ، بأنه لا يجب ربط هذه التسميات بأفكار العظمة و الدهشة، مثلما نعرفه حول ممالك الشرق، لكن هذه المصطلحات توافق و تساير واقع تلك الفترة.

وبخصوص تأسيس مملكة كوكو، يمكن اعتبار هذا الحدث إستمرارا لظاهرة تأسيس الدول في الجزائر، أي أن الضعف الشديد للدولة الزيانية، والدولة الحفصية وعدم قدرتهما على مجابهة الأخطار الأجنبية، جعل عائلة اولقاضي تؤسس مملكة كوكو للقيام بذلك الدور، ومن هنا يمكن القول أنّ تأسيس هذه المملكة من طرف احمد اولقاضي ،الذي تقاسم حكم شمال الجزائر مع الإخوة بربروس حسب ما ذكره بربروجير وبوليفة، إذ أصبح الشرق تابعا للمملكة والغرب للإخوة بربروس، كان الهدف من ذلك نبيلا، وهو تنظيم صفوف العروش لمجابهة الخطر الإسباني، واسترجاع المناطق التي استولت عليها إسبانيا مثل بجاية.

ومن هنا تكمن أهمية مملكة كوكو في الدفاع عن البلاد والعباد، وبالإضافة إلى ذلك فقد تأسست هذه المملكة في منطقة وعرة المسالك، وهذا يشكل تقريبا استثناءا، لأن

---

1-Marmol Carvajale,*L'Afrique de Marmol*,traduit par Nicolas Perrot,T2,Paris, p412

2- (P) Boyer, « *Espagne et Koukou,les négociations de 1598 et 1610* »in Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée,1970,volume8,N1,p,26

المعروف عن معظم الدول عبر التاريخ أنها تؤسس عواصمها في مناطق سهلية، لكن تشييد العاصمة في منطقة جبلية مثل كوكو يشكل حدثاً نادرا الحدوث.

وعلاوة على ذلك ،فإن هذه المملكة لعبت دوراً هاماً في تاريخ الجزائر الحديث، خاصة في القرنين 16م و17م، بحيث قامت بنشاط سياسي، تمثّل في تأسيس عدّة عواصم، وذلك حسب تغير الظروف ،مثل اورير وكوكو ومدينة الجزائر، وجمعة السهاريج وغيرها. وجعلت العروش التي تتميز عادة بحب الحرية والاستقلال، وبقوانينها الخاصة، وبالتالي تشبه الدول الديمقراطية، تحت بوتقة مملكة، فهذا الأمر صعب للغاية، كان للمملكة شرف تجسيده في الواقع وتوصلت هذه المملكة إلى تحقيق الاستقرار السياسي في المنطقة إلى أواخر عهد السلطان اعمر أولقاضي، بحيث عمّ الأمن في أرجاء المملكة، فليس هناك قطاع الطرق، وليس هناك فتن ونزاعات طوال القرن 16م و مطلع القرن 17م وتعتبر هذه النقطة إيجابية تحسب لصالح هذه المملكة.

واستطاعت هذه المملكة أن تؤسس جيشاً أظهر إمكاناته في مسرح الأحداث والحروب، وتكمن أيضاً أهمية المملكة في الحالة الاقتصادية والثقافية التي بلغتها.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك، الدور الذي لعبته هذه المملكة في التأثير على السلطة المركزية العثمانية، بحيث فرضت نفسها وجعلت الأتراك يحسبون لها ألف حساب في اتخاذ قراراتهم، وأثرت أيضاً في العلاقات الخارجية مع الإسبان، بحيث كثيرا ما ساندت الأتراك ضدهم وربطت علاقات معهم في فترات أخرى.

وتكمن أيضاً أهمية المملكة في الفترة الطويلة التي عاشتها وهي حوالي قرنين ونصف من الزمن، وهذا أمر مذهل لمملكة تأسست في منطقة جبلية ومنعزلة.

ورغم مرور حوالي خمسة قرون عن تأسيسها فإن آثارها ما زالت تذكّر بها، ففي قرية كوكو التابعة حالياً لبلدية آث يحي دائرة عين الحمام مازالت هناك آثار تعود إلى هذه المملكة مثل السور والمقبرة، وبقيت أسماء الأماكن مثل أزرو نتعساسين أي صخر الحراسة وثيغيلت نْلمدافع، أي قمة المدافع وغيرها وتوجد أيضاً آثار المملكة في آث غوبري مثل ما

هو الشأن في ضريح أحمد أولقاضي في أشَلام، وبقايا منزل الملك أحمد، وفي أورير نجد الجامع أُتونسي، أي مسجد التونسي، والمقصود بالتونسي ابن عمر أولقاضي الذي جاء من تونس وانتقم من الذين قتلوا والده، وتوجد آثار أخرى في أمشطراس باسم أحريق بولقاضي أي حقل أولقاضي، إذن توجد آثار المملكة في معظم المناطق التي كانت تابعة لمملكة كوكو.

وعلاوة على ذلك يوجد إلى حد الآن أحفاد لهؤلاء الملوك وهذه العائلة سواء في اليلتن الواقعة شرق عين الحمام، أو في الأربعاء ناث إيراثن، أو أشلام وأورير معظمهم يلقب باسم نايت مسعود. وهم يأتون في أواخر الصيف إلى الأضرحة الموجودة في اليلتن ويقومون بما يسمى أسنسي Asensiأو التَسبييثةTtebyita فيهيؤون الطعام ويأتي الآلاف من الناس يشاركون في ذلك.

وإلى حد الآن توجد الكثير من الأمثال والحكم، تعود إلى مملكة كوكو وتندرج فيما يطلق عليه " الذاكرة الجماعية ".

ويمكن حصر الفترة التي عاشت خلالها هذه المملكة ما بين القرن 16 م ومنتصف القرن 18م، وبالضبط ما بين سنة 1511 التي تأسست فيها إلى سنة 1767م. والسبب الذي جعلنا نحدد تاريخ زوال المملكة في سنة 1767م، ما أظهرته الحملة العسكرية التي قادها باي التيطري محمد بن علي في سنة 1754م على منطقة القبائل الغربية، وأسفرت المعركة التي وقعت في سفوح جبل آث إيراثن عن مقتل الباي وعدد من جنوده، والعبرة ليست هنا، فبعد الانتصار الذي حققه سكان آث إيراثن، توجه الشيخ أعراب وهو أحد أبرز رجال الدين في آث إيراثن، إلى مدينة الجزائر، ووعد الداي بعدة أمور ومنها عدم التعرّض للحاميات العثمانية منذ ذلك اليوم فصاعداً إلى غيرها من النقاط.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أن سلطة مملكة كوكو قد اختفت أو على الأقل تقلّص نفوذها كثيرا في منتصف القرن 18م، إذ لم يكن أي لها أي دور سواء في

المعركة أو في المفاوضات، إذ أن الشيخ اعراب هو الممثل لآث إيراثن لدى الداي، وتدل تلك الوقائع أيضا على أن منطقة آث إيراثن أصبحت مستقلة عن كوكو.

وبخصوص الإطار المكاني للمملكة، فإن حدودها تغيرت عبر المراحل التي مرت بها، ففي عهد أحمد أو لقاضي مؤسس المملكة امتدت حدودها غربا لتشمل مدينة الجزائر، وذلك عندما تغلب على خير الدين .وبصفة عامة فإن الرقعة الجغرافية للمملكة كانت تمتد من وادي الساحل أو الصومام شرقا إلى دلس غرباً، وفي أواخر عهد المملكة انحصرت في أعالي سيباو.

يدخل موضوع مملكة كوكو في إطار التاريخ المحلي، بالخصوص وتاريخ الجزائر بالعموم، وهذا ليس فيه أي تناقض لأن كتابة تاريخ منطقة ما من مناطق البلاد يثري في نفس الوقت تاريخ البلاد عامة، وذلك بما يقدمه من تفاصيل دقيقة من الصعب الوصول إليها، إذا إقتصرنا فقط على كتابة تاريخ الجزائر العام.

وبخصوص تاريخ مملكة كوكو فقد ظهرت بعض الكتابات والمقالات ألفت من طرف الإسبان مثل مارمول كارفخال وهايدو، وكتابات أخرى في القرن التاسع عشر من طرف روبان، بوايي وبربروجير، بدون أن ننسى ما كتبه سعيد بوليفة في كتابه جرجرة عبر التاريخ من العصر القديم إلى 1830 باللغة الفرنسية، وقد اعتمد كثيرا على الرواية الشفوية وخصص محورا كاملا لتاريخ مملكة كوكو.

إلا أن هناك فراغات كثيرة خاصة بشأن هوية حكام مملكة كوكو، والمدة الزمنية التي حكموا خلالها، إذ نجد اسم أحمد اولقاضي يتكرر في مختلف المراحل التي مرّت بها المملكة، وبدون شك لا يمكن أن يكون نفس الشخص أو نفس الملك الذي أسس المملكة، وتارة نجد اسم حند اولقاضي.

بالإضافة إلى ذلك نجد اختلاف في نظرة المؤلفين لهذه السلطة التي أطلق عليها اسم مملكة كوكو، فالمؤلفين الإسبان أطلقوا عليها إسم مملكة كوكو Reyes de cuco.

وبالنسبة للباحث أولحاج نايت جودي، فإنه يرى بأن مملكة كوكو تراوحت حسب الفترات والحكام ما بين مملكة تيوقراطية، تعتمد على الأصل الديني للمؤسس على النمط الإقطاعي، وتارة أخرى كانت المملكة استبدادية تعتبر إقليمها وسكانها كملكية خاصة، إذن هذا المؤلف يعتبر سلطة كوكو مملكة.

وهناك مؤلفون آخرون لا يعتبرونها مملكة مثل بيير بوايي، الذي يرى أن مملكة كوكو مثل بعض الممالك البربرية الأخرى لم تكن سوى مجموعة من القبائل تحت حكم أسرة قوية.

ويرى آلان مايي Alain Mahe أن وصف سلطة كوكو بالمملكة يبدو على الأقل أنه نقص تقدير، وذلك بالنظر إلى التنظيم القبلي للمنطقة.

وبخصوص أصل المملكة ،هناك عدة وجهات النظر، بين من يرجعه إلى عمر بن ادريس وبسقوط الأدارسة في المغرب الأقصى فرّ أحفاده إلى كوكو وأسسوا زاوية، وهناك من يرجع أصلها إلى جد العائلة القاضي أبو العباس الغبريني، وهناك وجهات نظر أخرى لا يسعنا أن نذكرها هنا.

وتعدى اختلاف الآراء إلى اتساع وامتداد وحدود المملكة، بين من يقول أن المملكة تضم كل منطقة القبائل أي من شرق مدينة الجزائر إلى الحدود الشرقية لبجاية، وهناك من يقول أن امتداد مساحة المملكة يشمل فقط عروش منطقة القبائل الساحلية وكنفدراليةالزواوة، مثلما هو الشأن للمؤلف بيير بوابي، وهناك آراء أخرى سنتطرق إليها في محلها.

من خلال هذا البحث نريد الإجابة على السؤال الرئيسي التالي:

هل يمكن اعتبار التنظيم السياسي الذي أسسه أث القاضي مملكة بأتم معنى الكلمة؟

وهناك أسئلة أخرى تتبادر إلى الذهن وهي:

- ما هي طبيعة نظام الحكم الذي سار عليه آث القاضي؟
- في أي سياق تاريخي يمكن حصر وجود مملكة كوكو في تاريخ منطقة القبائل خصوصا وتاريخ الجزائر عموماً ؟.

- كيف فرضت وجودها وكيانها لمدة تزيد عن قرنين من الزمن في ظل وجود التنظيم التقليدي للعروش، والقرى التي يمكن اعتبارها كجمهوريات صغيرة ذات صلاحيات ونفوذ وحرية هذا من جهة، ومن جهة أخرى كيف فرضت هذه المملكة وجودها في ظل الحكم المركزي العثماني القوي؟

**2-دوافع اختيار الموضوع:**

يعود اختيارنا لهذا الموضوع إلى عدة اعتبارات ودوافع، إذ يعتبر من المواضيع الهامة في تاريخ الجزائر، لأن معظم الأبحاث تهتم بتاريخ الجزائر ككل، أما التاريخ المحلي ومختلف جهات ومناطق البلاد فهي دراسات قليلة ونادرة لسبب أو لآخر.

فمنذ كنت طالباً في دراسات التدرج كنت مهتما بتاريخ الأمازيغ، مهما كانت الحقبة التاريخية لأن هذا العرق هم السكان الأصليون لشمال افريقيا، ولعبوا دورا هاما وفعالا في مختلف العصور، بدءا بما قبل التاريخ، ثم التاريخ القديم بظهور الممالك النوميدية، ثم التاريخ الوسيط، وما فعله طارق بن زياد، وتأسيس الممالك الأمازيغية الإسلامية، كالدولة الزيرية والحمادية، والزيانية ثم في العصر الحديث بظهور مملكتي كوكو وآث عباس.

- الأهمية القصوى لمملكة كوكو في تاريخ الجزائر، إذ يعتبر تأسيسها كرد فعل على الاحتلال الإسباني لمدينة بجاية في سنة 1510 بعد أن احتلت عدة مناطق في غرب البلاد كالمرسى الكبير ومناطق أخرى في الشرق مثل عنابة، ففي الفترة التي تدهورت فيها الدولة الزيانية، وأصبحت البلاد في ظل التنظيم القبلي، استطاع أحمد اولقاضي تأسيس مملكة، رغم الظروف الاستثنائية التي سادت في تلك الفترة.

- نقص الدراسات والأبحاث حول تاريخ منطقة القبائل رغم الدور الفعال الذي لعبته هذه المنطقة منذ القدم، فهي دائما حاضرة في خضم الأحداث ولم تكن منعزلة عن المناطق الأخرى للبلاد وعن ما كان يجري من أحداث .

الكثير من الجزائريين ومنهم سكان منطقة القبائل وحتى الجامعيين لا يعرفون شيئا عن مملكة كوكو، رغم أنها فرضت نفسها أثناء الحقبة العثمانية في الجزائر، إذ اضطر الأتراك إلى التحالف مع ملوكها، عدّة مرات وكان لها عدة عواصم مثل أورير وكوكو ومدينة الجزائر،واثرت في مجرى الاحداث.

وكان لها علاقات مع ملوك اسبانيا وساهمت في تحرير بجاية، ومن بين أسباب جهل الجزائريين لتاريخ هذه المملكة، عدم إدراج هذا الموضوع في برامج التاريخ المدرسية من الابتدائي إلى النهائي.

وبالتالي أصبحت المملكة " لاحدث " وهذا يمكن اعتباره عقدة أمام التاريخ، وإلا كيف يدرّس الاحتلال الروماني لشمال افريقيا، والبيزنطي والحكم العثماني للجزائر، والتارخ الأوربي ككل، وفي المقابل يتم تجاهل التاريخ المحلي، رغم أنه مكمل للتاريخ الوطني، إذ بواسطته يتم التدقيق ونفض الغبار على تاريخ مختلف مناطق الجزائر، وبالتالي تكثر الدراسات التاريخية.

ويزيد الموضوع أهمية، إذا عرفنا أن أحد أجداد ملوك كوكو هو قاضي القضاة أبو العباس الغبريني، الذي شغل ذلك المنصب في سلك القضاة ببجاية في العصر الوسيط، أثناء الدولة الحفصية، وهو غني عن التعريف وتطرق إليه المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن خلدون في كتابه العبر وهو صاحب كتاب عنوان الدراية، وهذا العالم عاش ما بين 1246م- 1314م ونظرا لكونه قاضي القضاة أصبحت العائلة تسمى بآث القاضي.

ومن بين الدوافع الأخرى التي دفعتنا للبحث في هذا الموضوع، أن هذا الأخير وهذه المملكة ما زالت تحوم في الذاكرة الشعبية، والأمثال الشعبية، وخير دليل على ذلك المثل الشعبي الذي يعود إلى فترة حكم اعمر اولقاضي الذي تميز بالاستبداد والظلم:" توحش الفيل أضيفوا له فيل آخر وبالقبائلية ، يتوحش الفيل أرنوشند قماس.

yetweḥḥec lfil rnut- as -d gmas

وعندما يتجاذب الشيوخ أطراف الحديث خاصة عن الماضي، يذكرون بعض الأحداث المرتبطة بالمملكة، وملوكها ومعاملات الأتراك، وهناك مقولة تذكر في قرية أيت مسلاين التابعة حاليا لبلدية أقبيل دائرة عين الحمام من طرف المعاصرين لمملكة كوكو و هي:

وهي:Ddem icifaḍ–ik d win i d abrid ɣer Kuku خذ أحذيتك واسلك الطريق إلى كوكو.

ومعنى ذلك خذ أحذيتك أي هيّئ نفسك واسلك الطريق إلى كوكو من أجل الحرب ، وكل هذه الأقوال والأحداث المرتبطة بالذاكرة الشفوية تصل إلى أسماعنا لأننا غير بعيدين عن قرية كوكو حاليا، والتي كانت عاصمة للمملكة، وهذا حفزنا أيضا على أن نبحث في تاريخ المملكة لكي نتعمق فيه، ونتعرف على كل كبيرة وصغيرة عن المملكة، لأن البيت يبنيه أهله، فأحسسنا بنوع من المسؤولية تجاه كتابة تاريخ هذه المملكة التي تستحق كل التقديروالإهتمام، وكلما مرّ يوم إلا وأخذ معه جزء من هذا التراث، ويأخذ معه الذاكرة الشعبية الشفوية، ومعالم التاريخ، ومن هنا يمكن القول بأن مشروع كتابة تاريخ هذه المملكة هو ضروري، واستعجالي، لأنه بمرور الزمن لا يمكننا انجازه، لو تزول كل الآثار والمعالم والذاكرة الشعبية.

- من بين الدوافع الأخرى التي جعلتنا نبحث في هذا الموضوع،أنه لا يزال حقلا خصباً للبحث يدعو إلى الإشباع بالتطرق إلى مختلف جوانبه، والبحوث التي تطرقت إليه نادرة، وإذا وجدت فهي عبارة عن مقالات هنا وهناك، وفي بعض الأحيان عبارة عن ملحمات تتخللها بعض الأساطير والأسلوب الأدبي الذي يختلف عن الكتابة العلمية الموضوعية، والمؤلف الوحيد الذي خصّص فصلا كاملا لهذه المملكة مع قلعة آث عباس هو اعمر سعيد بوليفة في كتابه، جرجرة عبر التاريخ من التاريخ القديم إلى 1830م، لكن يحتاج إلى نقد لأن فيه الميل نحو الذاتية والعاطفة.

من خلال البحث عن هذا الموضوع نريد الإبتعاد ولو قليلا عن التاريخ التقليدي، الذي يعتمد فقط على سرد الأحداث دون تحليلها، فاخترنا هذا الموضوع الذي يتطرق إلى مختلف

الجوانب السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية لمملكة كوكو والروابط والتأثيرات فيما بينها، أما التاريخ التقليدي فهو يكتفي بسرد الأحداث السياسية والعسكرية فقط.

واخترنا موضوع يتميز بالامتداد الزمني ،إذ امتد إطاره الزمني إلى قرنين و نصف من الزمن أي من أوائل القرن 16 إلى النصف الثاني من القرن 18، أي راعينا المدة الزمنية الطويلة لموضوع البحث، إذ لا بد من فعل ذلك، لكي يصل المؤرخ إلى الحقائق، أما مجرد البحث في الأحداث الساخنة الآنية التي تظهر في بدايتها كاللهب وكأنه حدث عظيم، فإذا مرّت فترة قصيرة من الزمن عنه، تجلى أنه لا حدث، ولا يستحق الاهتمام والبحث.

ومن بين الدوافع الأخرى التي جعلتنا نبحث في هذا الموضوع، أن مملكة كوكو عاصرت فترة القوة لإيالة الجزائر، فرغم أن الحكم العثماني المركزي في الجزائر فرض سيطرته وهيبته على حوض البحر الأبيض المتوسط بواسطة أسطوله البحري، إذ لا تمرّ أي سفينة من سفن الدول الأوربية في عرض هذا البحر، بسلام إذا لم يكن لها علاقات حسنة مع إيالة الجزائر، وإذا لم تدفع الهدايا والإيتاوات لحكّامها، فرغم هذه المكانة العالمية والإقليمية التي اكتسبتها، فإن مملكة كوكو استطاعت بشجاعة رجالها وحنكة ومرونة حكامها أن تبقى صامدة لمدة طويلة، هذا ما جعلنا نبحث في الموضوع للكشف عن أسرار ذلك.

### 3. منهجية البحث:

استعملنا في إنجاز هذه الرسالة عدة وسائل، ومن أهمّها الأرشيف، وهي ضرورية في كل بحث تاريخي، وهي عبارة عن رسائل أصلية بعثها السلطان العثماني نفسه إلى أمير كوكو للتعاون مع العثمانيين لصد الأخطار الأجنبية، قمنا بتحليلها واستخلاص أهميتها، ترجمت إلى العربية من طرف محمد داود التميمي.

واستعملنا أيضاً رسائل أصلية قدمت من طرف ملك كوكو وهو اعمر اولقاضي إلى البلاط الإسباني، مكتوبة بالعربية بخط صعب للفهم، وتطلب منا جهد ومشقة كبيرة لفهمها،

وقمنا بشرحها وتحليلها ومقارنتها بما كتب في المصادر التاريخية المعاصرة لتلك الفترة، وهذه الرسائل قدمت لنا من طرف الدكتور محمد أرزقي فراد، تابعة لأرشيف سيمانكاس بإسبانيا.

اتبعنا أيضا طريقة المقارنة ما بين الوثائق التاريخية مثل ما وجد في تلك الرسائل وما كتبه المعاصرين للأحداث، أمثال المؤلف الاسباني مارمول كارفخال، وهايدو، وما ورد في مذكرات خير الدين بربروس، ومؤلف مجهول في كتابه: غزوات عروج وخير الدين، وغيرهم، لأن مجرد الاعتماد على الوثائق دون الأخرى، واستعمال النقل فقط بدون التحليل والنقد والمقارنة والاستنتاج تؤدي بالمؤرخ والباحث الى عدم الوصول الى الحقيقة التاريخية الموضوعية.

واستعملنا أيضا التحري في الميدان، إذ ذهبنا إلى المناطق التي تأسست فيها كوكو، وقمنا بالاستجوابات مع بعض المسؤولين لتلك القرى، ومن الوسائل الأخرى التي تم استخدامها في البحث التقاط الصور لآثار المملكة سواء في كوكو أو آث غوبري، واستعملنا الخرائط الجغرافية لكي يتتبع القارئ سير الأحداث، وأماكن وقوعها، وكل هذه الوسائل سنتطرق إليها بالتفصيل:

**1.3-المصادر و المراجع التاريخية:**

**أ-الوثائق التاريخية:**

- من بين الوثائق التاريخية التي استعملتها ما يلي:

-رسالة أهالي الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول يشيدون فيها بأعمال الإخوة بربروس في الجزائر، ويناشدونه بإبقاء خير الدين في الجزائر، لحمايتهم من الخطر الإسباني، وهذه الرسالة مؤرخة في سنة 925هـ/1519م، وهذه الوثيقة وجدت قبل استقرار الحكم العثماني وإرساءه في الجزائر، تطرقت إلى الظروف التي كانت تعيشها الجزائر، والخطر الإسباني الذي كان يهدد مدينة الجزائر وكان على رأس الوفد الذي انتقل إلى استانبول الفقيه أبو العباس أحمد ابن علي ابن أحمد بن القاضي.

وهذه الوثيقة مهمة جدا تاريخيا لأنها فتحت الطريق لربط الجزائر بالدولة العثمانية، وتبين أن الجزائر هي التي طلبت يد المساعدة من السلطان العثماني، وليس كما يدعي البعض أن الدخول العثماني للجزائر يعتبر احتلال.

وهذه الوثيقة موجودة في مقر Top Kapi توب كابي الذي كان مقر الخلافة العثمانية بإستانبول، ووجدتها في قصر يلدز في مدينة استانبول.

-وثائق وجدتها في الأرشيف الوطني الجزائري في ركن مهمة دفتري، أحدها حُكمْ من السلطان العثماني إلى أمير كوكو، تدعوه إلى بذل كل مجهوداته في كافة الأمور، فيما يتعلق بالمحافظة على أملاك وخيرات البلاد، ويحثه على تأمين القدرالكافي من الذخيرة للعساكر، والالتحاق بالأسطول العثماني.

وقد استفدت كثيرا من هذه الوثائق التي تدل على مرحلة التعاون بين العثمانيين الأتراك ومملكة كوكو.

-والوثيقة الأخرى تتمثل في حكم من السلطان العثماني الى أمير كوكو،على حد تعبيره، يطلب فيه السلطان العثماني من أمير كوكو، مساعدة أمير أمراء الولاية، أي ولاية الجزائر، لأنها ولاية عثمانية لحفظها وحراستها وأشاد فيها بخصال أمير كوكو وهذه الوثيقة أو الحكم كتب أيضا إلى أمير آث عباس، وهي أيضا وثيقة هامة تدل على مكانة مملكة كوكو وقلعة آث عباس في الجزائر وقدرهما لدى السلطان العثماني وأمير أمراء(بايلرباي) الجزائر.

-وهذه الوثائق الثلاثة كتبت بالعربية وتحتوي على نسخ أصلية باللغة العثمانية، إذن فهي وثائق أصلية لا تقدّر بثمن.

-تحصلت أيضاً على وثائق أصلية أخرى، وهي عبارة عن رسائل من أمير كوكو إلى ملك اسبانيا مكتوبة بالخط العربي ، قدّمها لي الأستاذ محمد أرزقي فراد، وهي أصلية مصدرها مركز الأرشيف في إسبانيا سيمانكاس.

قمتُ بتحليلها وربطها بما ذُ كر في المصادر التاريخية، وهي ذات أهمية بالغة، لم يذكر تاريخها، لكن بفهم سياقها تبيّنَ أنها تعود إلى فترة حكم الملك اعمر اولقاضي، الذي كانت له مراسلات عديدة مع البلاط الإسباني، ويدور موضوعها حول فكرة التعاون بين الطرفين للانقضاض على الأتراك في الجزائر.

د- رسالة أمير كوكو عمر أو لقاضي إلى ملك إسبانيا فيليب الثالث بتاريخ 25 جوان 1603، توجد في الكتاب الذي ألفه هنري جنوفوا. legende des rois de koukou مكتوبة باللغة العربية ومترجمة من الاسبانية الى الفرنسية، وهي وثيقة أصلية مهمة جداً.

ب-**المخطوطات:**

تعتبر المخطوطات من بين أهم الوسائل التي تستعمل في الكتابة التاريخية، و من هنا وظفت بعض المخطوطات ومنها المخطوط رقم 3329، و المخطوط رقم3140 الذين تضمنهما مؤلَف الإنتاج الفكري الجزائري و المخطوط في المكتبة الوطنية لصاحبها فتيحة بونفيحة. اطلعت عليه في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية .استفدت منه في الباب الثاني و ما يتعلق بالحياة الثقافية لمملكة كوكو، إذ تطرق إلى ذكر سيرة بعض العلماء.

هذه الوثائق ذات أهمية بالغة واستفدنا منها كثيرا في الفصل المتعلق بالعلاقات ما بين مملكة كوكو وإسبانيا، إذ وجدت فيها معلومات وتفاصيل دقيقة حول العلاقات ما بين الطرفين، و ما جرى بين اعمر أولقاضي والإسبان من خطط لتزويد كوكو بالأسلحة أو لإرساء السفن الإسبانية في أزفون، أو للإنقضاض على الأتراك في مدينة الجزائر

**ج-المصادر التاريخية:**

وهي ما يُعرف بأمهات الكتب، فبعد الأرشيف والمخطوطات، في الأهمية تأتي مباشرة المصادر التاريخية، وهي تلك الكتب التي ألفت من طرف مؤرخين أو قادة معاصرين للأحداث، ومن بين هذه المصادر التي اعتمدنا عليها أذكر:

- كتاب إفريقيا ،للمؤلف الإسباني مارمول كارفخال، وكان معاصرا لأحداث القرن 16م، وقد تطرق إلى وصف العاصمة كوكو، وما تملكه المملكة من جيش، وأشار إلى مبانيها، والعلاقة التي كانت قائمة ما بين كوكو وقلعة آث عباس.
- " مذكرات خير الدين بربروس "، والذي ترجمه الدكتور محمد دراج، وهو مصدر أساسي وذو أهمية بالغة لمن يبحث في تاريخ الجزائر، إبّان النصف الأول من القرن 16م، أي منذ مجيئه مع أخوه عروج إلى الجزائر في مطلع القرن 16م، وهما الأخوان المعروفان بمساعدتهما للمسلمين الفارين من اضطهاد الإسبان في الأندلس بعد سقوط غرناطة.

تطرق خير الدين فيه إلى محاولات تحرير بجاية، وإلى تحرير جيجل ودخولهما إلى مدينة الجزائر، وتطرق أيضا إلى الوفد المتجه إلى استانبول بزعامة أبو العباس أحمد بن القاضي، وذكر بالتفصيل أحداث الحرب التي جرت بينه وبين أحمد اولقاضي في سنة 1520م، وانسحابه (خير الدين) إلى جيجل وكيفية عودته إلى مدينة الجزائر، وما جرى بينه وبين أخ أحمد اولقاضي، وهو سيدي الحسين اولقاضي من الأحداث.

إستفدت كثيرا من هذا المصدر، وخاصة أنه أُلّف ليس فقط من طرف معاصر الأحداث، وإنما أيضا من صانع للأحداث والتاريخ، إلا أن هذا الكتاب لا يخلو من الذاتية.

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الذي ألفه المؤرخ المشهور عبد الرحمن بن خلدون، وجدت فيه ذكر تفاصيل حول قاضي القضاة أبو العباس الغبريني، الذي اشتغل في هذه الوظيفة

ببجاية، ثم اغتيل. وهو جد ملوك كوكو، ونظرا لتخصصه ومهنته في القضاء، أصبحت العائلة تسمى آث القاضي.

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، للمؤلف أبو العباس الغبريني، قمت بالاطلاع عليه، خاصة وأن هذا المؤلف هو الذي تطرق إليه ابن خلدون، أي أحد أجداد ملوك كوكو، نهلت منه ما يهم، بخصوص أصل عائلة اولقاضي، أي ما يتعلق بالباب الأول من الرسالة.
- كتاب تاريخ ملوك الجزائر، للمؤلف هايدو ترجم من الإسبانية إلى الفرنسية من طرف De Grammont هذا المؤلف تطرق بالتفصيل لأهم أحداث القرن 16م، ومنها العلاقات والروابط الموجودة ما بين الأتراك العثمانيين، وملوك كوكو، مثل حملة شارلكان 1541م، والمصاهرة التي تمت بين حسن بن خير الدين وابنة ملك كوكو، ويعتبر هذا الكتاب مصدر أساسي لتاريخ الجزائر في الفترة العثمانية.
- واستفدت أيضا من مصدر آخر وهو غزوات عروج وخير الدين لمؤلف مجهول، وهو معاصر للأحداث ذات أهمية كبرى.

**د–المراجع:**

- و علاوة على ذلك، اطلعت على مراجع أخرى هامة، نظرا للمادة الخام التي تحتويها، مثل وجود بعض الوثائق التاريخية فيها واستعمال الذاكرة الجماعية، ومن هذه المراجع:
- ملحمة ملوك كوكوLegende des rois de koukou للمؤلف هنري جنفوا ، Genevois تطرق فيه إلى الروايات المختلفة التي جمعها من المناطق التي استقرّ فيها ملوك كوكو، تطرقت إلى طبيعة حكم الملك اعمر اولقاضي وكيف قُتل، ومن هذه المناطق كوكو وأورير وأشلام.

هذه الوثائق ذات أهمية بالغة واستفدنا منها كثيرا في الفصل المتعلق بالعلاقات بين مملكة كوكو وإسبانيا، إذ وجدت فيها معلومات وتفاصيل دقيقة حول العلاقات ما بين الطرفين، وما

جرى بين اعمر اولقاضي والإسبان من خطط لتزويد كوكو بالأسلحة أو لإرساء السفن الإسبانية في أزفون، أو للإنقضاض على الأتراك في مدينة الجزائر.

وكثيرا ما يستدل بوايي بفقرات مأخوذة من تلك الرسائل المكتوبة بالإسبانية و ترجمت الى الفرنسية، ومن هنا تتجلى الأهمية الكبرى لهذه الرسائل و هذا المقال.

- واستفدت أيضا من المرجع الذي ألفه سعيد بوليفة تحت عنوان LeDjurdjura à travers l'histoireيتضمن فصلا كاملا حول مملكة كوكو وقلعة آث عباس، استطاع المؤلف أن يجمع الكثير من التفاصيل من خلال العمل الميداني الذي قام به في مختلف المناطق التي استقرّ فيها ملوك كوكو، وبدأ بالبحث عن أصل العائلة إلى عهد زوال المملكة.
- اعتمدت أيضا على مرجع آخر هام جدا ألفه أدريان بربروجير بعنوان Les époques militaires de la grande kabylieطلعت عليه في مكتبة المعهد الوطني للغات والحضارت الشرقيةINALCO بعدما تعذّر لي الحصول عليه في مكتبة جامعة تيزي وزو بسبب فقدانه، وقد خصص هذا المؤلف فصلا كاملا لمنطقة القبائل في العهد العثماني وبالتالي تطرق إلى الكثير من التفاصيل حول ممكلة كوكو، واستدل ما كتبه بذكر فقرات مأخوذة من مصادر أصلية.
- واطلعت أيضا لنفس المؤلف على كتاب les Turcs en kabylie الذي أدرجه في الكتاب الأول الذي ذكرته على شكل محور.
- واعتمدت أيضا على كتاب: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا ما بين 1500_ 1830 للمؤلف الراحل الدكتور يحي بوعزيز، إذ تطرّق إلى بعض الأحداث ،مثل جهود خير الدين وعروج في تحرير جيجل، وتطرق إلى حملة شارلكان، واستعمل المؤرخ بعض الخرائط التي أدرج فيها اسم مملكة كوكو وآث عباس.
- ومن المراجع الأخرى التي قمت باستغلالها ، كتاب الزواوة في القرنين 16 و 17 عهد مملكة كوكو للمؤلف الراحل أحمد ساحي، وهو عبارة عن رسالة ماجستيرفي التاريخ

طبعت .تطرق فيها الىمملكة كوكو وإلى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للزواوة في تلك الفترة وهو مرجع قيم.

- وعلاوة على ما سبق اطلعت على مرجع هام ألفه ديفو: تحت عنوان: Les Kebailes du Djerdjera الذي كان جنرالا في الجيش الفرنسي، وهذه المكانة جعلته يوظف الكثير من الوثائق والأرشيف، وبالتالي فهو مهم جدا للباحث عن منطقة القبائل، إذ تطرق بالتفصيل إلى القرى والعروش، ومواردها وخصائصها.
- وفي الملتقى الذي أقيم في دار الثقافة مولود معمري بتيزي وزو حول مملكة كوكو الذي حضرته واستفدت منه كثيرا، وفيما بعد اطلعت على المجلة التي تحتوي على الكثير من المداخلات، مثل تلك التي أعدها الأستاذ أرزقي شويتام حول إمارة كوكو، وحول سياسة العثمانيين في بلاد الزواوة بالإضافة إلى مداخلة الأستاذ المشرف عثماني ستار، حول علاقة كوكو بالأتراك والاسبان وآث عباس، والمداخلة التي أعدها الباحث ولحاج نايت جودي حول عواصم المملكة.

**هـ-الرسائل الجامعية:**

- واطلعت أيضا على الرسائل الجامعية مثل: رسالة دكتوراه تحت عنوان: المجتمع الجزائري وتفاعلاته أثناء الحكم العثماني، للدكتور أرزقي شويتام، ومن بين ما تطرق إليه سياسة العثمانيين تجاه منطقة القبائل، وعلاقاتهم بهم والأوضاع السائدة فيها.
- واطلعت على رسالة ماجستير لزين الدين قاسمي بعنوان: قيادة سيباو، وانتقيت منها ما يخص الميدان الثقافي والاقتصادي وبعض الملاحق.

**و-المقالات:**

- مقال كتب من طرف بيير بوايي، تحت عنوان: Espagne et koukou : les négociations de 1598 et 1610 نشرت في مجلة الغرب الإسلامي l'occident Musulman وهي تتمثل في المفاوضات التي جرت بين الملك

كوكو اعمر اولقاضي وملك إسبانيا، تتمحور حول التعاون للقضاء على الأتراك في مدينة الجزائر.

**ز-التحري في الميدان:**

بالإضافة إلى المصادر المكتوبة التي استخدمتها ووظفتها لإنجاز هذا البحث، استعملت وسيلة أخرى لا تقل أهمية وهي التحري في الميدان، وبالتالي انتقلت إلى قرية كوكو التي تقع في بلدية آث يحي التي كانت في الماضي قبيلة، وتبعد هذه القرية بحوالي 7 كلم عن مدينة عين الحمام، هذه القرية التي كانت عاصمة للمملكة، قمت باستجواب إحدى العجائز التي تحدثت مباشرة عن الملك اعمر اولقاضي، الذي كان يحكم بيد من حديد وبالقوة.

وقمت باستجواب أحد المسؤولين عن الجمعية التي سميت " مملكة كوكو " وذهبنا إلى مختلف الآثار والأماكن التي تعود إلى زمن مملكة كوكو، مثل تقرابت بولقاضي، وكان بيت الملك كوكو يقع في مكان مرتفع، وبجانبه مقبرة قديمة تعود حسب ما ذكر لي المسؤول المدعو جعفر إلى فترة حكم كوكو.

بالإضافة إلى ذلك توجد زاوية سيدي علي أو طالب والتي تعود إلى زمن كوكو، وحاليا يتخرج منها الأئمة الذين يأتون من مختلف مناطق البلاد، وفي أسفل هذه الزاوية نجد الأماكن التي كانت في عهد كوكو ذات وظائف مختلفة مثل أزرو نتعسّاسين، أي صخر الحراسة، ونجد تيغيلت نلمدافع أي قمة المدافع، بالإضافة إلى مكان يوجد في أسفل القرية اطلق عليه اسم ثَلاَ نِمَحْباس أي ينبوع المساجين، وعلاوة على ذلك ذهبنا إلى بقايا سور مازال موجودا إلى حد الآن رغم مرور خمسة قرون، لكنه في تناقص وفي طريق الزوال والاندثار، إلى غيرها من الآثار التي ذكرتها في عنصر الصور.

وتنقلت أيضا إلى آث غوبري الذي شهد ميلاد مملكة كوكو، حسب ما ذكره سعيد بوليفة وبربروجير، واتجهت إلى قرية أشَلاَم أين التقيت برئيس الجمعية الثقافية التي تسمى " جمعية احمد اولقاضي " وهذه القرية قريبة جدا من أورير التي كانت عاصمة للمملكة.

ودلّني رئبس الجمعية على أهم الآثار التي تعود إلى مملكة كوكو، وأوّل شيء يذكرك بالمملكة هي صورة الملك احمد اولقاضي على جدار أقيم كنصب تذكاري له، ثم دلني على القبر الذي دفن فيه الملك الأول وهو أحمد اولقاضي وكتب في أحد الشاهدين هنا دفن أحمد بن القاضي الذي استشهد في تيزي نات عايشة في سنة 1527م، ونجد في جدران ذلك المقام لوحات فنية احداها للملك أحمد أولقاضي والأخرى تمثل إحدى المعارك، وهذا الضريح والقبر يوجد في أسفل القرية، ونجد أمام ذلك المقام مقبرة تعود دائما إلى نفس الفترة، والدليل هو وجود قبور تبلغ حوالي مترين طولا، ثم اتجهنا إلى آثار منزل ملك كوكو، بقيت على شكل أحجار متراكمة، والجدير بالذكر أن هذه القرية تواجه قرية كوكو من الناحية الجنوبية.

- وذهبت أيضا إلى قرية أورير التي كانت عاصمة لمملكة كوكو، وقمت باستجوابات هناك، ودلّني أحد أعضاء الجمعية الثقافية للقرية على آثار المملكة منها لجامع اتونسي، ولكن لم يبق له أثر إلا المكان الذي بني فيه، والمقصود بالتونسي إبن عمر اولقاضي الذي ولد في تونس بعد مقتل والده في كوكو، وفرّت أمه وهي حامل إلى بلاط الدولة الحفصية.
- ومن الآثار الأخرى نجد، أزنيق اوعنيش، أي شارع اوعنيش، وهو مكان تجمع الجنود أو العساكر وذكرت معنى كلمة اوعنيش في محتوى الرسالة، والمقصود بها الجنود أو العساكر التونسيين الذين أتوا ورافقوا حنداولقاضي المدعو التونسي من تونس إلى كوكو لاسترجاع ثأر مقتل والده.
- والملاحظ على الآثار التي تعرفت عليها في هذه القرية أنها توجد في منطقة عالية أي هضبة خلف القرية الحديثة.
- بعدما قمت بدراسة الوثائق التاريخية الأصلية والمصادر بالإضافة إلى المراجع المتعلقة بالموضوع قمت بالربط ما بينها وبين ما وجدته من المعلومات التي تحصلت عليها بعد التحري في الميدان سواء بالاستجوابات أو الصور لأن هذه الأخيرة يمكن أن تعبر وتوضح الكثير من المعلومات.

إذن فالعمل والبحث الذي قمت به كان متكامل جمع ما بين ما هو مكتوب وما هو روائي بواسطة الذاكرة الجماعية وبين الجغرافية، أي الأماكن والمناطق التي كانت مسرحا للأحداث.

**ح-الصور:**

وظفت في هذا البحث وسيلة أخرى مهمة جدا ، لتوضيح الأحداث وتقريبها للقارئ ألا وهي الصور، واستعملت نوعين من الصور، صورا قمت بالتقاطها بنفسي، لبعض المناطق والأماكن التي كان لها دور في عهد مملكة كوكو، وأخرى عثرت عليها في المصادر والكتب.

من بين الصور التي التقطتها بنفسي في قرية كوكو التي كانت عاصمة لمملكة كوكو، إحداها للقرية ككل وهي منظر عام وأخرى لزاوية سيدي علي اوطالب ،التي كانت موجودة في عهد كوكو، وصورة أخرى لبقايا السور الذي أحيط بكوكو، وأخرى للمكان الذي كان يسمى سابقا تيغيلت نلمدافع، أي قمة المدافع، وأيضا لِما يسمى أزرو نتعساسين أي صخر الحراسة، بالإضافة إلى أرثي نتعلجتس أي حديقة الأميرة التي كانت تسمى ثعلجتس وهي ابنة الملك كوكو اعمر اولقاضي، والتقطت صورا لبعض الأواني التي تعود إلى فترة العهد العثماني وعهد كوكو، مثل الملاعق والإبريق.

وتنقلت أيضا إلى عرش آث غوبري في عزازقة وقمت بالتقاط صورفي قرية أشلام، وهي قريبة من قرية أورير التي كانت عاصمة مملكة كوكو.

ووجهني احد سكان القرية إلى أهم الآثار التي تعود إلى مملكة كوكو منها: ضريح دُفن فيه مؤسس مملكة كوكو وهو أحمد اولقاضي وفيه صورته، ومقبرة لرجال وجنود المملكة في تلك الفترة وبعض آثار منزل أحمد ولقاضي وحديقته، والتقطت صورا لهذه الآثار والمعالم.

وفي قرية أُورير أيضا التقطت صورا للمكان الذي بني فيه الجامع أُتونسي وأزنيق اوعنيش.

والصنف الثاني من الصور عثرت عليها في الكتب مثل آثار مملكة كوكو في قرية كوكو توضح مثلا السور الذي أحيط بكوكو وعثرت عليها في كتاب:

Hommes et Femmes de Kabylie

**ط-الخرائط:**

وظفت أيضا الخرائط لأنها مهمة جدا لتقريب الأفكار إلى أذهان القراء والباحثين، وتوضيح الأحداث .ومن بين هذه الخرائط، تلك المتعلقة بالتقسيم الإداري للجزائر أثناء الحكم العثماني، تتضمن موقع مملكة كوكو ،وخرائط أخرى تبين عدة مقرات كانت تابعة لمملكة كوكو، قمت بنسخها من كتاب:

legende des rois deKoukou للمؤلف هنري جنفوا. ومن تلك المقرات أذكر: كوكو وأشلام، جمعة الصهاريج، وثميزارالموجودة في عرش آث جناد، كان الملك عمر او لقاضي يأتي إليها للتزود بما يحتاج، وعثرت على خريطة تعود للقرن 18م تبين أماكن وجود قلعة كوكو وآث عباس بالإضافة إلى خريطة بلاد القبائل وأهم قبائلها للمؤلف بربروجير.

**4-هيكلة البحث:**

قسمت الرسالة إلى أبواب وكل باب يحتوي على ثلاثة فصول، يتمثل الباب الأول في أصل و ظروف تأسيس مملكة كوكو والمراحل التي مرَت بها. ويتمثل الفصل الأول على أصل مملكة كوكو و ظروف تأسيسها تطرقت فيه إلى الآراء المتعلقة بأصل مملكة كوكو وأصل العائلة، ومنها رأي فيرو ورأي روبان وأخيرا رأي سعيد بوليفة، وفي الأخير قمت بحوصلة، وبعد

ذلك شرحت ظروف تأسيس مملكة كوكو، و منها الأوضاع السيئة التي كانت تعيشها دول شمال إفريقيا في مطلع القرن 16م، كالتفكك والضعف وبالتالي التنافس الإسباني لاحتلالها، وبعد ذلك كيف برز الإخوة بربروس في سواحل شمال إفريقيا والدور الذي قاموا به لإنقاذ المسلمين الفارين من بطش ومحاكم التفتيش الإسبانية، وفي الأخير ذكرت مجيء أحمد

اولقاضي الذي كان حاكما على عنابة لفائدة الحفصيين إلى منطقة القبائل، وبالضبط إلى عرش أجداده آث غوبري، أين أسس مملكة في قرية أورير.

وفي الفصل الثاني: تطرّقت إلى المراحل التاريخية التي مرّت بها مملكة كوكو، وقسمتها إلى مرحلتين، خصصت المرحلة الأولى الممتدة من سنة1511م وهو تاريخ تأسيس المملكة إلى سنة 1618م وهو تاريخ مقتل الملك اعمر او لقاضي الذي تميز حكمه بالاستبداد، وأدرجت في هذه المرحلة أشهر الملوك مثل أحمد اولقاضي وهو مؤسس المملكة، وسيدي الحسين أخ الملك احمد والملك اعمر او لقاضي المقتول.

و المرحلة الثانية امتدت من سنة 1618م إلى 1767م وفي هذه السنة الأخيرة انتهت مملكة كوكو، وفي هذه المرحلة تطرقت إلى اشهر الملوك ومنهم حند القاضي المدعو التونسي، لأنه ولد في تونس وهو ابن اعمر اولقاضي، وثأر لمقتل ابيه بمساعدة عساكر من تونس، وهناك ايضا الملك علي.

وفي الباب الثاني، تناولت الأوضاع السياسية والعسكرية والإقتصادية و الثقافية. ففي الفصل الأول ذكرت حدود المملكة والعاصمة كوكو، وبالإضافة إلى النظام السياسي للمملكة وأهم عواصم المملكة.

وتطرقت بعد ذلك إلى الميدان العسكري و يتمثل ذلك في ذلك الجيش وعدد الجنود والأسلحة، ودوره.

وفي الفصل الثاني المتعلق بالأوضاع الاقتصادية ذكرت العوامل المساعدة على الازدهار الاقتصادي وبعد ذلك شرحت بالتفصيل كل من الفلاحة والصناعة والتجارة.

وفي الفصل الأخير من الباب الثاني المتمثل في الأوضاع الثقافية ،تطرقت إلى مختلف العلوم التي كانت تدرس خاصة في الزوايا، وأشرت إلى نماذج من بعض علماء المنطقة ثم ذكرت المنظومة التعليمية في المملكة ومستويات التعليم.

والملاحظ حول الميدان الاقتصادي والثقافي، أن حجم المعلومات الواردة فيه أقل من الباب الأول والباب الثالث، ويمكن تفسير ذلك بقلة المعلومات ونقص اهتمام المؤرخين بهذا المجال وكثرة الأحداث والتفاصيل نجدها في الميدان السياسي، وخاصة سرد الأحداث أو ما يسمى بالتاريخ التقليدي، الذي يهتم بتاريخ الحروب والمعاهدات حسب التسلسل الزمني، وإهمال التأريخ للميدان الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

وفي الباب الثالث والأخير، شرحت فيه علاقات المملكة بالأتراك العثمانيين، وذلك في الفصل الأول، و كانت هذه العلاقات متذبذبة ومتغيرة حسب مصالح كل طرف، وفي الفصل الثاني، تطرقت إلى العلاقات مع الإسبان، وكانت أيضا متذبذبة وذلك حسب الظروف، واعتمدت على أرشيف سيمانكاس ومصدره اسبانيا، وهي عبارة عن رسائل بعث بها الملك اعمر اولقاضي إلى نظام الحكم الإسباني. بالإضافة إلى استعمال المصادر والمقالات، وفي الباب الثالث و الأخير تناولت العلاقات بين كوكو وقلعة آث عباس التي تميزت بالتنافر نظرا لرغبة كل طرف في توسيع نفوذه على حساب الآخر، ونظرا لسياسة كل من الأتراك والإسبان تجاههما المتمثلة في سياسة فرّق تسد.

**5-الصعوبات المعترضة:**

أثناء انجازي لهذه الرسالة واجهتني عدة صعوبات ومنها:

- صعوبة الحصول على الأرشيف، فقد وجدت بعض الوثائق في مركز الأرشيف الوطني، بشق الأنفس، وتطلب مني الأمر الذهاب إلى استانبول بتركيا، اين وجدت بعض الوثائق، والمراجع الهامة، وذهبت أيضا إلى مركز الأرشيف في أيكس أون بروفونس.
- وبخصوص هذه النقطة فإن الوثائق التي عثرت عليها مكتوبة إما باللغة العثمانية، وهذا شيء معقد للغاية، وإما مكتوبة باللغة العربية على شكل مخطوط، يجب الإطلاع عليه مرارا لفك ألغازه.

- من بين العراقيل نجد وجود فراغات في الأحداث ونقص التواريخ ، مما يصعب مهمة الباحث وتجعله يستعمل عدة وثائق ومصادر للمقارنة فيما بينها.
- وعلاوة على ذلك، هناك اختلاف الآراء حول عدة أمور سواء تعلق الأمر بأصل المملكة وعائلة آث القاضي، أو مكان تأسيسها، وسير أحداث بعض المعارك مثل المعركة التي وقعت بين خير الدين وأحمد اولقاضي في سنة 1520م، وكيف انتهت، وحول مدة حكم اولقاضي لمدينة الجزائر، وحول مقتل هذا الملك، فقد اختلفت الآراء المعاصرة، مثل مذكرات خير الدين بربروس، وما كتبه مارمولوهايدو.
- أضف إلى ذلك وجود الذاتية والأحكام المسبقة، إذ نجد مذكرات خير الدين تتميز بإبراز مكانة الأتراك وقدراتهم وأنهم متفوقون دائما على الآخرين و من بينهم الجزائريين ، وفي المقابل تصف أحمد اولقاضي بعد وقوع المعارك بين الطرفين بأنه جبلي، وجبان ونفس الشيء بالنسبة لعساكره وكل هذا يعتبر مبالغة، إلا أننا قمنا بالنقد وإزالة ما هو عاطفي ذاتي. ونفس الشيء ينطبق على كتاب جرجرة عبر التاريخ للمؤلف سعيد بوليفة، إذ نلاحظ الميل نحو سكان منطقة القبائل ويذكرهم دائما بصفات المجد والعظمة والذكاء، وهذا كذلك فيه خلط بين الحقيقة والمبالغة العاطفية.
- ومن بين الصعوبات أيضا نجد أن معظم المصادر والمراجع مكتوبة باللغة الفرنسية وترجمتها ليس بالأمر الهين، ولا يمكن أن تكون الترجمة مثل النص الأصلي.

# الفصل التمهيدي:

# الوصف الجغرافي لمنطقة القبائل الغربية

بلاد جرجرة هي المنطقة التي تقع بين البحر الأبيض المتوسّط من الشمال وحمزة(البويرة حاليا)من الجنوب ومجرى نهر يسر من الغرب، ومجرى نهر وادي الصومام من الشرق. وتقسّم سلسة جرجرة المنطقة إلى قسمين: قسم ساحلي موازي للبحر، وقسم داخلي. ويتصل القسمان بمضائق جبلية مشهورة تمثل نقاط هامة في مجال المواصلات وهي: ثيزي إشلاضن، وثيزي مشناق، وثيزي نبربر، وثيزي أوكفادو.

والمنطقة تعتبر جبلية بالدرجّة الأولى، وتفتقر إلى السهول، ومعظم السهول الموجودة بها عبارة عن أحواض داخلية ضيقة جدا.(1)

**1- الجبال**

نستطيع تقسيم جبال هذه المنطقة إلى أربع سلاسل وهي: سلسلة جرجرة، وسلسة معاتقة، وسلسة الساحل، وسلسة صغيرة تفصل يسر عن سيباو.

**أ- سلسلة جرجرة**

وهي أهم هذه السلاسل، كما أنها المركز الذي تتصل به هذه السلاسل الأخرى الموجودة بالمنطقة،وهي التي أطلق عليها الرومان إسم مونت فيراتوس Monts Ferratus أي جبال الحديد، وهذه التسمية إشارة إلى المقاومة التي كان يصطدم بها الرومان في كل مرة يحاولون فيها إقتحام هذه الجبال، حيث كان سكانها في كل مرّة يمنعونهم من دخولها.

إن أطول هذه الجبال لا يتجاوز 40 كلم، وتمتد من ثيزي أوجعبوب إلى ثيزي ثيرودة، وإتجاهها يكاد يكون موازيا للبحر، وهي لا تبعد عنه إلا بحوالي 50 كلم في أبعد نقطة. ففي

[1]- محمد سى يوسف، مقاومة منطقة القبائل للإستعمار الفرنسي"ثورة بوبغلة"، الأمل والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2000، ص9

أنظر أيضا

- Jules ,liorel, *la kabylie du djudjura* ,paris, ernest leroux, p3

الغرب تتدرج في الإرتفاع بعض الشيء،أما في الشرق فإنها تتدرج في الإنخفاض بإتجاه بجاية، ويتتابع إنخفاضها شيئا فشيئا حتى تصل إلى شاطئ البحر.

تقسّم قمة لالة خديجة جبال جرجرة إلى قسمين : قسم شرقي وقسم غربي، وكلاهما متوازيان، ففي الشرق نجد القسم الذي يلتحم بالكتلة بواسطة ثيزي إيكولال، وفي الغرب القسم الآخر الذي يلتحم بالكتلة بواسطة انتقراتN'taqerrat وبصفة عامة يعتبر علو هذه الجبال مرتفعا، فقمة

لالة خديجة تبلغ 2308م فوق مستوى سطح البحر، وازرو قوقون يبلغ ارتفاعه2209م، وتمغوط عيزر2066م والرأس الذي يطلق عليه إسم الإبرة 2036م.

يمكن الصعود إلى هذه القمم في مجملها منذ أواخر فصل الربيع إلى بداية فصل الخريف، ونجد أن الرعاة يتجهون إليها بماشيتهم، خاصة الغنم، ولكن مأن يحل شهر نوفمبر إلى غاية شهر ماي حتى تصبح الطرق المؤدية إليها صعبة، لأن الثلوج تغطيها طوال هذه المدّة، إلى جانب إنزلاق التربة بسبب الإنحدارات الشديدة.

والطرق الوحيدة التي تسمح بالإنتقال من جهة الجبل إلى الجهة الأخرى هي الممرّات التي تمّت الإشارة إليها سابقا، إلا أنها تصبح هي الأخرى خطيرة بسبب الثلوج التي تتراكم بها لمدة طويلة من الزمن، لأنها تقع على إرتفاع كبير نسبيا، فمثلا ثيزي بولمان (مضيق المرجة) يوجد على إرتفاع 1681 م ومضيق لصوال على إرتفاع1941 م ،و ثبورث ثملالت(الباب البيض)1628 م.[1]

و ثبورث بوزقر(باب الثور)1784م، ثيزي ايكولال 1578م، ثيزي أنقراط 1808م، ثيزي ناث وعبان 1766م.

يظهر المنظر العام لجرجرة أنه مهيب وعظيم في نفس الوقت، فإن القمم الحادة، والجوانب الصعبة التي تغطيها أشجار الأرز منذ القديم تعطي هذه الجبال منظرا خلابا قلّما نجده في

[1]- محمد سى يوسف ،المرجع السابق، ص9، 10

المناطق الأخرى، وهذه الأشجار تنبت إبتداءا من إرتفاع 1000م، لذا لا نجدها في المناطق القليلة الإرتفاع وتترك مكانها لأشجار البلوط التي تشكل بساطا من الخضرة في سفوح القمم العملاقة.

ويمكن القول أنّ هذه الجبال خليط من القمم والمنحدرات الوعرة المبعثرة بكثرة بطريقة غير منتظمة وتكثر في هذه المرتفعات حدائق من الأشجار المثمرة كالزيتون والتين والكروم، وتوجد أشجار غير مثمرة كالدردار والبلوط والصنوبر، كما تكثر فيها البساتين، ويخترقها عدد لا يحصى من الجداول التي تنبع من الجبال مكوّنة بعض الشلالات إلى أن تصل إلى الوديان.

تتفرّع من جرجرة بعض الجبال بشكل عمودي على إتجاهها الرئسي، وأهمها ثمانية:

– أول هذه الجبال نجده عندما تنطلق من الغرب بإتجاه الشرق وتقطنه قبيلة أيت وكدال، وهي جزء من تحالف آث صدقى، يبلغ طول هذا الجبل حوالي 7كلم، وينحدر نحو ثيزي البرج مرورا بقرى أيت وحلان التي تقع على إرتفاع 789م وأيت محمود 755م، ثم يرتفع نحو الشمال بإتجاه قرية ثوريرث انتزقي 682م، بحيث تتفرع إلى قمّتين ثانويتين تحتلها قرى أيت سعيد وعلي579م، وثحشّاط، هذا بالنسبة للقمة الأولى. أما الثانية فنجد فيها: أعزيب أيت سيدي لونيس، وتل إغيل قزلان. [1]

– الجبل الثاني: يبلغ طوله حوالي 4كلم، وتسكنه قبيلتا أيت بوعكاش وأيت واسيف اللّتان تنتميان لتحالف"إقواوان" وتتجمع على قمة قرى: ثيقمونين،زاكنون، تيقيشورط على إرتفاع 672م وتقيضونت على إرتفاع 670م، زُوبقة، ايت بوعبد الرحمن، أيت عباس710م.

– الجبل الثالث: وهو من أهم الجبال المكوّنة لهذه السلسلة وتتقاسمه قبائل آث بوذرار، آث واسيف، آث يني، وتوجد على مرتفعاته التي يزيد طولها 10كلم، القرى التالية: إغيل ثمدا، أيت علي اوحرزون، تسافت أقمّون، ايت ارباح، ثوريرث الحجاج، ثوريرث ميمون، آث لربعا، آث لحسن.

[1]–محمد سى يو يوسف ،المرجع السابق، ص 10، 11

– أما الجبال: الرابع والخامس والسادس، فتختلف في الطول حسب ما هي مذكورة وتنتمي هي الأخرى لإيقاواون، وتسكنها القبائل التالية: آث بوذرار، آث عطاف وأقبيل.

وأهم هذه الجبال كلّها هو الجبل الثامن الذي يشكل دائرة طولها حوالي 20كلم ويحتضن كل الجبال التي ذكرناها في البداية، وتتركز على قمته الممتدة على شكل طولي القرى التالية: ثزروتس، تِفرضوث، تسكنفوتس، أزرو قلال، أقمون، إيزم، إشريضن، الأربعاء ناث ايراثن،

Fort National"جبل حصن نابليون" وهذا الجبل أطلق عليه الفرنسيون في كتاباتهم إسم ويعتبر أهم فرع من سلسلة جرجرة، ويتفرع من قمّته الكثير من الجبال الأخرى، مثل العمود الفقري الذي تتفرع عنه الضلوع ،وفي نهايته عند الأربعاء نات ايراثن، يتفتح إلى عدد من الخطوط تسكنها الفروع التابعة لتحالف آث ا يراثن، والقبائل التي تسكن الفروع الجانبية هي: ايت يوسف، ايت منقلان، ايقاواون، ايت بوعكاش، ايت ايراثن. (1)

أما من جهة سيباو، فنجد قبائل: ايث يتسوراغ، ايت يحي، ايت بوشعايب، ايت خليلي، ايت فراوسن، ومن جهة أخرى نجد هذا النظام في شمال ثيرورده، ويمتد على مسافة طويلة، وأهم فروعه هي تلك التي تسكنها قبائل إيليلتن،ايلولن أومالو، إلا أن أهميتها دون الأولى.

**ب– سلسلة معاتقة**

وتظهر هذه السلسلة كأنها إمتداد لجبل الاربعاء ناث ايراثن ويفصلهما واد عيسي. وهي تتكون من مجموعة ضلوع، أهم قممها هي: سوق الاربعاء، إفليسن أم الليل التي تقع على إرتفاع 896م، تمازيرت892م، الاربعاء، آث دوالة891م.

ويوجد طريق يربط هذه المنطقة بالاربعاء ناث ايراثن، ويقطع هذه السلسلة في مناطق عديدة، بالخصوص في مضيق ثيزي غنيف، ثيزي إنتذلس، ثيزي نتسلاثة، وينخفض الجبل فجأة ليصبح على شكل تلال ما بين وادي بوقدورة ووادي عيسي، ثم يرتفع من جديد ليشكل جبل آث بوخالفة.

[1]–محمد سي يو يوسف ،المرجع السابق،ص 11، 12

**ج- السلسلة الساحلية**

في شمال أكفادو، تنفصل سلسلة تسير موازية للبحر إلى أن تصل إلى مستوى دلّس، وتوجد فيها مثلا قمة ثمغوط آث جناد التي يبلغ إرتفاعها1200م فوق مستوى سطح البحر، ونجد كذلك جبل آث لربعا876م، وهما أهم المرتفعات التي توجد في هذه السلسلة.

**د- سلسلة بوبراق**

أطلق على هذه السلسلة إسم بوبراق وهو إسم أعلى قممها يبلغ إرتفاعها684م، تنفصل عن سلسلة معاتقة في نقطة توجد في شمال الناصرية، وتتجه نحو الشمال على شكل قمّتين تفصل حوض يسر عن سيباو.

**2-السهول**

تعتبر البلاد فقيرة من حيث السهول، ويتمثل الموجود منها في بعض الأحواض الداخلية أهمها: حوض وادي الساحل وحوض سيباو وحوض ذراع الميزان الضيّق وحوض يسّر. وإلى جانب هذا توجد مساحات ضيقة جدا من السهول الساحلية أهمها تلك الموجودة مابين يسر ودلس وكذلك قرب بجاية، خصوصا شرق مصب وادي الساحل.[1]

[1]-محمد سى يو يوسف ،المرجع السابق،ص 12، 13

# الباب الأول

# أصل مملكة كوكو وظروف تأسيسها والمراحل التي مرت بها

**الفصول:**

**-الفصل الاول:اصل المملكة و ظروف تأسيسها**

**-الفصل الثاني:المراحل التي مرّت بها**

## الفصل الأول: أصل المملكة و ظروف تأسيسها

### أولا:أصل المملكة

**تمهيد:** من بين الممالك التي ظهرت في الجزائر في القرن 16م، نذكر مملكة كوكو التي تأسست في مطلع القرن 16م في ظروف خاصة منها طرد المسلمين من إسبانيا بعد سقوط غرناطة 1492م ثم توسّع إسبانيا على حساب سواحل شمال إفريقيا مثل المغرب والجزائر، وفي الجانب الآخر برز الإخوة عروج وخير الدين في البحر الأبيض المتوسط، بإنقاذهم للكثير من المسلمين الفارين من إسبانيا ومحاربتهم لهذه الدولة. وبخصوص مملكة كوكو وأصلها، تباينت الآراء حول ذلك بين المؤلفين. ترى ما هي هذه الأراء حول أصل المملكة؟

**1-الآراء المختلفة حول اصل المملكة:**

**أ- رأي فيرود L.ch Feraud**

يرى هذا المؤلف، الذي إطلع على عدّة وثائق أصيلة تملكها ذرية وخَلفَ سي أحمد اولقاضى أن أصل المملكة يرجع إلى الأدارسة، وملوك فاس وتلمسان، وبالتالي إلى الرسول محمد(ص). جدّ العائلة هو اعمر بن دريس، الذي كان يحكم قبائل (عروش) صنهاجة في سنة 888م. وعندما سقطت مملكة الأدارسة، إتجه هذا الفرع إلى كوكو في جرجرة ، أين عاش فترة طويلة بعيدة عن الأضواء.

أسّس هذا الفرع زاوية ذاع صيتها بعد مدّة، ثم أصبح لهذا الفرع نفوذ ديني ولعائلة آث القاضي. لو نتقبل هذه الرواية سنفكر بأن سي أحمد اولقاضي أتى مباشرة للإستقرار في كوك

**ب- رأي نيل روبان N.Robin**

هذا المّؤلف قدم تفسيرا قريب جدا من رأي فيرود[1] فحسب المعلومات المحتملة، فإن أحمد اولقاضي يرجع إلى سلالة اسماعيل الفاسي من الأغواط. هذه الأخبار موجود في مخطوط كان يملكه رجل من بني تور[2]

1-(H) Genevois,Legende des rois de koukou,N121,1974,p3

2-Idem,p10.

**ج- رأي سعيد بوليفة**

هذا المؤلف أعطى رواية معتمدا على التقاليد الشفوية التي جمعها من سيباو الأعلى وحسب هذه المعلومات فإن جدّ العائلة رجل من قبيلة آث غوبرى، وهذا المؤلف إعتبر هذا العرش قرية لكنّها في واقع الأمر قبيلة(عرش)، وهذا الرجل من أصل مرابطي وهو عالم قانوني محبوب من طرف السكان إنتبه إليه ملك ذلك الزمان، وبدون شك هو حاكم بجاية التابع للدولة الحفصية في تونس فنصبه في أعلى الوظائف.

كان ذكيّا ونشيطا، وبعلمه في القانون، أصبح قاضي القضاة ومنذ تلك الفترة وبسبب شهرته أصبح خَلَفُه يلقبّون " آث القاضي".

الشخص الذي أسّس مملكة كوكو وهو أحمد اولقاضي(بن القاضي) الذي كان موظفا في الدولة الحفصية بتونس، عاد إلى قرية أورير في قبيلة آث غوبري البلد الأصلي له، لأن القاضي الذي انحدرت منه عائلة آث القاضي هو العالم المسمى أبو العباس الغبريني الذي عاش في بجاية في مطلع القرن 14م[1]

وقال عنه المؤرخ إبن خلدون بأنه قاضي كبير في بجاية أثناء الفترة الحفصية من أصل آث غوبري في منطقة القبائل الغربية، عرف بكتاب"عنوان الدراية" الذي تضمنه تاريخ العلماء الكبار الذين عاشوا في بجاية ما بين الربع الأخير من القرن 12م ونهاية القرن 13م. وذكر أيضا في هذا الكتاب، الطرق التعليمية المستخدمة في بجاية في تلك الفترة، والمدارس وأهم المراجع الموجودة.

ولد أبو العباسى الغبريني في سنة 644هـ/1246م في قبيلة آث غوبري التي أعطت للعصر الوسيط العديد من العلماء ومنهم أبو العباس أحمد الذي كان مركز العلم الإستثنائي

[1]-(S) Boulifa,*Le Djurdjura à travers l'histoire ou l'indépendance des Zouaoua,depuis l'antiquité jusqu'en 1830,*Edition Bringo,Alger,1925,pp76,77

وإبنه أبو القاسم التونسي كان مفتيا وقاضي كبير في تونس، وحسب بعض المصادر كان أبرز علماء تونس.

ويعتبر أبو العبّاس الغبريني فقيها مشهورا، تقلّد وظيفة القاضي وأصبح قاضي القضاة. إنتمى إلى الوسط الثقافي لمدينة بجاية أثناء الأيام الأخيرة التي قضاها الفيلسوف الكبير الكتالاني ريموند لول[1].

شارك في المفاوضات التي قام بها أمير بجاية أبو البقاء مع الملك التونسي في سنة 704هـ/1304م وإتُهم بالخيانة فأغتيل في سنة 1314م

أنهى أبو العباس الغبريني كتابه: عنوان الدراية، بسجل ذكر فيه أساتذته القدماء وبالنصوص التي درسها والشهادات التي تحصّل عليها.

كان هذا العالم كما ذكرنا آنفا، فقيها ودرس فقه اللّغة والحديث والتفسيروالمنطق. وكانت لديه معارف واسعة في التخصّصات الأخرى إذ درس الطب على يد الطبيب البارز الذي كان يداوي أمراء بجاية،الأموي إبن أندراس، فدرس على يده أرجوزة إبن سينا[2]

**إستنتاج:**

من خلال التطرق إلى الآراء الخاصة بأصل مملكة كوكو، يمكننا القول بأن الرأي الذي قدّمه نيل روبان يشترك مع الآراء الأخرى في نقطة واحدة وهي أنّ العائلة إنحدرت.من مدينة فاس، التي أسسها الأدارسة الذين ينحدرون من نسب العلويين، وبالتالي من أهل بيت الرسول محمد (ص) ويشترك الرأيين مع رأي سعيد بوليفة الذي يرجع أصل العائلة إلى المرابطين، ومن هنا تشترك الآراء الثلاثة في نقطة الدين.

إلا أن رأي روبان يتطرق إلى شخصية إسماعيل الفاسي من الأغواط، وبأن المعلومات تضمنّها مخطوط لرجل من بني تور، ولو نفترض أنّ ذلك كان صحيحا لماذا لم يعد مؤسس

1-(DJ),Aissani « *Al Ghobrini1246-1314* »in Hommes et Femmes de kabylie,dir Salem Chaker,ed INA-YAS/EDISUD v1,Alger,2001,pp132-134

2- Idem, P133,134.

المملكة أحمد اولقاضي إلى تلك المناطق الصحراوية من أجل تأسيس مملكته، بل ذهب إلى عرش آث غوبري.

وبخصوص الأصل الذي قدمه الرأيين الأول والثاني والذَين يُرجعان أصل العائلة إلى الادارسة وبالتالي إلى العلويين الشرفاء، هذا يحتمل الخطأ لأنه في تلك الفترة، كل من يريد ان تكون له مكانة عالية في المجتمع أو يريد أن يتقلّد إحدى الوظائف العليا، يتخلى عن نسبه وينسب عائلته إلى الشرفاء وبالتالي إلى عائلة الرسول (ص).

وإذا قارننا بين كل من رأي فيرود وبوليفة، يمكن التوفيق بينهما، وبالتالي قد يكون أصل العائلة من الدولة الادريسية التي سقطت، ففرت إلى المغرب الأوسط( الجزائر حاليا) فإستقرت في كوكو وأسست زاوية هناك، ثم شيئا فشيئا أصبح لهذه العائلة شهرة. وهذا هو السّر في إختيار أحمد اولقاضي كوكو عاصمة له، خاصة بعدما ساءت العلاقة مع خير الدين بسبب قضية مقتل أخوه عروج في تلمسان. إذ لو لم يكن هناك أثر ودور لعائلته في الماضي في قرية كوكو لما إتجه إليها بهذه السهولة، إذن هناك مايربطه بهذه القرية خاصة وأنها منطقة جغرافية وعرة المسالك جبلية مرتفعة يصعب للأتراك الوصول إليها فهي محصّنة جغرافيا.

ومن هنا، ورغم صعوبة التعرّف على أصل مملكة كوكو بسبب تضارب الآراء ، إلا أنه كما قلنا سابقا؛ توجد حلقة تربط بين هذه الآراء وهي الأصل الديني، بالإضافة إلى قرية كوكو التى تربط بين رأي فيرود والواقع التاريخي الذي يبين أن أحمد اولقاضي إختار قرية كوكو ليجعلها عاصمة له وهي القرية التي أسس فيها الفرع الذي فرّ من فاس بعد سقوط الأدارسة زاوية.

و قاضي القضاة الذي تطرق إليه سعيد بوليفة بأنه سلف العائلة الملكية وهو من عرش آث غوبري، قد يكون من الفرع الذي أسس زاوية في كوكو ثم إنحدر إلى تلك المنطقة. وهذا القاضي هو أبو العباس الغبريني ، فلمّا قتل فرّت زوجته إلى تونس وكانت حامل فأنجبت هناك.

ويعتبر أحمد اولقاضي الذي حكم عنابة في بداية القرن 16م من أحفاد أبو العباس الغبريني ومن خلفه وبالتالي ليس هناك عجب في عودته إلى أرض أجداده قبيلة آث غوبري.

وحسب الذاكرة الجماعية، فإن الإسم الحقيقي لعائلة آث القاضي هو أيت مسعود، ومازال هذا الإسم موجود الى حد الآن في قرية اورير، و يوجد أحفاد العائلة ايضا في قرية ثيفلكوث بإيليلتن و في قرية أيت سعادة بإعطافن وفي مناطق أخرى.

أما إسم آث القاضي فهو يرجع إلى إسم الوظيفة التي شغلها جدّ العائلة و هي سلك القضاء،عندما كان في بجاية قاضي القضاة هذا الجد هو أبو العباس الغبريني .و الى حد الآن نجد في تيزي وزو و بجاية و غيرها من المناطق إسم العائلة بلقاضي.

**ثانيا: ظروف تأسيس مملكة كوكو**

شهدت منطقة شمال إفريقيا في أواخر القرن 15 ومطلع القرن 16م مرحلة الضعف والتدهور بسقوط الدول الثلاثة التي حكمت المنطقة وهي الدولة الحفصية والدولة الزيانية والدولة المرينية. وفي الأندلس سقطت غرناطة في سنة 1492 فأصبحت العديد من السواحل في قبضة إسبانيا والبرتغال، ومن جهة أخرى برزت قوة الدولة العثمانية بعد فتح القسطنطنية 1453 وحدث الصراع بين العثمانين المسلمين و الإسبان المسيحيين,و في سواحل البحر الأبيض المتوسط برز دور الإخوة عروج وخير الدين. في هذه الظروف المكهربة، أسس أحد أحفاد أبو العباس الغبريني وهو أحمد أولقاضي مملكة عرفت باسم مملكة كوكو. ترى ماهي الظروف التي سادت في شمال إفريقيا قبل وأثناء تأسيس المملكة؟ وكيف تأسست؟

**1- تفكك دول شمال إفريقيا والتنافس الإسباني عليها**

عاشت منطقة شمال افريقيا في أواخر القرن 15 ومطلع القرن 16م تفكك دوله لعّدة أسباب، من بينها النزاعات فيما بينها عوضا عن الإهتمام بتقوية إقتصادها وجيوشها، وهذه الدول هي الدولة الحفصية التي إمتدت من تونس إلى منطقة القبائل، والدولة الزيانية التي إمتدت من منطقة القبائل إلى تلمسان غربا، و الدولة المرينية التي حكمت في بلاد المغرب الأقصى.[(1)]

هذه الوضعية فسحت المجال للإسبان الحاقدين على الإسلام والمسلمين للتوسع على سواحل شمال إفريقيا ومن بينها سواحل الجزائر، إذ إستطاعوا الإستيلاء على المرسى الكبير بين 09 سبتمبر و23 أكتوبر 1505، ثم جاء دور مدينة وهران؛ وحوّلوا مسجدين إلى كنيستين في ماي 1509. و استولوا ايضا على مدينة بجاية التي قاومت قليلا ثم سقطت في جانفي 1510.وفي مدينة الجزائر إستولى الإسباني بيدور نافارو على جزيرة صغيرة بالقرب من المدينة وأسس فيها

[1]. (H)Bilek « *problématique* »,journée d’études sur le royaume de koukou,tizi ouzou,2001,p9 .

حصن البنيون في سنة 1511 ووجه المدافع على بعد 300متر من المدينة [1]

## 2- بروز الإخوة عروج وخير الدين

إن الإخوة بربروس يمكن إعتبارهم أبطالا صقلهم التاريخ لخدمة مسلمي إفريقيا، عددهم أربع أبناء لرجل من جزيرة متيلان. كان يعمل في الفخار وأظهر عروج وإخوته منذ نشأتهم ميلا خاصا إلى معارك البحر. ونقل عروج نشاطه إلى غرب البحر الأبيض المتوسط . وفيما بين 1504و 1510 ذاع صيته بين المسلمين نظرا لإنقاذه للألوف من المسلمين ونقلهم إلى سواحل شمال إفريقيا؛ وكانوا أمام خطر الإسبان.

ولما سمع به الملك الحفصي، سمح له مع إخوة خير الدين بالنشاط البحري والتزود من موانئه وجزيرة جربة .[2]

## 3- تأسيس مملكة كوكو على يد أحمد اولقاضي

أمضى الشاب أحمد اولقاضي شبابه في مدينة بجاية التي شهدت في العصر الوسيط إشعاعا ثقافيا إمتد إلى خارج المغرب وتحدث عنه معاصرين أمثال إبن معسكر وجنابي وذكروا بأنه عالم وفقيه، وإشتغل في وظيفة القاضي وبعد نجاحه في هذه الوظيفة إرتقى إلى منصب خليفة لمنطقة عنابة (بونة) التي ترتبط بها منطقة القبائل .

ويجب التوضيح بأن الدولة الحفصية شهدت صراعات داخلية وعائلية من أجل الوصول إلى السلطة؛ وأن نفوذ الدولة لا يتعدى عاصمتها وضواحيها، ومن هنا تم ترقية أحمد اولقاضي إلى منصبه الجديد في عنابة من أجل قطع الطريق على الأخطار التي تعترض وتهدد الدولة. خاصة وأن هذا الشخص رزين وشجاع وليس هناك رجل مثله يقوم بتلك المهمة.[3]

---

[1] -(Ch.A)Julien,*Histoire de l'Afrique du nord,* Ed Payot et rivage,paris2,pp250-252

[2] - Idem,p254

[3]-(O)Nait Djoudi,*Le Royaume de Koukou :chronologie et géographie des lieux,*actes,journée d'étude sur le royaume de Koukou,Tizi ouzou,2001,pp17,18

.

ثم بعثه السلطان الحفصي لمساعدة الإخوة بربروس من أجل تحرير مدينة بجايةو[1]عندما وصل إلى البابور إستقبلته مختلف القبائل من أجل وضع نفسها تحت قيادته. وفي سنة 1511 إتجه أحمد اواقاضي إلى جبال جرجرة من أجل تأسيس مملكته وعاصمته الأولى وهي قرية أورير التابعة لعرش آث غوبري، وهذه المنطقة ليست غريبة عنه إذ هي منطقة أبو العباس الغبريني جده المعروف[2]

وحسب المؤلف روبان نيل فإن مملكة كوكو إنحصرت في الضفة الشرقية لوادي سيباو.[3]

---

1 -(S)Boulifa,op.cit,p61
2 -(O)Nait Djoudi,op.cit,p,18.
3 -(N) Robin, *la grande kabylie sous le régime turc*, l'artisan, Alger, P.33.

**الفصل الثاني:**

**المراحل التي مرت بها مملكة كوكو**

**تمهيد:**

بعدما تأسست مملكة كوكو في سنة 1511 في قرية أورير التابعة لعرش آث غوبري. بدأت المرحلة الأولى من تاريخ المملكة، وكان أوّل ملك لها هو أحمد اولقاضي الذي إستمّر في الحكم إلى غاية 1527، ثم تولى مكانه أخوه سيدي الحسين، وإستمّرت المرحلة الأولى إلى غاية سنة 1618 وهو تاريخ مقتل الملك أعمر اولقاضي بسبب طغيانه وظلمه، ثم بدأت مرحلة

إبوختوشان وإستطاع إبن الملك المقتول حند اولقاضي المدعو التونسي ،أن يثأر لمقتل والده في سنة 1633م. وإستمرت المرحلة إلى غاية سقوطها وإندثارها في سنة 1767.

**1 –مرحلة اث القاضي 1511–1618**

**–أشهر الملوك:**

**أ– الملك أحمد اولقاضي**

لمّا تأسست مملكة كوكو في سنة 1511 على يد أحمد أولقاضي أحد أحفاد القاضي الكبير المعروف في بجاية وهو أبو العباس الغبريني، إنضمت إليه القبائل البحرية، وقَبِلَ أن يكون تحت رعاية وحماية القبائل الجبلية العليا، تحالف مع عروج من أجل تحرير بجاية في السنوات 1512، 1513.[(1)] لكن بدون جدوى بسبب حصانة المدينة على يد الإسبان وفقد عروج ذراعه في سنة1512، فذهب به أخوه خير الدين إلى تونس من أجل تضميد جراحه فكان ذلك سببا لانهزامهم.

[1]– أ رزقي شويتام، إمارة كوكو 1711–1767، ص 10، In Actes journée d'etude sur le royaume de Koukou,maison de la culture Mouloud Mammeri,Ttzi ouzou,2010.

ثم غيرّ الإخوة بربروس وجهتهم إلى جيجل من أجل تحريرها من أيدى الجنويين؛ فساعدهم أحمد اولقاضي الذي جمع 20ألف رجل من أجل محاربة الأعداء، خاصة وأن هؤلاء لديهم رغبة جامحة لمحاربتهم.

حاول الجنويون الدفاع عن الميناء إلا أنّ هجمات أحمد اولقاضي وعروج برّا وبحرّا وبأعداد كبيرة جعلتهم لم يصمدوا كثيرا، خاصة وأن المؤونة منعدمة، وبالتالي استسلمت جيجل للعثمانيين وأحمد اولقاضي وكان ذلك في سنة 1514م.(1)

وبطرد الجنوبيين من جيجل إستعاد الميناء القبائلي الصغير حريته ونشاطه السابق، وأكثر من ذلك أصبح قاعدة هامة للحرب ضّد المسيحيين، وذلك يعود لتحصينه من طرف عروج، و لموقعه الجغرافي.

ولم يتوقف طموح عروج عند هذا الإنتصار، وإنما أراد أن يغتنم فرصة وجود قوات أحمد اولقاضي من أجل شن هجوم آخر على بجاية.

وكان الإسبان في هذه المدينة حذرون من خطورة الأحداث في جيجل ووصل إليهم الخبر بالقرار الذي إتخذه عروج وهو الهجوم على بجاية، فضاعفوا مجهوداتهم من أجل توفير المؤونة والدفاع أكثر عن المدينة من جهة البحر.

وعندما وصل الأتراك مع قوات أحمد اولقاضي، وجدوا المدينة محصنة جيدا، وبعد محاولات الإقتراب منها بدأ الأتراك الهجوم برا وبحرا، لكن بدون نتيجة بسبب دفاع الإسبان عن المدينة بكل قدراتهم، مما جعل الأتراك ينسحبون منها، ونتج عن ذلك عدة خسائر بسبب تدمير سفنهم وتكسيرها من طرف الإسبان.

وبإقتراب عروج من منطقة القبائل لأول مرّة، إندهش من الخصائص الحربية لسكان المنطقة وتعّرف على ذكائهم وشجاعتهم.

1-(S) Boulifa, op.cit, p 62.

ونشأت صداقة بين أحمد اولقاضي وعروج، وذاع صيت هذا الأخير سواء في التل أو في المدن أو في الأرياف، بأنه المنقذ وبأنه سيحرّر الإسلام في إفريقيا من التهديد المسيحي، هذا كلّه راجع إلى إنتصاره في جيجل وحصاره لمدينة بجاية؛ وأصبح بذلك قائدا عسكريا كبيرا.

لكن الإسبان بدؤوا يخططون للهجوم على مدينة الجزائر وكان هذا التهديد سائدا في المدينة منذ إستقرارهم في حصن البنيون، وبسبب هذه الوضعية طلب سكان المدينة من حاكمهم سالم التومي توفير الأمن.(1)

إستغل القبائل الساكنون في المدينة هذه الوضعية، فقاموا بدعاية قوية من أجل طلب العون من عروج. ومن هنا إقتنع حاكم الجزائر سالم التومي بهذا الرأي، فأرسل مجموعة من الرجال إلى عروج لطلب المساعدة ضدّ الإسبان لإخراجهم من حصن البنيون وكان ذلك في سنة1516م.وبعد التشاور فيما بين عروج وأحمد اولقاضي، خططا للهجوم على مدينة الجزائر، الأول بحرا والثاني برا.

ومن هنا إتخذ تاريخ الجزائر مظهرا جديدا، فأصبح إبن صانع الفخار **(عروج)** في أعلى المهام، وإنتقل من مجرد مغامر إلى أشهر ملوك الجزائر.(2)

وحسب ما ذكره هايدو في كتابه تاريخ ملوك الجزائر، فإن عروج قبِل المهمة بفرح كبير ليس فقط من أجل الهدايا والعلاوات الكثيرة التي سيتحصل عليها في المدينة ومن طرف حاكم المدينة، وإنما كان ينظر بعيدا بأن يصبح سيدا وحاكما على البلاد ويتولى حكم المدينة الهامة الغنية والملائمة للقرصنة،على حد تعبيره.(3)

ومن خلال ما ذكره هايدو، نلاحظ بأن لديه أفكار مسبقة، ومنها أنّ همّ الإخوة بربروس منفعي مادي بحت وهو الثروات والحكم، بالإضافة إلى إستعماله لكلمة "**القرصنة**" وهي لاتليق

---

1- S Boulifa,op.cit, pp62-65.
2- Idem, p65.
3-Fray diego.De HAEDO ,,1881, *Histoire des rois d'Alger*, Traduction de H.D.DE GRAMMONT,Adolphe Jourdan,Alger,1881, p17.

في حق الإخوة الذين قاموا بإنقاذ الكثير من المسلمين في البحر من مطاردة الإسبان الذين أخرجوهم من إسبانيا ولم يكتفوا بذلك بل طاردوهم وإستولوا على بعض المناطق الساحلية في شمال إفريقيا مثل سواحل المغرب الأقصى والجزائر. ومن هنا يمكن القول بأن القرصنة قام بها الإسبان والبرتغال، أمّا ما فعله عروج وخير الدين بمساعدة أحمد اولقاضي فهو دفاع عن النفس وجهاد ضد المسيحيين للحفاظ على أمن وسلامة بلدان شمال إفريقيا.

إنضم إلى أحمد اولقاضي وعروج الكثير من سكان منطقة القبائل سواءا من جرجرة أو دلّس مشبعين بروح الإسلام؛ وإستطاعت هذه القوات الدخول إلى مدينة الجزائر، وبعد ذلك قَتَل عروج حاكم المدينة سالم التومي في الحمام وأصبح ملكا على المدينة.[1]

عمل عروج على تنظيم مملكته التي إمتدت إلى الشلف، فقسمها إلى مقاطعتين: مقاطعة الشرق ومقاطعة الغرب، وعيّن على كل واحدة منها شخصية مؤثّرة ومساندة لقضيته.

ومن هنا منح المقاطعة الشرقية والتي تتضمن القبائل الغربية ما سمي فيما بعد– القبائل الكبرى– لأحمد اولقاضي وعامله كالأمير أثناء وجوده في المملكة. وهكذا عاد أحمد اولقاضي إلى منطقة القبائل وبالضبط إلى قرية أورير التابعة لعرش آث غوبري. وحسب سعيد بوليفة فإن تأسيس مملكة كوكو يرجع إلى تاريخ 1516 بعد الهجوم على مدينة الجزائر بمساعدة عروج.[2]

إلا أن الواقع يبيّن بأن تاريخ تأسس المملكة يرجع إلى ماقبل ذلك، إذ كيف يمكن لأحمد اولقاضي أن يعود من تونس منذ سنة 1510 ويساعد عروج في الهجمات ضدّ الإسبان في بجاية، ثم تحرير جيجل ثم الزحف على مدينة الجزائر بدون أن يكون حاكما على مقاطعة أو مملكة ما، إذ يستحيل جذب السكان وإستمالتهم إليه بدون معرفتهم له. وبالتالي يمكن القول بأن التاريخ الأنسب لتأسيس المملكة هو سنة 1511. خاصة وأنّ سبب مجيئ أحمد اولقاضي من عنابة إلى منطقة القبائل يتمثل في إستيلاء الإسبان على مدينة بجاية في سنة 1510، وبالتالي يمكن القول بأن تأسيس مملكة كوكو يعتبر موقف وردّ فعل على إحتلال بجاية.

[1]-(S) Boulifa, op. cit, pp66 ,67
[2]-(S)Idem,p73.

بعد إستعانة سكان تلمسان من عروج وخير الدين ضدّ الإسبان والحاكم أبو حمو الثاني الذي رضخ لهم. توجّه عروج وأحمد اولقاضي نحو تلمسان وقُتل عروج هناك في سنة 1518، وكان أحمد اولقاضي قد إنسحب قبل إنتهاء المعارك وترك حليفه وتوجه إلى بلاد القبائل وبالضبط إلى كوكو التابع لعرش آث يحي، من أجل تأسيس عاصمته الجديدة المحصّنة طبيعيا إذ أنّها تقع في منطقة مرتفعة يصعب للعدو الوصول إليها. وكان يعلم بأن السكان سيكونون إلى جانبه ضدّ الأتراك، الذين بدون شك سيعملون على إسترجاع الثأر وخاصة خير الدين.[1] وحسب مذكرات خير الدين، ليس هناك مؤامرة من طرف أحمد اولقاضي في تلمسان إذ لم يشر إلى ذلك البتة خاصة وان والده أبو العباس على علاقة جيدة مع خير الدين في تلك الفترة.

فحسب ما ورد في هذه المذكرات، والتي ترجمها محمد دراج، والتي تعدّ في غاية الاهمية من حيث قيمتها التارخية، بإعتبارها مصدرا أصليا وأساسيا لتلك المرحلة أي فترة تواجد خير الدين في الجزائر وهي النصف الأوّل من القرن 16.[2]

فإن شخصية أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن القاضي كان أحد عظماء العرب بالجزائر وكان يكنّ له قدرا كبيرا من الصدق و المودة و حاول سلطان تونس أن يحرّضه للخروج ضد خير الدين، إلا أنه لم يوافقه على ذلك ودعاه إلى طاعة الاتراك والتبعية لهم.[3]

يجب الإشارة هنا الى أن إعتبار خير الدين شخصية أحمد بن القاضي أحد عظماء العرب لم يكن يقصد من ذلك الاصل العربي و إنما السكان ككل و لم يكن يُميّز بين الاصل العربي و الأصل الامازيغي .

حاول عروج مرتين تحرير مدينة بجاية من الإستعمار الإسباني بمساعدة إبن القاضي لكنّهما فشلا في ذلك، مثلما حدث في سنة 1514، إذ قام عروج بإغلاق ميناء بجاية بأربعة سفن

---

1-(H). Genevois, op.cit, p 3

2– مذكرات خير الدين بربروس ، ترجمة محمد دراج ، شركة الاصالة للنشر والتوزيع ، الجزائر،2010، ص13.

3– نفسه، ص109.

وحاصر قلعتها بمائتين من الأتراك و بضعة آلاف من البربر وهم  احمد اولقاضي وعساكره، إلا أنّه لم يتمكن من تحريرها نظرا لحصانتها، وفقد في هذا الحصار ذراعه اليسرى وعددا كبيرا من رجاله.

وفي نفس السنة إستطاع تحرير جيجل من الجنوبين بمساعدة أحمد بن القاضي، وفي سنة 1516 إتفق عروج وخير الدين على الإتجاه نحو مدينة الجزائر المهددة من طرف الإسبان الذين قاموا بحصن في البنيون 1511، فإتجه عروج وخير الدين بحرا وأحمد بن القاضي برا والتقت قواتهم في مدينة الجزائر، وذلك بعدما طلب أعيان مدينة الجزائر وعلى رأسهم حاكم المدينة سالم التومي بإرسال وفود إلى جيجل يحثون الإخوة بربروس على تقديم المساعدة لهم.(1)

وبعد ما أشاع الإخوة بربروس الأمن والإستقرار في البلاد وتصدى خير الدين لحملة هيفودي مانكادي الإسبانية، قرّر خير الدين الرحيل، فكان ذلك صدمة في نفوس سكان مدينة الجزائر، فأرادوا أن يبقى في الجزائر لحماية البلاد والعباد من الخطر الإسباني الذي يهدّدهم. فبعثوا وفد

إلى إستانبول والباب العالي أين يقيم السلطان العثماني سليم الاول.(2)  وكان ذلك في سنة925هـ1519م. ويتقدم هذا الوفد الفقيه أبو العباس أحمد بن القاضي، وذلك قبل إستقرار الحكم العثماني في الجزائر، وقدّموا رسالة أهالي الجزائر إلى السلطان العثماني.

---

[1]-(S) Boulifa, op cit,p 62.

[2] – محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس(1512–1543)، الأصالة للنشروالتوزيع،الجزائر ،2011،ص.ص172،171.

[3]– فاضل بيات،البلاد العربية في الوثائق العثمانية،النصف الاول من القرن الاول من القرن 10هـ16م المجلد الاول،تقديم خالدران، مركز الابحاث للتاريخ والفنون الاسلامية إرسيكا،إستانبول،2010ص ص151– 155

تطرّق الأهالي في رسالتهم إلى الأوضاع العامة التي كانت تمرّبها المنطقة ولاسيما بعد ما طُرد المسلمين من الأندلس من طرف الإسبان وإستيلاء هؤلاء على قلعة وهران وبجايةوغيرها.

وذكر الاهالي للسلطان بأن الإسبان بصدد التخطيط لإحتلال مدينة الجزائر ويسعون للسيطرة عليها، ووجدوا أنفسهم مضطرين إلى طلب الصلح معهم خوفا على أرواحهم وأموالهم، إلّا أنّ الإسبان لم يستجيبوا لطلبهم وخططوا لإحتلال المدينة.

وتطرقوا في هذه الرسالة إلى بروز الإخوة بربروس وعلى رأسهم أروج( عروج) الذي نجح في تحرير مدينة بجاية من الإحتلال الإسباني بعد أن تلقى الدعم من الأهالي ويتقدمهم المجاهد الفقيه أبو العباس أحمد بن القاضي.

بعد إخراج الإسبان من بجاية إتجه أروج بك إلى مدينة الجزائر وإستطاع إبعاد الخطر الإسباني عنها، وبعد أن إستشهد عوّضه أخوه خير الدين الذي توصل إلى إستتباب الأمن والعدل في المنطقة.

وأشار الأهالي إلى أن صدور الأمر بتوجّه خير الدين إلى إستانبول، أوقع هلعا وخوفا في نفوس الأهالي لأنهم أدركوا أن غيابه سيؤثر سلبا على الجزائر بالفراغ الذي سيتركه الأمر الذي يستغله الإسبان لتحقيق مصالحهم، بالإضافة إلى ذلك فإنّ السكان تعلّقوا بخير الدين كثيرا وإعتبروه المنقذ من الغزاة الإسبان.

وفي الأخير ذكرت الرسالة أنّ الأهالي أرسلوا الفقيه العالم المدرّس السيّد أبي العباس أحمد بن القاضي إلى الباب العالي، وأشاروا إلى أنهم خدمْ لخير الدين، وأنّ أهالي إقليم بجاية والغرب والشرق هم في خدمة السلطان العثماني.[1]

ممّا سبق ذكره في رسالة أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الاول، يتبين لنا أن أبو العبّاس أحمد القاضي كان يتميز بمكانة عالية في مدينة الجزائر وكان عالما وفقيها ومجاهدا، وليس شخصا عاديا، وإكتسب صفة المجاهد بجهاده إلى جانب الإخوة بربروس لتحرير مدينة بجاية وجيجل وصد الخطر عن مدينة الجزائر منذ سنة 1516 الى سنة 1519 لما توفيّ.

وكان على رأس الوفد الذي إنتقل إلى الباب العلي في إستانبول، بعد أن أقنع خير الدين أعيان مدينة الجزائر بإرسال عريضة إلى السلطان العثماني يوضحون فيها رغبتهم في ضم بلدهم إلى ممتلكات الدولة العثمانية، فوافقوا على ذلك.

أحسن السلطان إستقبال الوفد، ثم أرسل فرمانا يعلن فيه قبوله لعرض أعيان الجزائر وبعث إلى خير الدين بفرمان تعيينه بايلربايا- اي باي البايات- على الجزائر، وبعث إليه بالخلعة السلطانية والراية مع 2000 جندي من الإنكشارية وأذن له بأن يجمع مايشاء من المتطوعين من الاناضول، وهكذا أصبحت الجزائر إيالة تابعة للدولة العثمانية وقرئت الخطبة منذئذ بإسم السلطان العثماني.[2]

وما يمكن ملاحظته أيضا في الرسالة، هو ما يتعلق بتحرير مدينة بجاية إذ تطرقت الرسالة إلى أن الإخوة بربروس وعلى رأسهم عروج نجحا في تحرير مدينة بجاية من الإحتلال الإسباني بعد أن تلقيا دعما من الأهالي وعلى رأسهم المجاهد الفقيه أبو العباس أحمد بن القاضي.

---

[1]- فاضل بيات،البلاد العربية في الوثائق العثمانية،النصف الاول من القرن10هـ16م،المجلد الاول،تقديم خلدران،مركز الابحاث الابحاث المرجع السابق ،ص ص 155: -أنظر في الملاحق الوثيقة المتمثلة في الرسالة التي بعث بها الاهالي إلى السلطان سليم الاول،الوثيقة محفوظة في :

**Topkapi sarayi, arsivi, no,6456.Istanbul,Turquie**

[2]-محمد دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر، ص.ص172،171

بالفعل شارك الأهالي ويقصدون بذلك عروش مملكة كوكو، ويتقدمهم أبو العباس أحمد بن القاضي، لكن المتعارف عليه في المؤلّفات التارخية ومن بينها ما كتبه سعيد بوليفة في كتابه "جرجرة عبر التاريخ" أن الإخوة بربروس وأحمد بن القاضي لم يتمكنوا من تحرير بجاية حوالي مرتين أو ثلاثة مابين 1513و1514، ولم تتحرر بجاية حتى سنة 1555 بزعامة صالح رايس بمساعدة مملكة كوكو أيضا.

والملاحظة الأخرى تتمثل في شخصية أبو العباس أحمد بن القاضي، الذي كان على رأس الوفد المبعوث إلى الباب العالي من أجل إبقاء خير الدين في الجزائر وربط الجزائر بالدولة العثمانية، ثم في سنة 1520 نشبت حرب بين أحمد بن القاضي و خير الدين. هل أبو العباس أحمد بن القاضي هو الذي أعلن الحرب ضدّ خير الدين؟

**-إندلاع الحرب بين احمد اولقاضي الإبن و خير الدين في سنة 1520**

عندما نطلّع على مذكرات عروج وخير الدين يزول هذا الغموض، إذ ذكر أنّه بوفاة الرجل العاقل، ويقصد به أبو العباس أحمد بن القاضي، حلّ محلّه وَلد طائش يدعى إبن القاضي أيضا، أي نفس تسمية والده أحمد بن القاضي، فكان أوّل مافعله أن إتفق مع سلطان تونس على أن يكونا يدا واحدة ضدّ خير الدين قائلا له: " لنكن يدا واحدة ونُخرج الاتراك من بلاد العرب وذكر خير الدين في مذكراته، أنّ الرسالة التي بعث بها إبن القاضي إلى

سلطان تونس قد وقعت في يده(أي في يد خير الدين) وذلك قبل مضي شهران على وفاة والده، وممّا جاء في الرسالة: " لنكن أنا وإياك يدا واحدة لإستئصال شأفة الأتراك، ونطرد خير الدين

من الجزائر، فأكون أنا سلطانا عليها في مكانه، وقتها سوف أغدق عليك أموالا طائلة، لقد كان أبي يحب الأتراك كثيرا، أما أنّا فلا يوجد قوم أبغض إليّ منهم.[1]

[1]-مذكرات خير الدين بربروس،ص109،110

ولمّا وصلت الرسالة إلى يد خير الدين عرف ما كانا يحيكانه من مؤمرات ضدّه، ويضيف خير الدين أنّه خرج ب12ألف من رجاله لمحاربة سلطان تونس، ونزل بسهل مغطّى بأشجار البلوط وعندما رآه سلطان تونس من بعيد إعتقد أنّه حليفه إبن القاضي، فامطره بوابل من القذائف، هذا ما جعل قواته مشتّتة كحبات العقد ووقع السلطان في الأسر وأتوا به إليه، فلم يجد بدا من أن ينصحه ويحذّره من تكرار فعلته، ثم أمر بإطلاق سراحه. وهنا يضيف خير الدين أنّه لو وقع في أسر السلطان التونسي لقتله شرّ قتلة، إلا أن عفوه عنه وما أظهره من رفق به جعل كل سكان إفريقيا يتعلقون به ويزدادون حبّا له.

ذكر خير الدين أنّه إستولى على 300 خيمة وأرسلها إلى الجزائر، أما هو أقام في تلك المنطقة ما بين خمسة أيام وعشرة. ووصف المكان بأنه في غاية الروعة لما فيه من العيون التي تجري في جميع أطرافه، والطيور التي تغرد بألحان تأخذ الألباب، وأضاف أنهم إستمتعوا في ذلك المكان فترة من الزمن، ثم أعطى الاوامر بالتحرك للرجوع إلى الجزائر .[1]

وكانوا يمرّون عبر ممّر شديد الوعورة وضيّق، وفي هذا الوقت كان إبن القاضي قد كمن لهم هناك هو ورجاله، فلم يشعروا بشيئ إلّا وهم يهجمون عليهم من كل مكان. ويعترف خير الدين أنّه لم يكن يتوقع الوقوع في مثل هذا الكمين، إذن هناك عامل المفاجأة بالإضافة إلى عدم ملاءمة المكان للقتال، هذا ما أدى إلى أن يفقد الكثير من رجاله، ودامت المعركة ثلاث ساعات ونصف. ثم تمكنوا من تجاوز الممر والوصول إلى الجزائر، لقد سقط في المعركة 750 رجل ووصفهم خير الدين بالشهداء وتعهّد بالإنتقام من إبن القاضي وعدم العفو عنه أبدا.

وإعتبر هذه الهزيمة قضاء وقدر، بحيث إستطاع أن يهزم ملك تونس وأسرته ولم يتمكن من هزم إبن القاضي ووصفه بالبدوي، وأضاف أنّه في الوقت الذي كانت فيه فرائص ملوك أروبا ترتعد بمجرد ذكر إسم بربروس كانت حركات العصيان تتزايد في الجزائر.

[1]-مذكرات خير الدين بربروس، ص ص109-111.

وأصاب إبن القاضي غرور لا مزيد عليه، حتى صار يتباها بقوله" لقد هزمت خير الدين باشا، وعن قريب سأضرب عنقه إن شاء الله."

جمع إبن القاضي عددا كبيرا من الرجال، وقبض على 500 أسير تركي قيّدهم بالسلاسل الثقيلة، وربطهم بالرحي وجعلهم يدورون حولها وهم مقيّدين، وراسله خير الدين لإطلاق سراحهم، وهدّده بسوء العاقبة، إلا أنّه لم يجب على طلبه، وبعد مدّة أخبره بعدم إطلاق سراحهم، خوفا من أن يثأروا منه عندما يبلغوا مأمنهم.

وقام بجمع الناس ودعاهم إلى التمرد قائلا: "ما الذي جاء بالأتراك إلى الجزائر؟ هذه بلاد العرب، لنجتمع ونتخلّص منهم جميعا".(1)

ممّا سبق ذكره، يتبين لنا أنّ أحمد بن القاضي الإبن مختلف تماما مع موقف والده أبو العباس الذي تعاون مع الأتراك في عدّة مناسبات مثل الهجوم على الإسبان في بجاية ومساعدة عروج في تحرير جيجل من الجنوبيين وإبعاد الخطر الإسباني عن مدينة الجزائر منذ1516.

وذهب إلى إستانبول حاملا رسالة أهالي مدينة الجزائر من أجل الإبقاء على خير الدين وقبِل ربط الجزائر بالدولة العثمانية. أما هو"الإبن" فقد إتبع سياسة معادية للعثمانيين وثار ضدّهم وذلك في سنة1520 .

يمكن أنّ نضيف إلى ثورة أحمد بن القاضي، أن أحد أتباع خير الدين وهو قارة حسن تعاون مع إبن القاضي ضنا منه أن خير الدين عاجز عن الإحتفاظ بالجزائر، وبالتالي يمكن له أن يحل محلّه ويفعل ماعجز عنه، فقد راسل إبن القاضي فطرده خير الدين من البحارة.

---

1-مذكرات خير الدين،ص111

ويذكر خير الدين في مذكراته أن أحمد بن القاضي كان متلهّفا ليكون سلطانا على الجزائر ويضيف أنّه لو يتركها له سوف تتمزّق مرّة أخرى إلى ألف قطعة، كل منها تترامى في أحضان الإسبان.[1]

ووصف خير الدين أحمد بن القاضي بأنّه غير قادر على توحيد البلاد، أمّا حسن قارة فإنّه لايملك الشجاعة والعقل ولا القوّة العسكرية ولا الأسطول البحري للتصدي للإسبان.

وحسب مذكرات خير الدين فإن إبن القاضي شّن هجوما كبيرا بجيش قوامه40.000 رجل، وكان خير الدين مستعدا لذلك، لأنه يملك جواسيس في كل مكان وحتى في مجلس إبن القاضي وكل ما يقال يصل إليه بالتدقيق.

فأرسل10.000 بحّار لمحاربة الثائرين فإشتبكوا معهم في معركة كبيرة إستمرت حتى العصر، وإنتهت بمقتل 2000 رجل وجرح 2000، وإنتهت المعركة حسب هذا المصدر بالقضاء على العصاة ونجى منهم 700 ثائر فقط أمّا الأخرون فقد تمّ قتلهم أو إعتقالهم ومن بينهم شيخ مدينة الجزائر وأمر بإعدامه وقطع جسده إلى أربع قطع، وعلّقوا كل منها على باب من أبواب المدينة ليكون عبرة لمن تسول له نفسه فعل ذلك في المستقبل. يمكن القول، بأن هناك قسوة كبيرة من طرف خير الدين، وذلك بقطع شيخ المدينة إلى قِطع وقَطْع رأسه، ولم يذكر إسم هذا الشخص. وبعدما وضعت الثورة أوزارها أتى خير الدين ب185 من رؤساء الفتنة مقيدين وجمع علماء الجزائر وطلب منهم حكم الدين الإسلامي فيهم.

ورّد أحد العلماء الكبار في السن أنّ حكم الدين في حق الخارجين عليك وعلى جنودك هو الموت، نظرا لكون خير الدين يمثل ملك البر والبحر السلطان سليمان خان، وأنّه أمير أمرائه، بالإضافه إلى دوره في إنقاذ رقاب السكان من ذل التبعية للكفار وظلمهم، زد على ذلك أنّه كان سببا في مضاعفة خيرات البلاد بما يسّر الله على يديه من أسباب الرزق والرفاهية، علاوة على ذلك تمّيز عهده وعهد أخيه عروج بحسن الإدارة والتدبير. وقالوا له بأن هؤلاء الأسرى خُدعوا

[1]-مذكرات خير الدين، صص 112 -116 .

من طرف بعض المفسدين، فإرتكبوا جرما كبيرا. إلا أنّ من بينهم الكثير من الذين حاربو ودافعوا ضدّ الإسبان وطلبوا منهم العفو عنّهم، ولمّا إستشار رؤساء البحر ذكّروه بأنهم ليسوا علماء الدين وموقفهم يجب أن يكون مبنيا على الأساس وهو عدم العفو عنهم.(1)

ورأى خير الدين أن عين الصواب هو إعدامهم، لأن العفو سيكون مَثَل السوء للأخرين، فأمر بضرب رقابهم من أجل حماية البلاد.

وبعد تفكير طويل قرّر خير الدين الإنسحاب من الجزائر، وكان متيقنا أنّ الأهالي لن يتمكنوا من إدارة الجزائر، ولن يتصدوا للإسبان وسوف يلحق الضرر بالحركة التجارية. وبعد ذلك سيلجأون إليه مرّة أخرى طالبين منه العودة لحكم البلاد.

وتطرق خير الدين إلى تفاصيل مغادرته مدينة الجزائر، أنه حمل بحارته وعائلاتهم وأموالهم في سفنه الخمسة وعشرين، وأرسل إلى السفن الأخرى التي خرجت للغزو أنّ تتوجّه إلى ميناء جيجل بدلا من ميناء الجزائر.

ولمّا رأى أهالي المدينة مغادرة الأتراك مع عائلاتهم أصيبوا بالدهشة وخيّمت أجواء من الكآبة والحزن على قلوب عدد كبير منهم، وشرعوا في الدعاء على إبن القاضي الذي أصيب بالذعر حسب ما قاله خير الدين، وأنه راسله يعتذر عن عصيانه وتمرّده طالبا العفو عنه، إلا أنّه رفض ذلك وقال لرسوله: " هاهي مفاتيح قلعة الجزائر سلّمها لسيّدك المتلهّف على السلطان والمُلك وليأتي إلى الجزائر وليستمتع بالجلوس على عرشها بعد أن ولع في دماء المسلمين ولننظّر كيف يدبّر أمور البلاد.(2)

من خلال ماذكره خير الدين وماذكرته المراجع الأخرى، تظهر الحقائق متباينة فالمرجع الذي ألّفه سعيد بوليفة و هو جرجرة عبرالتاريخ،(3) والمؤلف الفرنسي أدريان بربروجر في كتابه الأتراك في منطقة القبائل ، يذكرون هزيمة خير الدين وأتباعه في المعارك التي وقعت في سهل ايسر

1 -مذكرات خير الدين بربروس،ص.ص.112-116.

2 -نفسه، ص.ص.117-119.

3- (S) Boulifa, op.cit, pp84,85.

في سنة 1520،[1] ولم يشر إلى ذلك خير الدين في مذكراته، بل إعتبر نفسه منتصرا وأنّه قضى على39.000 رجل، لأنه ذكر عدد رجال إبن القاضي وهو 40.000رجل وإستطاع قتلهم إلا حوالي 700 رجل وقام بأسر 185 من رؤساء الفتنة، وقرّر إعدامهم وجسّد ذلك في الواقع. فحسب هذه الأرقام، فإن خير الدين قد سحق قوات أحمد بن القاضي، ورغم ذلك قرّر الرحيل عن مدينة الجزائر إلى جيجل. هل يُعقل أن يحقق أي إنسان إنتصارا ساحقا ثم ينسحب من مدينته؟ وهل يُعقل أن ينتصر أي قائد عسكري ويطلب عدوه منه العفو فيرفض ذلك ثم يُقدم مفاتيح مدينته لعدوه ليكون حاكما عليها؟ هذا غير معقول.

أضف إلى ذلك أن خير الدين وأتباعه الأتراك قاموا بمجهودات جبارة، بحيث شنّوا حملات لتحرير بجاية وفي إحداها قُطعت ذراع أخوه عروج، وحرّروا جيجل في سنة1514 وأبعدوا الخطر الإسباني عن مدينة الجزائر، وأرسلوا الجنود إلى تلمسان من أجل تحريرها وإستطاعوا التصّدي لحملة إسبانية في سنة 1518 وهي حملة هيفودي مونكادي، وبعد ذلك ينتصر على ثورة إبن القاضي، ثم ينسى كل ذلك ويخرج من المدينة، هذا لا يقبله العقل ولا المنطق والصحيح هو إنهزام خير الدين هزيمة نكراء إضطرّته للفرار إلى جيجل. أما أحمد بن القاضي فقد دخل مع أتباعه إلى مدينة الجزائر وبقي فيها حسب قول البعض مثل بوليفة 7 سنوات أي من سنة 1520 إلى 1527 وهناك من قال أنّه مكث فيها 5 سنوات، مثل خير الدين وهناك من ذكر ثلاث سنوات مثل بربروجير وفيرود وروبان.[2]

وأصبح أحمد بن القاضي ملكا على الجزائر، وهناك جبل في اعالي مدينة الجزائر يدعى" جبل كوكو" نسبة إلى مملكة كوكو، و هذه التسمية مازالت الى حد الآن.

في اليوم الموالي لوصول خير الدين إلى جيجل وصل إليها شيوخ القبائل وأعيانها من الجزائر حتى من تونس أعلنوا خضوعهم وتبعيتهم للسلطان العثماني ودفعوا الخراج السنوي وصرّحوا له أنهم حاضرون لإمداده بما يحتاج من رجال. وتوالت الوفود على خير الدين من

[1]-Adrien Berbrugger, *Les Turcs en Kabylie*, Belles-lettres,Alger,2011, p24.

[2]- (N) Haddab,*Essai de Généalogie des At-LQADI* ,in Hommes et Femmes de Kabylie ,p 90

الجزائر، فقد عرف الأهالي قدره حسبما يقول في مذكراته، في فترة قصيرة لمغادرته الجزائر، لقد إختلّ نظام الأمن وتدهورت الأوضاع في المدينة، فتزايدت نتيجة لذلك مشاعر التذمّر من إبن القاضي، وفي النهاية أرسل الأهالي وفدا ليكلّم إبن القاضي فأتوه،[1] وطلبوا منه أن يسمح لهم بإستدعاء خير الدين باشا وأنّ ذلك سيكون فيه خير للجميع إذا غادر المدينة من أجل أن يعيش سكانها في أمن وسلام، وطلبوا منه أن ينصرف إلى قبيلته، وكان رد إبن القاضي أنّ خير الدين ترك المدينة خوفا منه، وكان تعليق حسن قارة أنّ خير الدين لا يخاف إلاّ الله، ولم يترك المدينة خوفا من إبن القاضي.

لمّا إشّتد غضب إبن القاضي لما قاله حسن قارة أمر بضرب عنق زعيم الوفد الذي طلب منه دعوة خير الدين من جيجل وكان عالم ديني عربي.[2]

وأصبح نفوذ إبن القاضي يتلاشى يوما بعد يوم، وقيمته تتلاشى بين السكان. ولحسن حظ أهالي مدينة الجزائر فإن في فترة حكم أحمد بن القاضي لم يتدّخل حكّام تونس في شؤون المدينة، أما الإسبان فلم يحركّوا ساكنا، وهذا الموقف ليس له تفسير، وربما أنّ التجارب التي مرّت بهم والهزائم التي تعرّضوا لها وآخرها هزيمة حملة هيفودي مونكادي، جعلتهم يأخذون الحيطة والحذر،[3] وربما لم تصلهم أخبار خروج خير الدين من المدينة.

**-تجدد الحرب بين احمد اولقاضي و خير الدين في سنة 1525م**

إستمرّ إرسال الوفود إلى خير الدين، هذا ماجعل هذا الأخير يتيقّن بضرورة العودة إلى الجزائر وقرّر الإستعداد لذلك، فقام بتجهيز السفن وإصلاح المدافع، وبحلول الربيع إستمرّت الوفود بالمجيئ إلى جيجل من أجل عودة خير الدين لتولّي إدارة الجزائر.

[1]- مذكرات خير الدين ،ص.ص.120-123.

[2]-نفسه، ص.ص123،124 .

[3] – (S) Boulifa, op.cit, p85.

وإذا أخذنا بعين الإعتبار الفترة التي مكث فيها خير الدين في جيجل وهي 5 سنوات حسب كتاب المذكرات، فإن تاريخ عودة خير الدين هي 1525، رغم أن بعض المؤلفين ذكروا 7 سنوات مثل سعيد بوليفة.

تحرّك خير الدين من جيجل ب12000 بحّار منهم 4000 فارس و8000 من المشاة، وترك لصديقه سنان رئيس 300 بحار، وفي الطريق إنضم إليهم الآلاف من فرسان الأرياف المجاورة.[1]

وحسب مؤلف مجهول، فإن مشايخ المدينة أرسلوا إليه سابقا يطلبون منه العودة إلى مدينة الجزائر وإسترجاع البلاد مرّة أخرى، وتكرّر منهم ذلك عدّة مرّات وكان يرفض عرضهم. ثم قرّر القدوم إليها، فخرج في محلّة عظيمة لغزو مدينة بجاية وتحريرها من أيدي الكفار، فبينما هو كذلك وصل إليه كتابا من أهل الجزائر يصّرون عليه للقدوم عليهم، فأجابهم بأن إشترط مقابل القيام بذلك أن يخرج كافة أعيان المدينة كرهائن إلى جيجل، فلما سمعوا بذلك قبلوا وفعلوا ماطلب منهم خير الدين حتى بلغو جيجل وعند ذلك منح لهم الثقة. وسار خير الدين إلى الجزائر فوصل إلى بعض المناطق التي كانت تابعة لإبن القاضي، وكان فيها بعض رجال هذا الأخير، فخرج ثمانية عشر مائة مع خير الدين ووقعت بعض المناوشات، فإنهزم أتباع إبن القاضي وإستولى خير الدين ورجاله على تلك المنطقة، ولمّا سمع إبن القاضي بذلك قام بالإستعداد للقاء خير الدين بثمانية الف فارس والف من المشاة وتوجّه إلى محاربته، وكان خير الدين قريبا منهم ويفصل بين الطرفين واد، فكانوا يتقاتلون، وكان رجال إبن القاضي إذا رجعوا يخلفون الواحد أي أحدهم وراءهم . وأراد جنود خير الدين الهجوم عليهم، لكن جنود إبن القاضي منعوهم من ذلك. وبعد ذلك إتجه خير الدين بفرسانه ناحية الغرب، ولما وصلت هذه الأخبار إلي إبن القاضي أمر أصحابه وفرسانه بالإنقضاء على العدو ومحو أثره من البلاد، فخرجوا في طلب خير الدين وقصدوا الناحية التي يوجد فيها ، ولمّا وصلوا إلى المكان الذي عسكر فيه

[1] –مذكرات خير الدين، ص.ص126،127 .

خير الدين وجنوده، وقع قتال عظيم، فولى أتباع إبن القاضي الأدبار منهزمين، وجدّ رجال خير الدين في أثرهم يقتلونهم وكان عدد القتلى كثير بلغ أربعة آلاف رجل والأخرون تحصّنوا في بعض الأوكار من الجبل الذي كانوا مستندين إليه. ووصل خير الدين إلى أعلى الجبل ، ونزل به وأرسل إلى أهل تلك النواحي مبعوثين يطلب منهم طاعته، فقبلوا ذلك وإنصرفوا عن دعوة إبن القاضي .

ولمّا سمع بذلك خاف من خير الدين فهرب، اما بقيّة العرب والذين كانوا معه قدموا إلى خير الدين واصبحوا تحت طاعته. أما إبن القاضي فقد رجع إلى الجزائر وجهّز جيشا آخر وخرج به

للقاء خير الدين، فوصل إلى مكان ضيّق ونزل به وأمر بحفر خندق ولم يترك إلا مكان واحد للدخول وآخر للخروج وعيّن حُرّاسا على الطريق خوفا من هجوم رجال خير الدين عليه، أمّا خيرالدين فقد إستبطأ مشايخ العرب الذين وعدوه بالقدوم عليه، فتقدم إلى ناحية وجود العدوّ ولمّا أشرف على المكان الذي تواجد فيه إبن القاضي، لم يجد مسلكا إليه بسبب الخندق الذي ضربه إبن القاضي. ثم إتّجه خير الدين إلى ناحية الغرب، ولمّا علم إبن القاضي بذلك بعث في أثره ثلاثة آلاف من الجنود، ولمّا وصلوا إلى خير الدين قاتلوه ولم تنقطع الحرب بين الطرفين، ولمّا أدرك جيش إبن القاضي إختلال أمره وأنه ليس بإستطاعته مقاومة خير الدين إنقلبوا ضدّه، فبينما هو في ذلك المجال إذ وثب عليه بعضهم بحربة فطعنه بها فقُتل، وكان ذلك سببا في هزيمة جيشه، فقتلوا منهم الكثير، و بعد ذلك إتجه إلى البحث عن حليف إبن القاضي وهو حسن قارة الثائر علي خير الدين، وكان موجود في شرشال وإتّفق مع النصارى على أخذ الجزائر ومحو دعوة خير الدين منها. ثم خرج سكان الجزائر إلى لقاء خير الدين وإستبشروا بقدومه وكان دخوله إليها يوم مشهود ودخل دار الإمارة في بروز عظيم وأبهة زائدة.[1]

---

[1] – مؤلف مجهول، غزوات عروج و خير الدين،رقم المخطوط1623،35 ،القياس201 X140،ص16 نفسه، ص16،17.

وحسب المؤلف التركي عزيز سامح في كتابه: الأتراك العثمانون في إفريقيا الشمالية، فإن خير الدين بقي خمس سنوات في جيجل من 1520إلى 1525، وبالتالي يتّفق مع ماذكره خير الدين في مذكراته بشأن مدّة بقائه في جيجل، ويتفق أيضا مع ما ذكره مؤلف مجهول في كتابه: غزوات عروج وخير الدين.

ففي سنة 1525 إستطاع خير الدين تمكين نفوذه وإستعادَ قوته القديمة، والجدير بالذكر فإنه لم يستفد من أي مساعدات من طرف الدولة العثمانية، وما فعله كان بفضل جهوده، هذا مامكنّه من تأسيس قوة عسكرية جيدة، أحضر جنودها من المتطوعين الذين ساندوه من داخل البلاد، وإتفق مع عبد العزيز زعيم بني عباس.

أمّا سكان مدينة الجزائر فقد ملكهم الضجر من تصّرفات أحمد بن القاضي وبدأت غالبية الأهالي تبحث عن وسيلة لتأمين الإتصال مع الأتراك من أجل الإتفاق معهم، وتحّول حب البربر لإبن القاضي إلى حقد وكراهية، وشاركوا أهالي الجزائر النفور من تصرّفات إبن القاضي.[1]

في سنة 1525 إلتقى خير الدين مع أحمد بن القاضي في وادي بوقدورة وخلال ساعات قليلة من القتال إنهزم أحمد إبن القاضي وإنسحب إلى ممّر في جبل بني عائشة، ووجد بين قوات إبن القاضي عساكر سلطان كوكو ممّن إنضموا إلى قوات خير الدين وقُدّر عددهم ب1800 مقاتل، فإزدادت قوّة خير الدين بإنضمامهم إليه.

وأعلن رجال أحمد بن القاضي تمرّدهم عليه، فقطعوا رأسه وقدّموه هديّة إلى خير الدين، وبعدما عبّروا عن أسفهم وندموا لخيانته؛ وأقسموا على مساندته والوقوف بجانبه. وبمقتل حليف

[1]–عزيز سامح إلتر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة د. محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعةو النشر،بيروت،ط1،مكتبة ارسيكا،استانبول،1980 ،ص84.

إبن القاضي حسن قارة الذي هرب إلى شرشال، لم يبق حاجة للحرب ،لأن أبواب مدينة الجزائر وطرقها مفتوحة أمامه، فدخل خير الدين الجزائر معزّزا مكرّما سنة1525 .[1]

من خلال ماذكره مؤلف مجهول، نلاحظ ميل كبير نحو خير الدين والأتراك على حساب أحمد بن القاضي، عندما ذكر وصول خير الدين إلى أعلى الجبل ونزل به وأرسل إلى أهل تلك النواحي مبعوثين يطلب منهم طاعته فقبلوا ذلك وإنصرفوا عن دعوة إبن القاضي، ولمّا سمع بذلك خاف من خير الدين فهرب.

فهذا الخوف الذي تطرق إليه هذا المؤلف غير موجود لدى رجل مثل أحمد أولقاضي الذي أتى إلى منطقة القبائل بعد أن إستولى الإسبان على مدينة بجاية، وبالتالي يريد تنظيم صفوف المجتمع والمساهمة في إسترجاع هذه المدينة وأصبح ملكا منذ1511.

ولا يمكن تقبّل ماذكره عن أتباع أحمد أولقاضي بسهولة، بأنهم تخلّوا عن ملكهم وإنقلبوا الى جانب خير الدين ، والدليل على ذلك أن سعيد بوليفة ذكر أن أحمد أولقاضي أغتيل عشيّة المعركة، ولمّا وقعت المعركة وسمع رجال أحمد أولقاضي بما حدث حاربوا عدّوهم لكن بمعنويات محبطة وبدون تنظيم ممّا أدّى إلى إنهزامهم وبالتالي عاد خير الدين إلى مدينة الجزائر حاكما لها من جديد.

وذكر هذا المؤلف أيضا أنّ الحرب لم تنقطع بين الطرفين وأنّ جيش أحمد بن القاضي لمّا علم بإختلال أمره وعجزه عن مقاومة خير الدين إنقلبوا ضدّه لقتله، وفي تلك الأثناء وثب عليه بعضهم بحربة وقتله وهذا ما سبّب الهزيمة لجيشه.

من خلال ماتمّ ذكره نلاحظ نوع من الذاتية، فالميل دائما إلى جانب خير الدين وأنّه صاحب الغلبة، أمّا رجال أحمد أولقاضي فقد وصفهم المؤلف المجهول أنهم إنتهازيون وليس لديهم أي

[1]–مؤلف مجهول،المصدر السابق،ص16، 17.

مبدأ.ففي بداية الحرب كانوا إلى جانب أحمد أولقاضي وبتغيّر وإختلال موازين القوى لصالح خير الدين، تغيّر موقفهم وأصبحوا إلى جانب خير الدين، ثم إستطاع أحدهم قتل الملك.

ونلاحظ نفس النظرة من خلال ما كتبه المؤلف التركي عزيز سامح في كتابه الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية؛ إذ ذكر أنّ أحمد أولقاضي إنهزم خلال ساعات قليلة من القتال وأن خير الدين وجد ضمن جيش أحمد أولقاضي عساكر ممّن إنظمّوا إلى جيش خير الدين وأضاف أنّ عساكر إبن القاضي قد تمرّدوا عليه وقطعوا رأسه وقدّموه هديّة إلى خير الدين.

كل هذه الأحداث كانت في إتجاه واحد وهو إبراز قوة خير الدين وأنه لا يهزم، أمّا الطرف الآخر وهو إبن القاضي وأتباعه فليس لهم أي قوّة تذكر، وبالتالي إنهزموا في وقت قصير، أي أنّهم ضعفاء وأنّ هناك خيانة من طرف بعض جنود وعساكر أحمد أولقاضي وذلك بإنضمامهم إلى جانب خير الدين، ثم ذكر أنّ أتباع أحمد أو لقاضي قد ثاروا ضدّه، أي إنقلبوا ضدّه ولم يذكر سبب ذلك.

وحسب الذاكرة الجماعية التي إستقيناها بالتحرّي في الميدان بقرية **أشلّام**[1]، وهي قرية محاذية لقرية أورير التي كانت عاصمة للمملكة، فإن أحمد أولقاضي قُتل في تيزي ناث عايشة وحمل عساكره جثّته سِرا بدون علم العثمانيين، بالمرور عن طريق إفليسن نْلَبْحَر وتحاشوا بذلك الرقابة العثمانية، ومرّوا بمنطقة ثامقوط لكي يصلوا إلى أشلّام، وفيها دُفن الملك أحمد أولقاضي وقبره موجود إلى حد الآن وبنوا له ضريح(أنظر صور قبر وضريح أحمد أولقاضي في الملاحق).

ويطلق على المكان الذي دُفن فيه أحمد إسم تمازيرث **أوعنِيشن**[2] وكتب فيه " هذا هو المثوى الأخير للشيخ أحمد بن القاضي الغبريني سلطان كوكو الذي سقط شهيدا في سبيل الوطن في معركة تيزي نايث عايشة( الثنية)، التي وقعت بينه وبين خير الدين بربروس سنة 1527مو907هـ. ونجد في إحدى الجدران بعض الصور ومنها صور أحمد أولقاضي وأخرى لإحدى المعارك(أنظر الصور في الملاحق).

[1]–**أشلام:** كانت منطقة محاذية لقرية أورير، وحسب الذاكرة الجماعية كانت منطقة سكن فيها الإنسان منذ القديم وإلى حد الأن توجد آثار الطريق التي كان يسلكها الرومان بأحصنتهم، كما يوجد فيها أيضامعصرة الزيتون عجيبة؛ وهي تعود إلى الفترة العثمانية وهي شكلت على صخر أحمر ضخم تم صقله على شكل حوض في وسطه يبلغ طوله حوالي مترين وعرضه حوالي متر و25 سنتمتر فيه ثقب يخرج منه الزيت.

وتوجد مقبرة تضم قبور السكان من مختلف الأعمار كالكبار وصغار السن هذا مايدل على أن المنطقة كانت محّل إستقرار العائلات وليس مقبرة للعساكر فقط. كما أن طول بعض القبور حوالي مترين يدل على البنية الجسمية للرجال كانت قوية ويدل أيضا على أنهم يتميّزون بطول القامة. وفي هذه القرية يوجد قبر الملك أحمد أولقاضي.

[2]**أعنيشن:** هم الجنود أو العسكر التونسيين الذين رافقوا حند أولقاضي إبن أعمر أولقاضي المغتال، ويدعى حند التونسي لأنه ولد في تونس وعاش فيها حتى أصبح شابا، فجاء إلى كوكو من أجل الثأر من قاتلي والده، ولمّا حقّق ذلك منح لهؤلاء الجنود الأراضي وإستقرّوا هناك، ثم إنتقلوا إلى مقنيعة وهي قرية حاليا( التحري في الميدان بقرية أورير)

حسب سعيد بوليفة فإن خير الدين إتّجه إلى جيجل ثم إستقر في جربة[1] لكن خير الدين ذكر أنّه إستقر في جيجل وأستقبل بحفاوة من طرف الأهالي نظرا للقيمة التي يكتسبها في قلوبهم، كيف لا وهو وأخوه عروج[2] بالإضافة إلى والد أحمد بن القاضي وهو أبوا العباس الذي ساعدهم كثيرا.

وحسب هذا المؤلف دائما فإن خير الدين غادر الجزيرة، لكن في الحقيقة غادر جيجل حسب مذكرات خير الدين، وذكر أنه فعل ذلك بدون إخبار أحد ومعه بعض الإنكشاريين ذوي التجربة وأبحر حتى وصل إلى دلس ليلا. وفي اليوم الموالي إتّجه صباحا نحو المناطق الداخلية، وإلتقى بمجموعة من رجال القبائل التي حاولت منعه من مواصلة السير، إلا أنه إستطاع أن يهزمهم بدون صعوبة وكان ذلك في بقدورة(ميرابو).

وبعد هذا الإنتصار الأوّل لخير الدين إتّجه هذا الأخير ورجاله بسرعة إلى الغرب حتى وصل إلى سهل إيسر. ولما سمع أحمد أولقاضي بوصول خصمه أسرع لإصلاح آثار الهزيمة التي تعرّض لها أتباعه في بوقدورة، فجمع رجاله وقام بالإستعددات اللازمة من أجل مواجهة العثمانيين، وصمّم أن يعيد خطته السابقة التي إستعملها في سنة 1520 عندما حاصر خصومه في سهل إيسر، وبالتالي تموقع في فج بني عائشة(منيرفيل) لقطع الطريق لخصومه. وكان متيقّنا بتحقيق النصر، ودخل إلى خيمته من أجل الإستراحة إلا أنّه أغتيل من طرف أحد أقربائه الذي أرسله خير الدين.[3]

وحسب ماذكره خير الدين في مذكراته، فإنه لما إقترب مع رجاله من مدينة الجزائر تعرّض لهم رجال إبن القاضي. ولكي يدخل الرعب في قلبه وقلوب رجاله، أمر بالتصدي لهم على الفور ونتج عن المعركة مقتل 800منهم.

---

1– (S) Boulifa, op.cit,p85.

2– مذكرات خير الدين، ص119.

3- (S)Boulifa, op.cit, pp.86,87 .

أمّا قوات إبن القاضي فقد بلغت 12000 فارس و8000 من المشاة. هنا نلاحظ أنّ عدد الفرسان أكثر من المشاة، وهذا عكس قوات خير الدين التي يفوق فيها عدد المشاة على عدد الفرسان.[1]

وبالضبط 4000 فارس و8000 من المشاة هذه الملاحظة لاتتوقف هنا، إذ لو نستحضر عدد الفرسان والمشاة لدى الأمازيغ القدامى مثلما هو الحال في عهد الممالك النومدية، نجد عدد الفرسان أكثر من عدد المشاة وليس مثل الإغريق والرومان والكثير من الشعوب التي تملك عدد المشاة يفوق عدد الفرسان.

وحسب المذكرات فإن إبن القاضي مَلكه الخوف عندما علم بإقتراب أعداءه، وكان يشك في قدرتهم على التصدي لهم، هذه مبالغة بدون شك، نظرا لتفوق عدد رجال إبن القاضي على خير الدين بالإضافة إلى أنه يعتبر خصم وعدو له، فلا يمكن أن يذكره إلا بالصفات الذميمة خاصة بعدما حدث في سنة1520 عندما تعرّض خير الدين ورجاله لهزيمة نكراء وفقد الكثير من أتباعه، ومنذ ذلك الحين أصبح يكنّ له حقد كبير.

ويواصل خير الدين سرد الأحداث، ويذكر أنه في إحدى الليالي أغار أحمد بن القاضي عليهم وبالضبط على ثلاثة معسكرات نصبها خير الدين في طريقه إلى الجزائر وأسفرت الأحداث عن مقتل 185 من رجاله 97 من الخيول بينما من جانب الأتراك وأتباعه لم يُقتل أحد.

وفي الصباح أعاد إبن القاضي الهجوم لكن بدون جدوى. ودام هذا القتال، الذي وصفه المؤلف بالغريب، حتى المساء، وأسفر عن مقتل القائد قارة حسن الذي كان إلى جانب إبن القاضي، ولم يبق لهذا الأخير أي حظ للنجاة، ولمّا كان يهّم بالفرار ضربه أحد شيوخ العرب برمحه حتى خرجت من ظهره، وأمر الشيخ بتقطيع رأسه وأرسله إلى خير الدين تحصّل خير

[1] – مذكرات خير الدين، ص128 .

الدين على فرس إبن القاضي مع مائة دوقية ذهبية وتقدّر قيمة هذا الفرس على الاقل 1000 دوقية. أما رجال إبن القاضي فقد ألقوا أسلحتهم وطلبوا العفو من خير الدين وعفى عنهم.

لقد إلتحق بعض بحارة خير الدين بخدمة إبن القاضي عندما كان حاكما على الجزائر، ولمّا إنهزمت قوات إبن القاضي جاءوا مطأطئي الرؤوس جامعين أيديهم على صدورهم مستسلمين، وعفى عنهم لأن فيهم من قدّم خدمات كبيرة إلى جانبه( أي خير الدين) ويعود إليهم الفضل في القضاء على الكثير من رؤوس الإسبان وسلب سفنهم[1] .

يدلّ إلتحاق بعض بحارة خير الدين بخدمة إبن القاضي، ومن بينهم حسن قارة الذي قتل أثناء المعركة، على أن إبن القاضي يتميّز بالذّكاء والفطنة لأنه أدرك قيمة ضرب العدو من داخله بإستعمال جنود أعدائه، رغم إختلاف موازين القوى بين خير الدين وأحمد إبن القاضي، إذ أن الأوّل هو صاحب الإنتصارات الكبرى على الجنويين في جيجل ورد حملات الإسبان على مدينة الجزائر، أمّا أحمد بن القاضي رغم إنتصاره على خير الدين في سنة 1520 ومشاركته خير الدين وعروج في الهجوم على الإسبان في بجاية إلاّ أنه لا يملك أسطول بحري وتجربة في خوض عرض البحار.

إذن يمكن القول أن أحمد إبن القاضي يتميّز بالقدرة على الإقناع والتفاوض مع أعداءه وإتّفق معهم خاصة مع حسن قارة على تقسيم البلاد[2].

إبن القاضي بعد مقتل أحمد اولقاضي، بالرغم من إختلاف الروايات حول طريقة قتله؛ فإذا كان سعيد بوليفة وحتى المؤرخ الفرنسي أدريان بربروجر يذكران أن قتله كان بواسطة الخيانة في خيمته عشية المعركة، في حين خير الدين يشير إلى مقتله بالرمح أثناء المعركة بعد أن همّ بالفرار، على يد أحد الشيوخ العرب.[3] وتمّ إخفاء خبر قتل أحمد أولقاضي عن رجاله وأتباعه،

[1] – مذكرات خير الدين،صص128-130.

[2] –عبد الرحمن بن محمد الجلالي، تاريخ الجزائر العام،ج3، شركة دار الأمة للطبع، 2010،ص.49.

[3] –محمد الصغير فرج، المرجع السابق، ص32.

إلاّ أنه فيما بعد إنتشر هذا الخبر إلى أن وصل إلى أعداءه وهم الأتراك. وكانت هذه الجريمة مصيبة كبيرة على منطقة القبائل، فبإنطلاق الإصطدمات والإشتباكات الأولى تعرّضت قوات أحمد أولقاضي للضربات وإنتهت بالهزيمة بسبب الحالة المعنوية المنحطة لرجال كوكو. أمّا رجال خير الدين وعددهم قليل كانوا منظّمين جيدا وكان النصر حليفهم.كل هذه الأحداث هي حسب ما ذكره المؤلف سعيد بوليفة، وسمحت الهزيمة التي مُني بها ملك كوكو لخير الدين بالسير نحو مدينة الجزائر.[1]

وصل خير الدين وأتباعه إلى مدينة الجزائر بعد ساعة، فخرج أعيانها إلى المدينة لإستقبالهم ومرّ خير الدين وأتباعه عبر شوارعها التي كانت مكتظّة بالأهالي الذين كانوا يصفّقون بحرارة تعبيرا عن فرحتهم وإبتهاجهم بقدومهم وواصلوا السير إلى أن وصلوا إلى منازلهم القديمة التي كانوا يسكنون فيها من قبل.

وعند إستقراره في المدينة قام بإعادة النظام والأمن إليها، وأرسل إلى صديقه سنان رئيس لكي يأتي بعائلة خير الدين من جيجل في ثلاثة وثلاثون سفينة، ولمّا كان يهمّ بالدخول إلى ميناء الجزائر أطلق قذائف المدفعية تعبيرا عن تحيّته، فرد عليه خير الدين التحية بإطلاق القذائف من قلعة الجزائر.[2]

يدلّ الإستقبال الحار الذي حظي به خير الدين لمّا حلّ بمدينة الجزائر بعد إنتصاره على أحمد أولقاضي، على أنّ العلاقة بين أحمد أولقاضي وسكان المدينة كانت سيّئة للغاية، إذ أن طريقة حكمه و عادات الجبليين كانت غليظة وأصبحوا غير مرغوب فيهم.

أمّا سكان القبائل المقمين في مدينة الجزلئر، فقد تعرّضوا للتضييق،[3] والإهانة فلم يجدوا من حلّ سوى الإنسحاب إلى منطقة القبائل وإنتظار ما ستسفر عنه الأيّام. هذه الأحداث تذكّر

[1]– (S) Boulifa, op.cit,pp.86,87.

[2]–مذكرات خير الدين، ص131.

[3] - (S)Boulifa,op.cit,p.87,88.

بحدثين بارزين وهما الغدر بالقائد والملك القبائلي الكبير وهو أحمد أولقاضي والثاني الإرساء النهائي للحكم العثماني في الجزائر لكن مملكة كوكو لم تنته.[1]

– والسؤال المطروح من هو شيخ المدينة الذي كان على رأس الثائرين وأعدمه خير الدين؟ وإذا كان هذا الأخير قد إنتصر في المعركة بقتل معظم رجال أحمد أولقاضي، لماذا فرّ إلى جيجل؟ إذ لايعقل أن يفرّ المنتصر بعد إنتصاره.

وحسب مذكرات خير الدين فإن هذا الأخير إستقّر في جيجل ليعدّ العدّة ويحضّر نفسه للمعركة المقبلة، أمّا سعيد بوليفة فإنه تطرّق إلى إتجاه خير الدين إلى جزيرة جربة التونسية.

ونستنتج من خلال المذكرات التي كتبها خير الدين، أن هذا الأخير قام بعمل شنيع وهو قطع جسم شيخ مدينة الجزائر إلى أربع قطع؛ فهذا تمثيل بالنفس البشرية ومابالك أنّها نفس مسلمة إذ لاينبغي التجرّؤ على فعل ذلك.

وبخصوص المدّة التي إستغرقها خير الدين بعيدا عن مدينة الجزائر فهي خمس سنوات حسب مذكرات هذا الأخير وبالتالي فعودته إلى الجزائر كانت في سنة 1525، أمّا سعيد بوليفة فقد ذكر تاريخ1527.

وفيما يخص المعركة التي وقعت بعد عودة خير الدين، ذكر هذا الأخير في مذكراته بإلتحاق الآلاف من فرسان الأرياف المجاورة وهي بدون شك قوات قلعة آث عباس وهذا قد ذكره سعيد بوليفة أيضا.

وحسب خير الدين فإن المعركة إنتهت لصالحه وتمّ طعن أحمد أولقاضي بالرمح ثم تمّ قطع رأسه وأرسل إليه. أمّا في كتاب سعيد بوليفة" جرجرة عبر التاريخ" فإن أحمد أولقاضي تمّ الغدر

---

[1] -Idem,p87.

به عشية المعركة من طرف أحد أقربائه، ونفس الرواية ذكرها بربروجر أي قتل قبل المعركة وذكر أنه تمّ ذلك ليلة المعركة على يد أحد أفراده في عقر معسكره.(1)

ومهما يكن الأمر فإن الملك الأوّل لمملكة كوكو إنتهى أمره وبالتالي إنتهى حكمه وسلطته على مدينة الجزائر التي إسترجعها خير الدين وبقيت في يد الأتراك حتى سنة1830.

**ب- الملك سيدي الحُسين**

بقتل الملك أحمد أولقاضي في سنة 1527، أظهرت الكثير من القبائل أنّها ضد الملك الجديد سيدي الحسين، وإتهمته بقتل أحمد أولقاضي الرجل الذي يحترمه ويحبه الجميع، وإذا لم يكن الملك الجديد هو القاتل إتهمته بالمشاركة في الجريمة.

في نفس الوقت كان العثمانيون قد أعادوا تنظيم الشؤون الداخلية للمدينة من أجل تقوية سلطتهم، وكانوا يفكرون في معاقبة شديدة لسكان القبائل الذين كادوا يطردونهم من الجزائر نهائيا.

وفي إنتظار ذلك كان خير الدين يدرك أهمية التحكم في البحر للتأمين والحفاظ على ثروته، وبالتالي أعطى له أهمية كبيرة ووجّه جهوده لتحسين وتطوير البحرية، فجعلها أكثر هيبة، ومن جهة أخرى نظّم جيشه.

ولمّا فرغ من قضايا التنظيم الإداري والعسكري، وأعاد فرض سلطته على مدينة الجزائر والمناطق التابعة لها، قام بالهجوم على منطقة القبائل.

ومن الجانب الآخر، فإن ملك كوكو الجديد سيدي الحسين وهو أخ أحمد أولقاضي تهيّأ لهذا الإعتداء، فتدخّل وقاوم بكل قوّة مختلف هجمات العثمانيين .وتيقّن خير الدين بأن سكان الجبال شجعان وبواسل.

---

[1] محمد الصغير فرج، المرجع السابق، ص32.   انظر ايضا(S)Boulifa,op.cit,pp88,89-

قاوم السكان لمدّة سنتين بدون توقّف من أجل ردّ وإفشال محاولات العثمانيين. وبما أن خير الدين لديه مشاريع أخرى أوقف القتال وإقترح على سيدي الحسين إبرام إتفاق تحالف وبالتالي إتفاقية سلم من خلالها تحتفظ منطقة القبائل على حريتها كاملة، أمّا ملك كوكو فإنه يعترف بتبعيته للأتراك.[1] وفي المقابل بإمضاء هذه الهدنة في سنة 1529 فإن الأتراك يعترفون بسيدي الحسين حاكما رسميا على كوكو وعلى منطقة جرجرة.

وبخصوص دفعه لضريبة سنوية فقد بقي ذلك حبر على الورق وهذا ليس غريبا، لأن مملكة كوكو التي رفضت دفع هذه الغرامة قامت بالمحافظة على تقاليد المنطقة. وبالتالي فإن البنود التي تطرقت لخضوع المنطقة ما هي إلا مظاهر. بعد هذه الإتفاقية عاد سكان القبائل إلى مدينة الجزائر نظرا لما تستمّد منها من يد عاملة والجلود والزيوت والتين والعنب والعسل.[2]

وفي سنة 1529 إستطاع خير الدين التخلّص من الإسبان الذين إستولوا على جزيرة صغيرة بالقرب من مدينة الجزائر وأسّسوا حصن البنيون منذ سنة1511، ومن هنا بدأت مخاوف الإسبان على ممتلكاتها في بجاية ووهران، ومن تعاظم قوة العثمانيين التي أصبحت تشكّل خطرا على سواحل البحر الأبيض المتوسط، فقام الإمبراطور شارلكان في سنة 1541 بحملة لإحتلال مدينة الجزائر.[3] وقبل ذلك قامت الكنيسة بالدعاية لهذه الحملة وجمعت الأموال من مختلف البلدان الأوروبية بإعتبار أن الحملة والحرب مقدّسة فهي حرب صليبية جديدة ضدّ المسلمين وبرابرة إفريقيا حسب نظرتها.

وعمل الإسبان كل ما في وسعهم من أجل تجسيد هدفهم في أرض الواقع مثل الإغراء بالأموال والذهب وإستعمال الصليب لجذب مشاعر كل المسيحيين الأروبيين وإستمرّ ذلك لمدّة

---

1-(S) Boulifa, op.cit,pp.88,89.
2 -Idem , p92.
3-(Jules) liorel, op.cit, p128.

خمس سنوات تقوم بالدعاية في الساحات العمومية، وفي الكنائس وكانوا يقومون بالدعاء من أجل النصر.[1]

وإعتمد شارلكان على حليفه المتواجد في الإيالة وهو ملك كوكو. وحسب ماذكره جول ليوريل في كتابه" قبائل جرجرة" فإن هذا الملك هو أحمد أولقاضي لكننا نعلم بأن أحمد أولقاضي هو أوّل حكام المملكة وقتل في سنة 1527،[2] إلا أن الملاحظ على معظم المؤرخين لمّا يتطرّقون إلى ذكر ملوك كوكو، هو إستعمال إسم أحمد أولقاضي، ولم يقصدوا بذلك الحاكم الأول وإنما قصدوا الملوك الآخرون والسرّ في ذلك أن إسم أحمد تكرّر في عدة مرّات وأطلق على العديد من ملوك المملكة نظرا للصورة الحسنة التي ظهر بها الحاكم الأوّل.

وفي هذه القضية ذكر سعيد بوليفة إسم الملك الثاني للمملكة وهو سيدي الحسين ويقول بأنه أخ أحمد أولقاضي. أمّا جنّابي وإسمه الحقيقي مصطفى بن حسن بن حسين، فقد ذكر في كتابه" البحر الزخّار والعلم التيّار" أن الملك الأوّل هو أحمد أولقاضي وهو عالم وتقي خضع له السكان، حكم لمدّة ثلاثة سنوات وبوفاته عُوّض بأخيه محمد أولقاضي الذي إستغرق حكمه ثلاثون سنة.[3]

ومهما يكن إسم الملك الذي كان على رأس كوكو فإن الإمبرطور شارلكان قد تحالف معه عن طريق عبد الله إبن الملك السابق لبجاية والذي أغرّته إسبانيا بالأموال.[4]

خرج شارلكان على رأس هذه الحملة من ماهون يوم 18 أكتوبر 1541،[5] ونزل بجنوده على الضّفة اليسرى لواد الحراش. وبوصول هذه القوات، وحسب الإتفاق والوعد الذي أعطاه

[1]-(−(S)Boulifa, op.cit,p 95

[2]−(J) liorel, op.cit, p.128.

[3] −(H) Genevois,op.cit, p12.

4-(J) liorel, op.cit, p128

[5]− يحي بوعزيز،علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا،1500و1830،ديوان المطبوعات الجامعيةالجزائر، 1980،ص46.

أولقاضي لإسبانيا، فإن هذا الأخير كان مستعدا للمشاركة بهدف الإستلاء على مدينة الجزائر بجيش قوامه ألفين من المشاة وإلى جانبهم العديد من الفرسان.[1] وذلك حسب الخطّة المهيّأة، وسيمّر بفج بني عائشة ثم الوصول إلى متيجة ثم سيهدّدون مدينة الجزائر بالهجوم عليها عبر مرتفعات الساحل.

وفي يوم 23 أكتوبر 1541 نزلت القوات الإسبانية في سواحل الحراش.[2] وكان الإمبراطور شارلكان الذي نزل بحوالي ثلاثون ألف جندي على وشك تحقيق النصر النهائي، لولا العاصفة القويّة التي إستمرّت يومين(24و25 أكتوبر 1541) والتي أحدثت في جنود الحملة الإسبانية إرتباكا وفوضى كبيرة وأغرقت أعداد كبيرة من سفن التموين وحاملات الجنود، فإستغل حسن آغا وجنوده وسكان المدينة هذه القوى الطبيعية الغير المنتظرة وإستبسلوا في الدفاع أولا والهجوم ثانيا على فلول الأعداء المهاجمين فإنسحب الإسبان.[3]

أمّا ملك كوكو الذي خرج من إقليمه ومملكته من أجل مساعدة الإمبراطور ومعه الكثير من القوات والتي تم ذكرها من قبل، لمّا سمع بأخبار الحملة الإسبانية وإنهزامها عاد من حيث أتى إلى كوكو. ولمّا سمع فيما بعد أنّ الأسطول الإسباني إتّجه نحو مدينة بجاية، يذكر هايدو، أنّ ملك كوكو بعث المؤونة للإسبان.

إلا أن المجاعة والقحط الذي عانت منه الجزائر يجعلنا نقول بأن ملك كوكو لم يبعث المؤونة للإسبان في بجاية إذ كيف يتمّ ذلك والناس يعانون من الجوع ونقص الغذاء.

لمّا سمع حسن اغا بما فعله ملك كوكو والإتفاق الذي وقع بينه وبين الإسبان، قرّر معاقبته وشنّ حرب قاسية ضدّه، فإنتظر حتى إنتهاء فصل الشتاء، وبحلول فصل الربيع خرج حسن آغا في أواخر شهر أفريل من سنة 1542 مع ثلاثة الاف تركي مسلّحين، بالإضافة إلى ألفين

---

1-(Fray diego ) de Haedo, op.cit, p.65.

2 -(S) Boulifa, op.cit, p96.

3 – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص.46    أنظر أيضا    –(Diego) de Haedo, op.cit, p63

فارس من العرب والمور، وألف من المشاة ومعهم 12 مدفع وإتجهت هذه القوات نحو منطقة القبائل. ولما رأى ملك كوكو أنّه لا يستطيع مقاومة تلك القوة لم يدخل في المعركة وإستسلم لعثمانيين مقابل دفع أموال طائلة وإعطاء عدد كبير من الأبقار والجمال والأغنام وتعهّد بدفع غرامة مالية سنوية، والتي لم يألف أسلافه دفعها وسلّم إبنه رهينة وهو وريثه وعمره 15 سنة وإسمه سيدي أحمد بن القاضي. وهكذا رجع حسن اغا إلى مدينة الجزائر بدون قتال.[1]

ذكر سعيد بوليفة فيما بعد المسلك الذي إتبعه الجيش التركي لمعاقبة ملك كوكو، وهو سهل إيسر وعن طريقه عبر الجيش إلى سيباو الأدنى ثم وصل إلى دلس الواقعة في غرب سلسلة آثجناد.

منذ تلك الفترة كان هذا الجزء من القبائل البحرية تابعا لإقليم ملوك كوكو وبهذه الطريق التي إتّبعها حسن آغا يكون قد تجنّب المناطق الأخرى ذات المسالك الصعبة، وبوصول الجيش العثماني إلى دلس بتلك الأعداد، أضف إلى ذلك عامل المفاجأة جعل ملك كوكو يضع السلاح ويطلب الأمان.[2]

من خلال إتفاقية السلم التي أبرمها الملك سيدي الحسين مع الأتراك يتبين لنا أن هذا الملك إجتنب الدخول في حرب قد تؤدي إلى تدمير القرى وحرقها وبالتالي ينجرّ عن ذلك خسائر فادحة؛ وذلك نظرا لقوة الخصم (عددا وعتادا). ومن هنا حافظت منطقة القبائل على هدوءها، خاصة إذا علمنا مافعله سيدي الحسين مع الإسبان بتحالفه معهم. وكان سيدي الحسين نادما على مافعله مع الإسبان وكان ضميره يؤنّبه فلم يقاوم بل كان همّه طلب الإعتذار من الأتراك، فذهب مع عقلاء القبائل المهدّدة وطلب أن يلتقي بالحاكم، فشرح له وضعيته وندم على مافعل وطلب الأمان فتقبّل منه، لكن ذلك جعله تحت الحماية المباشرة للعثمانيين.[3]

---

[1]- Idem, p 65. انظر ايضا

-(Adrien)Berbrugger,*Les époques militaires de la Grande eKabylie,*librairie gènérale de Bestel,paris,1857,pp77-79

[2]-(S) Boulifa, op.cit, pp100,101 .

[3]- Idem,p98

تضمنت إتفاقية السلم المبرمة بين سيدي الحسين وحسن آغا، شرط وهو أن يدفع ملك كوكو عدد كبير من الأبقار والجمال والكباش، هذا يدلّ على أن تربية الحيونات كانت سائدة في مملكة كوكو وبكثرة وبالتالي فإن الحالةلإقتصادية كانت مزدهرة . ونستنتج أيضا أن تربية الجمال كانت سائدة منذ مدّة بعيدة في المناطق السفلى لجرجرة مثل حمزة وإيسر وسيباو ولم تختفي حتى سنوات 1885و1886.

لا تتوقف أهمية الإتفاقية التي وقّعها سيدي الحسين في سنة 1542 فيما ذكرناه عن الإقتصاد، وإنما تتعداه إلى جانب آخر وهو الجانب السياسي ويتعلّق الامر بذكر إسم إبن سيدي الحسين الذي قُدّم رهينة للأتراك، فهذا يهمّ عائلة أمراء كوكو.

ذكرنا سابقا بأن ملك كوكو الذي تفاهم مع الإسبان وتحالف معهم لايمكن أن يكون أحمد أولقاضي وقلنا بأنه بدون شك هو سيدي الحسين لأن فترة توليه الحكم أو السنة التي حكم فيها وهي 1527 ليست بعيدة عن سنة 1541. لكن هذا الإشكال يحسمه سعيد بوليفة، بذكره أن الكثير من الكتاب يتطرّقون إلى إسم أحمد بن القاضي وهذا خطأ، لأن المعني بالأمر هو سيدي الحسين أخ الملك الأوّل أحمد بن القاضي الذي أغتيل في سنة1527.

أمّا الشاب الذي قُدّم رهينة للأتراك والملقّب أيضا بإسم أحمد أولقاضي فإسمه الحقيقي هو سيدي أحمد أو الحسين نايت قاضي وهو الذي تولّى الحكم بعد أبيه سيدي الحسين.

وفيما يخصّ تلك الإتفاقية المبرمة بين سيدي الحسين والعثمانيين رغم الشروط التي تضمنتها فهي لاتغطي المنطقة بأكملها وإنما تعني عائلة أولقاضي وأتباعها.[1]

أمّا حسن آغا فقد عاد إلى مدينة الجزائر وإستقبل بفرح كبير من طرف الجميع، وذلك نظرا لتحقيق هدفه بدون إراقة الدماء ، ومن جهة أخرى بتوقف التهديد القبائلي على العثمانيين تفرّغ

1-(S) BOULIFA,op.cit,pp98,99-101

هؤلاء لتوجيه جهودهم نحو المناطق الأخرى من البلاد خاصة الحضنة والزاب ثم نحو تلمسان وحتى نحو فاس ضدّ سلطان المغرب.[1]

في كلّ الحملات العسكرية التي شنّها الأتراك لتحقيق أهدافهم عندما كان التحالف و السلم مع أولقاضي، شارك فيها القبائل و أدى ذلك الى النصر. و كان نظام الحكم في مدينة الجزائر مقتنع وراض بخدماتهم، وفي كل مرّة يشجعونهم ماديا ومعنويا نظرا لشجاعتهم ووفائهم وتميّزهم.

وبتوفر السلم أصبحت مدينة الجزائر قِبلة لمنطقة القبائل التي توفر منتجاتها ذات الجودة بالإضافة إلى اليد العاملة الماهرة، فكان ذلك إيذانا بعهد جديد للعاصمة متميّزا بالرّخاء والعلوّ، وكان لذلك أثر على مملكة أولقاضي التي أصبحت صديقة حميمة لباشا الجزائر، وتخلّصت منطقة القبائل من الضغط فتطوّرت وأصبح سكان الجبال يجدون العمل خارج منطقتهم وهذا إنعكس إيجابيا على منطقة جرجرة التي شهدت فترة من الهدوء والرخاء.

**-تحرير مدينة بجاية و دور المملكة في ذلك**

في سنة 1554 وبعد عودة صالح رايس من فاس لكي يُرجع أحد الأمراء المرينيين إلى حكمه، برزت فكرة إسترجاع بجاية لأن الوجود الإسباني في هذه المدينة يعتبر حجر عثرة أمام تطوّر قوة الاتراك في الجزائر ككل، وشيئ غير طبيعي بالنسبة لسكان الجبال يطلبون إزالته.[2]

ففي سنة1555 إلتحق ثلاثة الاف قبائلي بقوات البايلرباي من أجل طرد الإسبان من بجاية،[3] وكان هؤلاء الرجال تحت أوامر أولقاضي أمّا العثمانيين فكانت لديهم المدافع.

---

1-(S)Boulifa,op.cit,, pp99,101.

2-Idem, pp101-103.

3-Jules liorel, op.cit, p130.

وبوصولهم إلى المدينة بدأ صالح رايس بالتنظيم قبل الهجوم العام في 15 سبتمبر1555،وبعد تمركز قوات صالح رايس في الأماكن الإستراتجية مثل أعالي المدينة، وبدأت هذه القوّات في إطلاق النار، وفي المقابل كان الإسبان يحاولون الرّد إلا أنّ الضربات المستمرة والقاتلة للمدافع التركية جعلت إمكانية المقاومة بالنسبة للإسبان مستحيلة.

وبظهور الثغرات بدأت الهجمات على المدينة، وتمّ الإستلاء على برج موسى ثم برج عبد القادر، وبعد ذلك هاجموا على القصبة أين لجأ المدافعون الإسبان.

أدّت ضربات المدافع العثمانية إلى ظهور الثغرات، فقام الاتراك بالهجوم على المدينة ممّا أدى بحاكم المدينة دون لويس بيرالتا إلى الإقتناع بعدم جدوى أيّ مقاومة و بالتالي إلى الإستسلام في 27 سبتمبر 1555.

دام الحصار وإطلاق النار والقتال حوالي عشرة أيام، وبقي من الإسبان الحاكم و120 رجل[1]. وطلبوا الامان، فقبل صالح رايس ذلك بأن يختار دون بيرالتا اربعون فرد، ويتمّ إطلاق سراحهم،فرجعوا الى اسبانيا،وبوصول دُونْ ألونزا دو بِيرالتا،عاقبه ملك إسبانيا فليب الثاني بأن قطع رأسه نظرا لاستسلامه .

أمّا صالح رايس فقد دخل إلى المدينة وأخذ الغنائم التي وجدها وهي ثروة كبيرة، وتمّ أسَر 400 رجل و120 إمرأة وحوالي 100 طفل ووجد000 12 إيكو أخذها صالح رايس. ووزّع نسبة كبيرة منها أي من الغنائم والأسرى ككل على الاتراك وبعض المور منهم رجال كوكو.

وترك في بجاية علي صاردو قائدا لها ومعه 400 رجل، أمّا هو فقد رجع إلى مدينة الجزائر ومعه مابقي من الغنائم والأسرى ودامت هذه الحملة شهرين[2] وهكذا تخلصت بجاية

1-(S)Boulifa,op.cit,pp 103,104

2-Jules Liorel,op.cit,p130.

من سلاسل العبودية وأصبحت بعد ذلك مزدهرة ومتحررة كأنها ولدت من جديد ، وهذا راجع لنشاط سكانها وموقعها الجغرافي وجمالها.

مما سبق يتبين لنا دور مملكة كوكو في تحرير مدينة بجاية وذلك بإرسال ثلاثة الاف رجل وهذا عدد كبير، وهذا إن دلّ على شيئ فإنّما يدلّ على غيرة مملكة كوكو ومن فيها من الرجال على وطنهم وعدم قبول الأعداء بجوارهم، لأن وجودهم يعتبر خطر على منطقتهم أيضا. وهكذا يمكن القول أن ملوك كوكو لم يبقوا في موقف المتفرّج من سير الأحداث التاريخية وإنّما أثّروا فيها بما فيه الفائدة لمملكتهم ومنطقتهم والجزائر ككل.

يعتبر هذا الإنتصار بالنسبة لمنطقة القبائل ككل حدث مفرح، وتعتبر سنة 1555 تاريخ يبقى في الذاكرة لأنه يسجل أهم غزوة قام بها الأتراك بمساعدة كوكوعلى الإسبان.

وهذا الحدث السعيد وظفه ملوك كوكو من أجل الرفع من شأنهم والمحافظة على ثرواتهم. إذ أسند الأتراك اليهم إدارة أقاليم بجاية، وهذا من شأنه أن يزيد من قوّة سلاطين كوكو ويجعل منافسهم آث عباس يصعب عليهم القيام بأيّ مقاومة ضدّ إكتساح الزواوة للمناطق الشاسعة والغنية لوادي الساحل.

ومن هنا يتبين لنا، أن منطقة نفوذ مملكة كوكو أصبح منذ منتصف القرن 16م واسعة نظرا لشساعة المساحة وكثافة السكان، بحيث وصل نفوذهم إلى مدينة الجزائر و بجاية.

لكن من جهة أخرى فإن إتساع الرقعة الجغرافية لمملكة كوكو يتطلب من الحكام أن يتحمّلوا مسؤوليات ثقيلة وكبيرة لكي يتحكموا في السلطة[1] على سيباو ووادي الساحل أي على المنطقتين القبائليتين، ويجب عليهم أنّ يتميزوا ليس فقط بالذكاء، وإنّما يتميزوا بخصائص إدارية وسياسية فريدة، فعليهم أنّ يفرضوا النظام بدون التسبب في الثورة، ويجب عليهم تحقيق العدل وأن يمارسوا السلطة بدون قهر وإضطهاد.

وبالإضافه إلى صعوبات الإدارة أمام الإضطرابات التي تثيرها عروش القبائل، يجب السهر والتحلي بالحذر من السياسة العثمانية. ومن هنا فإن سيدي الحسين غرّةُ الإنتصار، فلم يكن في

[1]-Idem, pp105-107.

مستوى مهمته ودوره كحاكم أعلى لجرجرة . وفي علاقاته بالسكان نسي بأن سلوكاته التي تشبه سلوكات البايلرباي لا تليق مع طبيعة الرجل القبائلي الذي يتّصف بالكبرياء.

نظرا لعدم مرونته كان هذا الحاكم يؤذي بتصرّفاته السكان. ومن هنا فإن السكان كانوا متذمّرين من السلطة وينتظرون فقط الفرصة للدفاع عن أنفسهم والقيام بالثورة. وكانوا يطلبون الحماية من أصدقائه ومن عائلته. إلا أنّ سلطة الملك كانت تمارس بالقوة وبعد تذمّر القرية أصبحت القبيلة بأكملها بعد إحساسها بالهوان منتفضة ورافعة للسلاح ضدّ المستبد.

وبهذا النظام المستبد لعائلة أولقاضي، أصبحت هذه الأخيرة بعيدة عن قلوب السكان الخاضعين لإدارتها. إذ أن طبيعة الشرف والإستقلال التي يتميّز بها القبائلي تجعل هذا الأخير لا ينحني أمام متطلّبات النظام الإقطاعي الذي عمل سيدي الحسين من أجل فرضه على منطقة القبائل. وهذا ما أدّى إلى صراع نتج عنه زوال هيبة حكام كوكو.[1] في سنة 1559 شنّ العثمانيون حربا بمساندة مملكة كوكو على قلعة آث عبّاس، وسوف نتطرق الى ذلك لاحقا.

**ج-الملك أحمد أولقاضي**

بعد إنتهاء الحرب طلب حسن باشا إبنة ملك كوكو للزواج في 1561 وكانت جميلة جدا وقبِل ملك كوكو ذلك. وبما أنّ العلاقة بين حسن باشا وعلج علي، أحد أصدقائه كانت حسنة، فقد زوّج حسن آغا إبنة أخ ملك كوكو لإبن علج علي.[2]

ومنذ ذلك الوقت فقدت المملكة هيبتها، وأصبحت معظم القبائل ينظرون إليها بحذر، وأصبحت تنتظر ما سيسفر عنه هذا الزواج.[3]

أرسل حسن باشا من أجل الإتيان بالأميرتين، العديد من الفرسان وإستقبلهم في المدينة كما ينبغي وقاموا بإحتفلات كبيرة. [4]

[1]-Idem, pp106,107.
[2] - (F) De Haedo,op.citpp119-121
[3]-(S)Boulifa, op.cit, p112.
[4] - F.De.Haedo, op.cit, p121

هذا التحالف بين حسن باشا وملك كوكو جعلت زواوة(القبائل) يظهرون في المدينة بأسلحتهم المختلفة، وهذا ما لم يُسمح من قبل. وكان عددهم كبير ويشترون الأسلحة، ويتجوّلون بحريّة في مدينة الجزائر كأنها مُلكا لهم.[1]

أدّت هذه المصاهرة الى الكثير من التعاليق، خاصة من طرف سكان مدينة الجزائر الذين أساؤوا الظن فيما حدث بين حسن باشا ومملكة كوكو فرجّحوا فكرة المؤامرة التي يكون حسن باشا قد خطّط لها من اجل أن يكون على رأس الديوان، و ذهبوا الى اكثر من ذلك أنّ هذا الحاكم سوف يعلن إستقلاله عن حكم القسطنطنية بمساندة الزواوة. إنتشرت هذه الإتهامات وفكرة المؤامرة، فإنزعج السكان في مدينة الجزائر، وقبل أن تترك الفرصة للحاكم حسن باشا للرّد على هذه الأقاويل إنقلب الجيش ضدّه وأرغموا الديوان على خلعه، وبالتالي تم توقيفه وإتهامه بالخيانة، وإرساله إلى القسطنطنية.[2] مع صهره وكان ذلك في أكتوبر 1561.[3] أمّا زواوة فقد إتهموا بالمشاركة في المؤامرة فوجدوا أنفسهم في حالة يرثى لها، وإضطهدوا من طرف الأتراك، وبالتالي فإن الكثير منهم قد رجعوا إلى جبالهم

دامت هذه الفترة حتى شهر فيفري 1562، [4] فرجع حسن باشا بعد أن أظهر براءته أمام السلطان وفرح سكان مدينة الجزائر والمناطق الداخلية، فإسترجع حسن سلطته ورجع النظام إلى البلاد. برجوع حسن باشا إلى سُدّة الحكم ، أصبح تأثير مملكة كوكو كبير سواء على الحكم المركزي أو في المناطق الداخلية للبلاد.[5] أمّا زواوة فقد أرسلوا ممثّلين من أجل تهنئة حسن باشا على عودته، وتمّ إستقبالهم بحفاوة من طرفه و من طرف الوزراء، ووعدهم حسن باشا بإحترامهم وحماية أملاكهم.

---

1–Idem, p122.
2- (S)Boulifa,op.cit,p114
3-( (F)Haedo, op.cit,pp122,123
4-( (S)Boulifa, op.cit, pp114,115
5-(F).De.Haedo, op.cit, p123

فرح زواوة بالوضعية الجديدة في مدينة الجزائر، فرجعوا الى هذه المدينة بكثرة ليلتحقوا بمناصبهم ومهنهم التي كانت بحوزتهم من قبل.ونظرا للخصائص الطبيعية لسكان زواوة بالإضافة إلى نشاطهم وموهبتهم في التأقلم السريع مع مختلف الأوضاع، فإنهم سرعان ماتخلّصوا من سلوكاتهم الغليضة التي كانوا يتميّزون بها في مناطقهم الجبلية، وقاموا بصقل عاداتهم بما يتماشى مع عادات المدينة، سواء في ملبسهم أو كلامهم ، خاصة وأنهم أذكياء ولهم أخلاق حسنة.

تأقلموا مع مختلف المهن، فأصبحوا مميّزين بالإضافة إلى الصناعة والتجارة اللّتين أصبحتا مزدهرتين. وفي ميدان البحرية أبهروا الرياس وساهموا في إنتشار السمعة الحسنة للرياس في سواحل البحر الأبيض المتوسط، بمشاركة العنصر الأمازيغي( القبائلي) في الجيوش البحرية والبرية مثلما كان الحال في عهد قرطاجة، أدّى ذلك إلى فرض هيبة حكام الجزائر الأوائل والذين جاؤوا من بعدهم، وإكتسب الأسطول الجزائري تقدّمه عندما إنضمّ زواوة إلى البحرية سواء كَيَدْ عاملة أو رجال للجيش والحرب. ولا يجب أن ننسى، أن السفن التي تبحر من جيجل وبجاية على متنها زواوة يعرفون بالبسالة والمكابدة، والكثير من سكان جبال زواوة كانوا يَنضَمّون إلى البحرية الجزائرية، والدليل على ذلك عندما تبادلت الجزائر وإسبانيا الأسرى تمّ ملاحظة أن معظم الأسرى الجزائرين هم قبائل أُسّروا في عرض البحر الأبيض المتوسط.[1]

وكانت غابة تمقوت في آث جنّاد تملك أشجار البلوط وبالتالي يتمّ إرسال الخشب إلى مصانع بناء السفن في بجاية ومدينة الجزائر. ويرجع تاريخ إستغلال العثمانيين لهذه الغابة إلى عهد خير الدين، عندما تحالف مع أولقاضي. وبالتالي قام خير الدين بتوسيع مينائَي جيجل وشرشال وأصبحا مزدهرين خاصة وأنهما يحتلان موقعا إستراتجيا وكانا مُهابين من طرف البحرية الأروبية. هذه الوضعية سمحت للبحرية الجزائرية بإمتلاك وتسليح أساطيلها بإمكانياتها الخاصة.

[1]- (S) Boulifa, op.cit,pp 115,116.

في ظل حكم حسن باشا وإدارته الحازمة والذي أدرك قيمة زواوة وقوّتهم، أصبحت مدينة الجزائر في سلم وعامل جذب، وإكتسبت الثروة والقوة العسكرية وإرتفع شأنها. و أصبح لديها هيبة في البحر الأبيض المتوسط وطالبت من الدول الأوروبية دفع غرامات لكي تمرّ سفنها بسلام.(1)

**د- الملك أعمر أولقاضي**

بعد وفاة سيدي الحسين والذي يذكره جنّابي بإسم محمد، ولا نملك التاريخ بالضبط ،إلا أن هذا المؤلف أشار إلى المدّة التي إستغرقها حكم سيدي الحسين وهي حوالي ثلاثين سنة، وبالتالي يمكن أن نحدّد بالتقريب تاريخ وفاته وهي بداية الستينات من القرن 16، وبعده حكم إبن أخيه أحمد إبن أحمد لمدّة عشرة سنوات وقال بأنّه توفى 1583، وخلفه إبنه محمد بن أحمد بإسم إبن القاضي، وعندما توفي هذا المؤلف في سنة1590م كان الحاكم محمد بن أحمد في سدّة السلطة.

بخصوص الحاكم أعمر أولقاضي، فقد تميّز بالإستبداد والظلم والقهر وتحدثنا في القسم الثاني من البحث عن المتاعب الكبيرة التي جلبها فِيله للسكان بسبب الكمّيات الكبيرة من الأكل التي يوفّرونها له والتي أثقلت كاهلهم .

وكان يسلّط عقوبات شديدة على المتهم بطرحه في الأرض صيفا من شروق الشمس إلى غروبها.وبسبب غطرسته وإستبداده ربط علاقاته مع الإسبان منذ 1598 إلى غاية 1610. و الرسائل التي كانت بين الطرفان وخاصة من طرف هذا الحاكم دليل على ذلك. وكان يطمح لإيجاد سند يساعده لإخماد إي ثورة محتمل إندلاعها ضدّه، وذلك بالأسلحة التي يقدّمونها له، وهذا الخطر يزعجه أكثر من الخطر العثماني.

وكان المرسول إلى إسبانيا إبن عمّ الملك أعمر أولقاضي المدعو أبو مالك وكان ذلك سرا،حمل رسالة إلى ملك إسبانيا وذلك في جوان 1598 أي قبل بضعة أسابيع من وفاة الملك

[2]- Idem, pp 116-118

فليب الثاني ثم حمل رسالة أخرى إلى الأمير الذي حكم إسبانيا بعد وفاة والده وهو فليب الثالث؛ وتضمنّها أعمر أولقاضي، أهمّ ما جاء في الرسالة الأولى. هذه الرسالة إشتملت على بعض ما ترغب فيه إبنة ملك كوكو وهي عائشة من هدايا.

والرسالة الثالثة وُجهت إلى المثقّفين ورجال الدين الإسبان.[1] وتوجد رسالة في سنة 1603 وبالضبط في 25 جوان 1603 أُرسلت من طرف ملك كوكو إلى الملك فليب الثالث يقترح عليه المساعدة بقوّة للإستلاء على مدينة الجزائر( أنظر الملاحق: نص الرسالة الأصلية والمترجمة إلى الفرنسية) وسوف نعود إلى موضوع العلاقات مع الإسبان بالتفصيل في القسم الأخير من البحث.

وأغتيل حاكم كوكو في سنة 1618 بتحريض من المرابط سيدي منصور الذي إستطاع أن يُزيل ويحطّم جدار الخوف من قلوب السكان ، وبالتالي عدم الرضوخ لمطالبه الشاقة.

**- شجرات الملوك في الرواية والوثائق**

أ-**شجرة الجنابي:** من بين الوثائق التاريخية التي تطّرقت إلى أنساب ملوك كوكو نجد ما ذكره حسن الجنّابي، **وهو** مفتي المذهب الحنفي بالجزائر وتوفى عام 999هـ الموافق لسنة 1590م في كتابه: البحر الزّخام والعلم الطّيار، وذكر ملوك كوكو بهذا التسلسل:

1- أحمد بن القاضي وهو مؤسّس المملكة

2- محمد (أخ أحمد) دام حكمه 30 عام.

3- محمد بن محمد بن القاضي بن أحمد وإستغرق حكمه 10سنوات.

4- محمد بن أحمد بن القاضي 1583.

5- عمر بن القاضي.

**ب- الشجرة التي وردت في رسالة عمر في 25 جوان 1603**

1- أحمد بن القاضي

---

[1]-( Pierre) Boyer,op.cit,pp25-29.

2- محمد بن أحمد بن القاضي، أبو عبد الله، ورد عند هايدو بإسم وارث العرش في 15 سنة

3- عمر بن عمر المقتول في عام 1619.[1]

**ج- شجرة المؤنس**

1- أحمد بن عمر بن القاضي

2- الحسين بن القاضي، ذكره المؤلف في المجهول كتابه غزوات عروج وخير الدين.

3- محمد بن أحمد بن القاضي، هو أبو عبد الله محمد كالذي ورد في مراسلة 1603.

4- محمد بن أحمد بن القاضي 1619.[2]

نلاحظ فيما ذُكر في كتاب المؤنس، أنّ الملك الأوّل أحمد بن القاضي و الملك الثاني الحسين بن القاضي قد وردا في كتاب جرجرة عبر التاريخ أو إستقلال الزواوة للمؤلّف سعيد بوليفة، وبخصوص الثاني إعتبره أخ لأحمد بن القاضي. والملك الذي شاع ذكره عند الكثير من المؤرخين والمؤلفين هو أحمد بن القاضي المعروف في الذاكرة الشعبية بإسم أحمد أولقاضي، فقد ذكره بربروجر في كتابه: العهود العسكرية للقبائل الكبرى، وذكره أيضا فيرود وروبان وحدّدوا المدّة التي حكم فيها مدينة الجزائر ب3 سنولت أي ما بين 1520و1523.

وتطرق إلى ذكر هذا الملك مؤلفون آخرون وهم سعيد بوليفة ودحماني ومحمد صغير فِرج وحدّدوا المدة الزمنية التي تولى فيها زمام الحكم في مدينة الجزائر ب7 سنوات أي مابين 1520و1527.

**د- شجرة أعيان الجزائر ورسالتهم**

1- أحمد عُرف بإسم إبن القاضي وإستغرق حكمه لمدّة 3 سنوات أي ما بين 1519 و1521

2- محمد بن القاضي وهو أخ أحمد ودام حكمه 30سنة ما بين 1521 و1552

3- أحمد بن أحمد حفيد الأخير، وإستغرق حكمه لمدة 10 سنوات أي ما بين 1552 و1553 وهو وارث العرش حسب هايدو.

---

1- أحمد ساحي، بلاد الزواوة من القرن السادس عشر الى الثامن عشر، ص ص69،70.

2- نفسه، ص ص69، 70

4- محمد بن أحمد بن أحمد بن القاضي، وحكموا كلهم في كوكو.[1]

نلاحظ في شجرة حسن الجنّابي، عدم ذكر إسم الملك الثاني وهو الحسين، وقد ذكره المؤلف المجهول في كتابه غزوات عروج، وذكره أيضا سعيد بوليفة، ولم يُذكر أيضا في رسالة عمر المؤرخة في 25 جوان 1603 ولم يُذكر أيضا في شجرة أعيان الجزائر.

ويمكن إزالة هذا الغموض بالقول أن سيدي الحسين ربّما لم يكن يحكم لمدة طويلة وإنّما لمدة قصيرة، لكن هذا لا يمكن أن يكون حجّة لإلغاء إسمه من قائمة ملوك كوكو.

والإسم الثاني الذي أُدرج في قائمة الملوك من طرف الجنّابي ورسالة 1603 والمؤنس وشجرة أعيان الجزائر ورسالتهم أي ذُكر من لَدن جميع الوثائق السابقة هو محمد ، إلا أن هناك نوع من الإختلاف، فالجنّابي يعتبره أخ للملك الأول أحمد بن القاضي. وفي رسالة عمر 1603 ذُكر على أنه إبن أحمد وفي شجرة المؤنس تمّ إعتباره الملك الثالث بعد الملك الحسين وذُكر على أنه إبن الملك الأول أحمد، وفي شجرة أعيان الجزائر ورسالتهم، أُدرج على أنه الملك الثاني وأنه أخ الملك الأول أحمد بن القاضي.

إذن يتمثل وجه الإختلاف في صلة هذا الملك محمد بمؤسس المملكة أحمد بن القاضي هل هو أخ أم إبن لمؤسس المملكة؟

والإستنتاج الآخر الذي يمكن الوصول إليه هو وجه الشبه بين مدة حكم هذا الملك محمد وهي 30سنة في كل من شجرة الجنّابي وشجرة أعيان الجزائر.

أمّا ما تمّ ذكره ، أنّ هؤلاء الملوك حكموا كلهم في كوكو فهو قابل للنقد، إذ أن العاصمة الأولى للمملكة حسب بوليفة وحسب الذاكرة الجماعية هي قرية أورير في عرش آث غوبري، أمّا كوكو فهي العاصمة التي تمّ إتخاذها مقر للمملكة بعد سوء العلاقات بين أحمد أولقاضي وخير

---

[1]–احمد توفيق المدني: حرب الثلاث مائة سنة، ص.ص.301،302. أنظرأيضا :

–أحمد ساحي، المرج السابق،70 .

الدين بربروس، وبالتالي غيّر مقر المملكة إلى مكان حصين جغرافيا لسهولة الدفاع عنها فهي منطقة مرتفعة يكفي لرجالها القذف بالصخور والحجارة من الأعلى للتغلّب على العدو.

**هـ- شجرة الملوك حسب بعض المراجع**

حسب بربروجير و فيرود وجنفوى و روبان، فإن اصل آث القاضي هم الادارسة و بالضبط عمر بن ادريس الذي جاء الى كوكو بعد سقوط مملكتهم في فاس و اسس زاوية هناك وذلك في القرن 11م

1- **سيدي أحمد بلقاضي**

تولّى حكم مدينة الجزائر من 1520إلى 1523 حسب بربروجر وفيرود وروبان. أمّا حسب سعيد بوليفة ودحماني ومحمد صغير فِرج فإن مدّة حكم هذا الملك إمتدّت من 1520إلى 1527.

**2- سيدي الحسين**

هو أخ أحمد أولقاضي حسب سعيد بوليفة، تولّى زمام الحكم بعد مقتل أخوه أحمد وذلك في سنة 1527، وهو الذي زوّج إبنته لإبن خير الدين بربروس وهو حسن وأنجبت هذة البنت ولد.

**3- عبد الله**

هذا الملك أخ الملك السابق سيدي الحسين هذا حسب رواية سعيد بوليفة

4- **سي عمر أولقاضي**

لم يُذكر تاريخ وصوله إلى سدّة الحكم، وهناك وجهات نظر مختلفة حول هوية القاتل، فحسب سعيد بوليفة ودحماني وفرج، فقد أُغتيل من طرف إبن أخيه وذلك في سنة1618.[(1)]

5- **سي أحمد بن ختوش** أصبح حاكما لكوكو في سنة 1625 وذلك حسب فيرود وروبان.

**6- سي حند أولقاضي**

[1]-(N)Haddab ,*Essai de généalogie des Ath –lqadi*,in Hommes et femmes de kabylie,p90 .

يسمى أيضا التونسي أو سيدي أحمد التونسي بن أعمر القاضي، ولِد في تونس، وجاء في سنة 1633 ليثأر من مقتل أبيه. وحسب محمد صغير فرج فإنه عاد في سنة 1633 على رأس مجموعة من الجنود التونسيين وإستقرّ في أورير وتوفى ما بين سنتي 1696 1697.

**7- سي على بن سي أحمد التونسي**

تولى سدّة الحكم في مكان أبيه على رأس الصف السفلي وهذا حسب دحماني، و أخوه يُدعى أرخو بن سي أحمد التونسي الذي إنفصل عن أبيه وأسّس الصف العلوي وهذا حسب دحماني.

**8- سيدي محند أولقاضي**

**9- سي أحمد أو علي بوختوش:** وهو آخر الملوك الذين عارضوا العثمانيون.[1]

**تحليل وإستنتاج**

من خلال ما تم إستعراضه من أحداث وأخبار حول ملوك كوكو، يتبيّن لنا أنّ المرحلة الأولى لمملكة كوكو تمّيزت في بدايتها في عهد أحمد أولقاضي مؤسّسها، بإلتفاف عدّة مناطق وعروش حول هذا الملك، كيف لا وهو الذي أنشأ هذه المملكة، فقد خضعت له القبائل الساحلية وقبلت به القبائل الجبلية أن يكون تحت عنايتها مقابل إحترام عاداتها وتسيير شؤونها، وهذا ما طبّقه، فكان حكمه عادلا بعيدا كل البعد عن الظلم والإستبداد.

وكان في بداية الأمر متحالفا مع الإخوة بربروس من أجل مصلحة البلاد المهّددة من طرف الإسبان، إلا أنّه غضب من عروج الذي إغتال سالم التومي، وكان طموحه أن تصبح كل الجزائر تحت حكمه. وإستطاع أن ينتصر على خير الدين وقواته في سنة 1520 وبالتالي تقدّم نحو مدينة الجزائر التي حكمها لمّدة سبع سنوات أي إلى سنة 1527 حسب سعيد بوليفة، وإلى حد الآن هناك مكان في بوزريعة يسمّى  جبل كوكو.

وفي عهد سيدي الحسين إتبع العثمانيون سياسة المصاهرة مع العائلة الملكية،إذ تزوج حسن بن خير الدين من إبنة ملك كوكو،وكانت لديه أهداف وهو تحقيق السّلم في منطقة القبائل

[1]-(N)Haddab ,op.cit ,p90 .

ويعود ذلك بفوائد جمّة على الأتراك ومنها تأمين الطريق الرابط بين مدينة الجزائر وبايلك الشرق وكذلك إستغلال الثروة الخشبية لإستعمالها في بناء السفن. وفي المقابل فإن منطقة القبائل الغربية كلّها إستفادت أيضا من تلك العلاقة الجديدة بين الأتراك وكوكو، إذ توافدوا بكثرة على مدينة الجزائر ووجدوا الإحترام والحرية والعمل.

رغم هذه الفوائد، إلاّ أن هيبة المملكة قد نقصت في أعين سكان عروش منطقة القبائل الغربية، إذ نظروا إليها أنها خضعت للعثمانيين ولم تعد مستقلة. ومن هنا يمكن القول أنّ سياسة المملكة منذ هذه المصاهرة حادت عن الصواب.

ولمّا تولى الحكم اعمر أولقاضي، ساد الإستقرار والأمن بحيث إزدهر إقتصاد المملكة في مختلف المجالات، إلا أن نظام الحكم كان إستبداديا وفرديا وعانى السكان من ذلك كثيرا حتى أنه بقي الى حد الآن مثل مرتبط بعهد أعمر أولقاضي وهو:« يتوحش الفيل رنوثاسد قماس » اي شعر الفيل بالوحشة فأتوا له بأخيه .

وكانت علاقته بالسكان متنافرة ومع العثمانيين أيضا، لكنه رَبَطَ علاقات حسنة مع الإسبان، وطلب منهم التعاون ضدّ الأتراك. ومن هنا فإن عهده لم يكن في صالح العروش والسكان ككل فتمنّوا زوال حكمه، وهذا ما حدث بالفعل بقتله في سنة1618، فإنتهى عهد أولقاضي وبدأت مرحلة إبوختوشان*

### 2-مرحلة إبو ختوشان:-أشهر الحكام

عندما حكم السلطان اعمر أولقاضي مملكة كوكو بالإستبداد والقهر ما بين 1598و1618 قُتل بعد بضعة أيام من جداله مع المرابط سيدي منصور الجنّادي، وحوالي أربعة أيام حسب ما كتبه داوي أحمد بن محمد شيخ زاوية سيدي منصور الجنادي بقرية تميزار دوار إزرازن.(1)

### أ- الملك حند اولقاضي1633-1696

*إبوختوشان،يُقصد به ذو الرمح

1-( H). Genevois, op .cit, p79

هذا السلطان ترك زوجته حامل، خافت من أن تُقتل ففرّت من منطقة آث يحي بعد أن إهتدت إلى حيلة مفادها أن قلّبت صفائح حصانها لكي توهم من يريدها بسوء بأن الحصان وصل من مكان آخر إلى كوكو، ولم يخرج من المنطقة، وهذا حسب رواية أشلام. وإتجهت نحو تونس عبر عنابة، ولمّا وصلت لجأت إلى أخيها، وبعد ذلك وُلد منها طفل أسمته سيدي حند القاضي. وطلب منها أخوها أن تتزوج فقبلت طلبه بالزواج من الباي.

تربى سيدي حند القاضي في بيت خاله، ولمّا كبر برز أكثر من خاله، فكان يقول له: ياسيدي حند أولقاضي، الثعبان الذي ربيته ضدي.

وصل الأمر بهذا الشاب أن نزع الحكم من خاله، وفي احد الأيام كان يلعب مع أحد الشباب فقال له بأن أصله ليس من تونس وإنّما من بلد أجنبي، فذهب إلى أمّه فسألها عن بلده، فقالت له بأن والده قتله سكان آث يحي. فأراد الإنتقام منهم فطلب المساعدة العسكرية من إبن سلطان تونس فقدّم له هذا الأخير جيشا ذهب مع سيدي حند أولقاضي.

عندما وصل إلى مسوية أسفل ثاقنيتس ناث يحي، أرسل سيدي حند أولقاضي إلى سكان آث يحي أن يبعثوا له جماعة ليتكلّم معهم، فأرسلوا له الفقراء والعجزة والمعوقين ولمّا وصلوا إليه قام بتحليق أذقانهم وألبسهم الأحذية والطرابيش والأقمصة وجعلهم أحسن ممّا كانوا عليه وأطعمهم أحسن الطعام وطلب منهم الإنصراف إلى آث يحي، ولما رأوهم باقي سكان المنطقة تأسّفوا على عدم ذهابهم بدلا منهم، و في المرّة الثانية ذهب كبار المنطقة إلى سيدي حند أولقاضي ولمّا وصلوا إليه قتل منهم أربعون و دُفنوا في مقبرة آث يحي الواقعة بالقرب من ثقنيتس وبوبهير وهي موجودة إلى حد الأن.

عاد سيدي حند أولقاضي إلى المنطقة أمّا الجيش فقد عاد إلى تونس، وهناك من بقي في المنطقة ومنح لهم الأراضي ويوجد احفادهم حاليا في قرية مقنيعة في آث غوبري.(1)

ولمّا توفي سيدي حند أولقاضي دُفن في عين مسعودة وترك ولد يسمى سيدي محند أولقاضي، دُفن في ثبورة، وكان سكان هذه المنطقة صعالك يسرقون الثيران.(2)

1-( H). Genevois, op .cit,pp77,78
2-Idem, p78.

وهناك رواية أخرى لسي يدير براهيمي من كوكو تندرج في إطار الذاكرة الجماعية تتطرّق لمقتل السلطان سيدي أعمر أولقاضي.

تحدّث هذا الشخص عن حكم سيدي أعمر أولقاضي المتميّز بالظلم والإستبداد وعن كيفية تعذيب خصومه، وتحدّث عن كيفية الثّأر منه والقضاء عليه، ذكر أنّ هناك رجل تزوّج من إمرأة، كلاهما من قرية تقنيتس، ثم وقع خلاف بينهما أدّى به إلى الزواج بإمرأة أخرى، أمّا الأولى فلم يطلّقها لمدّة سبع سنين.

وكان السلطان سيدي اعمر أولقاضي يخاف منه كل الناس، ثم تمّ التشاور بين بعض الناس دون علمه، ووعدوا من يقتله بمنحه ما يطلب. نهض أحد  الرجال قائلا بأنه سيقتله، فطلب منهم أن يذهب السلطان  لكي يحّل المشكل الذي وقع بين الزوج والزوجة بأن يُرجع زوجته الأولى أو يطلّقها.

إتجهوا إليه فطلبوا منه حل المشكل فوافق على ذلك، ذهب وترك زوجته حاملا، ولما وصل إلى قرية ثقنيتس مكان الإجتماع المسمّى ثفيغوث التابع لقرية ثقنيتس،  ظلّ طول الليل يتحدث مع المعني بقضية طلاق زوجته حتى أقنعه بذلك أي طلّقها، ولمّا فرغ السلطان من القضية، عاد راكبا على حصانه إلى بيته حتى وصل إلى مكان يسمى الاكو نَطْبق، أين كان الرجل الذي وعد بقتله في إنتظاره فقتله ثمّ إتّجه إلى الذين وعدهم بقتل السلطان فأخبرهم بالحدث.

في اليوم الموالي صباحا أخبرت إحدى النساء، زوجة السلطان سيدي أعمر أولقاضي بما حدث لزوجها، فخافت على نفسها وجنينها، فهربت إلى إيغيل نتيزي بآث غوبري أين يوجد خليفة زوجها هناك، فطلبت منه أن يخفيها عن أعدائها، لكنه بيّن[1] لها أنه غير قادر، ووجهها للذهاب إلى بجاية، فقال لها الحاكم نفس ما قاله خليفة آث غوبري، ووجّهها إلى تونس أين يوجد من يستطيع حمايتها.

---

([1])Idem, pp68,69.

عندما وصلت إلى تونس إتّجهت إلى الباي وبقيت عنده، وفي أحد الأيام أخبرته أنها حامل، فطلب منها الإنتظار حتى ولادة الطفل ثم يزوّجها بأحد الوزراء الذي ليس له زوجة فعملت بنصيحته، ولمّا ولد الطفل و بدأ يكبر ثم دخل المدرسة، وبعد ذلك أنجبت ايضا أطفال من زوجها الوزير، وفي أحد الأيّام خاطب إبن الوزير إبن السلطان وقال له أنّه ينادي أبوه كأنّه أبوه لكن في الحقيقة ليس كذلك، وأخبره بأن أمه أتت به من بلاد القبائل(الزواوة).

فإتّجه إلى أمّه وطلب منها توضيح الأمر، فأخبرته بأن أبوه كان سلطانا لكن قُتل وهي كانت حامل وروت له قصة فرارها إلى تونس ثم زواجها من الوزير.

ولمّا كبر إبن السلطان طلب من زوج أمه أن يقدّم له المساعدة بالجنود والمؤونة لكي يثأر من الذين قتلوا والده، فوافق الوزير فقدّم له ماطلب بالإضافة إلى الخيول.

ولما وصلوا إلى بوبهير إستقرّوا هناك بخيماتهم، ولمّا علم سكان قرية تقنيتس بالأمر خافوا على أنفسهم، وتوقّفو عن الخروج إلى السهول، سواء النساء أو الرجال أو الأطفال وحتى الماشية، ثمّ لاحظ بعض الناس يأتون من آث غوبري ومن آث يحي يمرّون بوادي بوبهير فسألهم عن المكان الذي يقصدونه تارة ينزلون وتارة أخرى يصعدون، فأخبروه بأنهم يذهبون إلى رجل مرابط في كوكو يطلق عليه إسم سيدي علي أوطالب، يقومون بزيارته لأنه رجل من المرابطين طيّب، كان يدعو لهم بالخير فطلب منهم عن إمكانية زيارته له، فقبلوا ذلك ووافق المرابط على تجسيد رغبة إبن السلطان. ولمّا وصل إليه حدّثه بأنه إبن السلطان سيدي اعمر أولقاضي وبكلّ ما جرى لأمّه وأخبره برغبته في الإنتقام لمقتل أبيه، فردّ عليه بأنّه لا

يشارك في قضايا القتل والخداع، فإذا أراد الحماية فله ذلك. فأخبره إبن اعمر أولقاضي بأنّه سيعود إلى تونس، ثم طلب منه أن يخبره بممتلكات والده فقال له المرابط بأنّه يملك فقط حديقة

تسمّى تجنانت نتعلجتس أي (حديقةالأميرة) بمعنى حديقة إبنته ثعلجتس، فمنحها له إبن السلطان.[1] وكانت ثمارها حصرا على إبنته(إبنة اعمر أولقاضي) ومنح له قصر العدالة التابع

---

[1] (H)Genevois,op.cit, pp69,73.

لوالده. فجمع المرابط سيدي علي أوطالب الناس لكي يشهدوا بما أعطاه إبن اعمر اولقاضي له من الممتلكات أما إبن السلطان فقد رجع إلى تونس إلى أمه وإلى حد الآن فإن حديقة ثعلجتس(الأميرة) أستعملت مدرسة قرآنية وكان الطلاب يستقّرون فيها.[1]

وهناك رواية أخرى تتحدّث عن أسطورة سيدي أعمر أولقاضي وإبنه حند أولقاضي الملقّب التونسي، تعتمد على أسس تاريخية بالنسبة للمؤلّفين، ومن بينهم نيل روبان في مقال تحت عنوان "معلومات حول التنظيم العسكري والإداري للأتراك في منطقة القبائل الكبرى" كتبه في المجلة الإفريقية التي صدرت في سنة 1873، ذكر فيه بأنه في سنة 1618 أُغتيل سلطان كوكو سي أعمر بلقاضي من طرف أخوه وإستحوذ على الحكم.

من المحتمل أن يكون القاتل سي أحمد بن ختوش الذي توضّحه إحدى العقود العربية بأنه كان أمير في سنة 1625و1626.

أمّا زوجة السلطان المغتال فقد إستطاعت الفرار إلى تونس أين يوجد أهلها في العائلة الملكية الحفصية سابقا، ووضعت طفل اسمته سي أحمد تونسي بن أعمر القاضي[2] بن ختوش.

ومنذ هذه الفترة أصبحت العائلة تُعرف بإسم أولاد بوختوش، ويوجد أحفادهم في تامدة وجمعة السهاريج وصوامع.

وفي عام 1632و1633 لمّا بلغ سن الخامسة عشر ساعده أخواله بجيش صغير وإتجه به إلى منطقة القبائل وإستطاع بسهولة أن يغيّر الحكم لصالحه بمساعدة أتباعه في البلاد.

1- Idem, p73.
2 -(N).Robin,op.cit,pp42,43

هذا الشاب سي أحمد تونسي لم يرجع إلى كوكو التي كانت مقرّ إقامة عائلته وإنّما إستقرّ في أورير لدى آث غوبري، ولديه بنايات في جبل ثمقوت وفي جبل زرايب وأيت عوانة في وادي الحمام.[1]

أمّا المؤلّف مرسي في كتابه تاريخ إفريقيا، فقد ذكر تفاصيل ما قاله روبان بخصوص مقتل سي اعمر أولقاضي، لكنّه تطرّق إلى حدث آخر وهو يخصّ الأخ الذي قتل سي أعمر ثم استولى على الحكم، ذكر بأن سلطان كوكو أُغتيل في سنة 1618، ولمّا حلّ مكانه أخوه جدّد عدّة معاهدات كانت قد أُبرمت سابقا بين المملكة وإسبانيا وكانت هذه الحالة قد إستغلها إبن سي أعمر أولقاضي عن طريق الأتراك، إذ ساعدوه من أجل الإستحواذ على الحكم.[2] وكان ذلك في سنة 1623 بعدما قتل عمّه وهذا الإبن ليس المدعو التونسي.

من خلال سرد هذه الأحداث التي ذكرها روبان ومرسي يمكن القول، بأن كلا المؤلِفين ذكرا سنة 1618 تاريخ إغتيال السلطان اعمر اولقاضي من طرف أخيه وأنّ زوجته كانت حامل وفرّت إلى تونس، أما مرسي فقد ذكر فرارها إلى مناطق الشرق وذكر أيضا مجيئ إبن السلطان وهو أحمد التونسي إلى منطقة القبائل 1632و1633م على رأس مجموعة من الجنود، ثم إستعادته للحكم والإستقرار في أورير بآث غوبري.

أمّا المؤلف سي أعمر سعيد بوليفة، فلم يوافق على تسمية ولاد بوختوش، وذكر بأن سيدي أحمد التونسي جدّ آث بوختوش، ليس له أي علاقة عائلية مع أسرة اولقاضي، وواصل القول بأن فرع آث بختوش لم يتحصلوا على الحكم إلاّ بعد إنطفاء شمعة عائلة بلقاضي، الفرع التونسي، وهذه الرواية هي الأقرب من الحقيقة.[3]

ودائما حسب الذاكرة الجماعية ،هناك رواية على لسان فضيل سالم بن مهوب من بوعقاش من العائلة المرابطية آث سيذي سعيد التابعة لعرش آث منقلات. حسب هذا الشخص المرابطي

---

1-(N)Robin,op.cit,pp42,43

2- (H). Genevois, op,cit, p.17

3- Idem,p17,18

فإن سي اعمر اولقاضي كان يملك فيلا يأكل الكثير، وكان ذلك على حساب عرش آث يحي، فإنزعجوا من ذلك وأرادوا أن يشتكوا الى السلطان سي اعمر اولقاضي، فألّفوا جماعة وإتّفقوا على أن يتحدّث كل واحد منهم ببعض الكلمات، لكي لا يُقتل أحدهم لو يذهب لوحده، لأن الملك مستبد وظالم، ولمّا وصلوا إليه تكلّم الأوّل وقال للسلطان بأن الفيل ثم سكت عن الكلام لكي يواصل الآخر، فلم يواصل وإنتظر السلطان منه المواصلة فمكث ساكتا والآخرون ملكهم الرعب فلم يتفوّهوا بكلمة، فواصل الأول كلامه بأنهم يريدون أن يضيف فيلا آخر للأوّل، و ذلك خوفا من بطش السلطان. ونظر للقهر الذي تميّز به السلطان خطّطوا من أجل قتله، فكان لهم ذلك فقتلوه وقتلوا الفيل، [1]وبعد مقتله طلبوا من زوجته الفرار إلى الجزائر مع أبناءها وعددهم إثنين وإلاّ سيقتلونهم جميعا، فدفعت المال للّذي ساعدها للفرار إلى مدينة الجزائر، ثم قامت بتربية إبنيها حتى كبرا.

ثم ذهبت إلى تونس وواصلت تربيتهما، أحدهما كان حاكم لمحلّة(الجنود) الأتراك، و كان ذو حِكمة، وذات يوم تسبّب في ضرر للحكام فإتّفقوا على مكيدة، فقالت لهم عجوز إدفعوا لي الأموال سأخطّط له ففعلوا ذلك، فذهبت إلى الينبوع الذي يغسل فيه ويشرب منه حصانه، ولمّا رآها أمامه طلب منها الإبتعاد فرفضت ثم أبعدها، فقالت له: لو كنت رجلا طيّبا لإنتقمت من الذي قِتل أبوك فسكت، ثم عاد إلى بيته فطلب من أمّه أن توضّح له ما حدث لأبيه فسكتت فهدّدها بالقتل إذا لم تخبره بما حدث.

فقصّت له تفاصيل ما حدث لأبيه وفرارها. فطلب من باي تونس أن يصاحب جنوده إلى بلاد القبائل من أجل الإنتقام فاتّجه إلى تفيلكوت وبَقِيَ لمدة طويلة هناك. وفي أحد الأيام إتّجه إلى مكان يُدعى السّبت بجنوده من أجل إسترجاع ثأر أبيه، فحارب سكان آث يحي وآث بويوسف وآث منقلات، وكل سكان إقاواون، فقَتل منهم وقُتل بعض جنوده، حتى

1-Idem,p74

وجدوه  في أحد الأيام ميّتا. ثمّ فرّ الجنود إلى تونس، أمّا أحد إخوته فقد بقي في ثيزيط، وإلى حد الآن  ما زال ضريحه و بيته موجودا.

وحسب الذاكرة الجماية  لقرية ثفيلكوت،  فإن سيدي حند القاضي كان يعيش في كوكو، ولمّا قتله السكان فرّت زوجته بجنوده إلى تونس وهي حامل، ولمّا وضعته أعطت له إسم سيدي حند أولقاضي بإسم والده. عاش هناك حتى بلغ سن 18 ، فطلب من أمّه أن تخبره  عن بلده الأصلي، لأنّه يخبرونه في تونس بأنه أجنبي، فرفضت ولما أصرّ على معرفة الحقيقة، أخبرته بأن بلاده هي كوكو. فعاد إلى بلده وإتّجه إلى ثفيلكوت وبقي هناك لمدّة طويلة، ثم طلب من سكان آث يحي أن يأتوا إليه لزيارته. فبعثوا له الطاعنون في السّن(العجزة والمعوّقين) فألبسهم أفخر الثياب ثم عادوا.

وفي أحد الأيام طلب من السكان مجدّدا المجئ لزيارته فذهبو إليه جميعا فقتلهم جميعا، وبذلك ثأر لمقتل أبوه وعاش بقيّة حياته في ثفيلكوث.[1]

من خلال ماسبق ذكره حول مقتل اعمر اولقاضي وفرار زوجته وعودة إبنه حند اولقاضي للثأر من مقتل والده، نستنتج بأن الروايات متشابهة في جوهر الأحداث فكلّها تشير إلى أنّ حكم اعمر اولقاضي كان إستبداديا، وأنّه قُتل من طرف السّكان بتحريض من المرابطين وأنّ زوجته فرّت إلى تونس،  وأنّها كانت حامل ولمّا بلغ  إبنها سنّ الشباب أي حوالي 15 سنة عاد للثأر من مقتل أبيه فكان له ذلك، إذ قتل الكثير من رجال آث يحي .

وتعتبر قضيّة  الثأر ذات أهمية قصوى في منطقة القبائل، فالرجل الذي يُقتل أحد من أفراد عائلته عليه إسترجاع الثأر وإلاّ يِسقط شرفه وشرف عائلته في القرية.

لم يبق حند ولقاضي في كوكو، إذ إستقرّ في أورير وشيّد عاصمة أخرى في جمعه السهاريج، وبدون شك هذا راجع إلى الوضعية الإقتصادية التي تزخر بها هذه المنطقة[2]، عرف

1- (H) Genevois,op.cit, pp.74-76
2 -(o)Nait Djoudi,op.cit,p78.

عهده رخاءا وأمنا و ازدهارا.وهو أطول فترة حكم دامت من 1636 إلى 1696 [1]، ثم عاد ليعيش بقيّة حياته في تفيلكوت أين توفي هناك. وبنوا له ضريح يزوره أحفاده إبوختوشان بإقتراب فصل الخريف.

ترك حند أولقاضي ولدين أحدهما يسمّى أرخو urxu و الآخر يسمى علي .اختلف ارخو مع والده بسبب قضية الحماية"لعناية" فإنفصل عنه وإستقرّ في إفناين وأسّس الصّف العلوى (صّف أوفلى)أما الإبن الثاني المسمى علي فقد عاش مع والده، وأسس الصف السفلي، ثم شغل منصبه في سنة1696 [2]

ب-**الملك علي اولقاضي**

إستمرّ حكم علي بن حند أولقاضي من سنة 1696 حتى 1725 فخلفه إبنه أحمد.

ج-**الملك احمد بن علي**

وهو آخر من تصدّى بالسلاح لإستيلاء العثمانيين على وادي سيباو، وإشتبك في معركة مع علي خوجة*في دراع بن خدة، وخرج العثاني منتصرا في هذه المواجهة الأولى، وبعد جولات عديدة وقعت معركة كبيرة ثانية بين القائدين في بويلزازن الواقع في سفح جبل آث فراوسن. وهذه الهزيمة التي أُلحقت بالملك أحمد بن علي بن حند أولقاضي على أرض قبيلته كانت قد أنهت وجود أهل بوختوش في وادي سيباو.[3]

---

[1]- احمد ساحي،الزواوة من القرن السادس عشر الى الثامن عشر،ص62

[2] - (o)Nait Djoudi,op.cit,78 p

[3]-محمد الصغير فرج، المرجع السابق،ص37

* محمد بن علي(الذباح): حسب مارسي فإن محمد بن علي الذي أصبح يسمى الذباح أصبح على رأس قيادة سيباو وأصبح على رأس بايلك التبظري ، هذا الرجل تحالف مع بوخنتوش المقبمتن في أورير بالزواج، قام بنشاط معتبر في المنطقة ووطد المؤسسات التركية في بوغني وسيباو ومنابل وأسس بعض القوات العسكرية. أنظر ايضا:

-احمد ساحي،الزواوة،.ص62 - (S)Boulifa,op.cit,pp171,172

**د–الملك عمر بوختوش**

بعد وفاة أحمد خلفه عمر بوختوش الصغير، و هو صهر الباي محمد بن علي المعروف بالذباح،* حكم من 1745 إلى 1754 وهو آخر المنحدرين من فرع عمر بن القاضي، كان القائد العثماني يطمح إلى مساندة أو على الأقل حياد القبائل التي بقيت موالية لأحفاد آث القاضي ومن بينهم قوم آث جنّاد وآث إيراثن.

بعد التصدع الذي وقع بظهور الصّف أوفلى( الصف العلوي من طرف أرخو والصّف بّوادّى–الصف السفلي) من طرف علي، الذي بقي مع والده في أورير، فقدت الأسرة هيبتها وتنازعت عن الحكم في الزواوة كسابق عهدهم بسبب التناحر والتنافر والفتن بين الأعراش[(1)]

وحسب الكثير من المؤلفين ومن بينهم هانوطو ولوتورنو فإنّ أصل الصفوف في منطقة القبائل، يرجع إلى الحدث الذي وقع بين حند أولقاضي وإبنه أرخو بسبب قضية الحماية – لَعناية.leΣnaya

وهذا ما أثّر في النسيج الاجتماعي والسياسي القبائلي، إذ أنّه باقتراح عائلة إبوختوشان اجتمعت عروش القبائل ما بين 1768 و1769 من أجل انتزاع حق الإرث للنساء. وكان هذا الاجتماع في جمعة الصهاريج، وتم وضع حجر كرمز سمي La pière saliqueالحجر الملحي، وكان موجودا في منتصف القرن 20[(2)].

والسبب الذي أدّى إلى هذا الاجتماع، أنّه في سنة 1767 أُبرمت إتّفاقية  بين الإسبان والجزائر، نتج عنها إطلاق سراح أسرى الطرفين، فعاد الكثير من الأسرى الجزائريين ومنهم أسرى منطقة القبائل، وقد إعتبرهم ذويهم من الموتى، ولمّا وصلوا إلى بيوتهم وجدوا زوجاتهم

---

1-احمد ساحي،المرجع السابق،ص62

2 –(o) Nait djoudi, *« KouKou. Les lieux et les traces »in hommes et femmes de Kabylie*. Actes, journes d'études sur le royaume de koukou,2010, p 78.

تزوّجن من آخرين، وأملاكهم إنتقلت إلى آخرين ووجدوا أنفسهم بدون أيّ ملكية [1]،ومنذ ذلك الحين وبعد إجتماع زعماء العروش الذي اشرنا اليه،اتفقوا على عدم مشاركة المرأة في إرث والديها.

وبعد أن كانت الحدود السياسية لكوكو واسعة وامتدّت الى ما بين ايسّر وجيجل، وكانت سيّدة الزواوة وجرجرة والحوض الأعلى لسيباو وآث جنّاد وفليسة وبوغني، قشتولة إلى حيزر بسهل حمزة .أصبحت لا تضم أكثر من ثلاثة أعراش وهي أث يحي، بوشعيب وأث غوبري في سة 1796.

نقص بريق المملكة في كوكو لدى آث يحي وفي إيلتن أين يوجد ضريح الملك أحمد او القاضي وفرع كبير للأسرة بقرية ثزيط المجاورة م[2]، ولم يبق لها شأن حتى لدى آث غوبري، ويبدو أن الحكم أصبح لآث بوشعيب في مقلع وصوامع وجمعة الساريج، وامتدّ سلطانها إلى تامدة في النصف الأول من القرن 18م، وفي عهد الورثلاني 1765، لم يسجّل التاريخ الملكي أسماء للملوك. وفي سنة 1767 بوفاة آخر الملوك زالت المملكة وهو محمد بن الشريف بن بوختوش1765–1767[3].

والدليل على أنّ سلطة مملكة كوكو قد زالت أو نقص نفوذها، ما نتج عن الحملة التي شنها العثمانيون على بلاد الزواوة، والتي قادها باي التيطري محمد بن علي في سنة 1754، وحقق العديد من الانتصارات على حساب عروش دراع الميزان، ومعاتقة وآث دوالة، وآث واسيف وآث واقنون. وعندما قام بمحاولة إخضاع آث ايراثن إصطدم بمقاومة شرسة من طرف السكان، وحدثت معركة عنبفة في سفوح جبل آث ايراثن. أدّت إلى مقتل الباي وعدد من جنوده[4]، ويقال أنّه قُتل على يدّ أحد جنوده انتقاما من الضحية (محمد) الذي أعدم في اليوم

---

1 (S) Boulifa, op.cit.p182

2 أحمد ساحي، المرجع السابق، ص 62، 63.

3 نفسه، ص 64،63

4 أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 25.

السابق شقيقي القاتل[1]. وبعد الإنتصار الذي حقّقه آث ايراثن على العثمانيين، ذهب الشيخ أعراب أحد الزعماء الدينيين لآث ايراثن إلى مدينة الجزائر، ووعد الداي بأنّ سكان آث ايراثن من ذلك اليوم فصاعدا، لا يهجمون على الحاميات العثمانية المرابطة في حوض سيباو، والأسواق التي كانت تأتي إليها، بالإضافة إلى مناطق تمركزها، خاصة مقلع وتامدة وجمعة السهاريج، وفي المقابل اشترط الشيخ أعراب من الداي بأن لا تتعرّض قبائل المخزن لسكان آث ايراثن أثناء عملية الحرث في حوض سيباو، ولا تعترض طريقهم عندما يتوجّهون إلى سوق علي خوجة.

إذن يمكن القول أنّ سلطة كوكو قد أصبحت شبه منعدمة في عام 1754، وهو تاريخ وقوع الأحداث المذكورة. والحجّة على ذلك أنّه ليس لمملكة كوكو أي دور في الأحداث والمفاوضات المذكورة. فالشيخ أعراب هو المفوّض الرسمي لآث إيرثن لدى الداي وليس ملك كوكو[2]. الموجود في تلك الفترة وهو عمر بوختوش الصغير الذي حكم ما بين 1745 و1754[3]، ويعني أيضا أنّ منطقة آث إيراثن قد أصبحت مستقلّة عن مملكة كوكو.

**ج-عوامل تدهور مملكة كوكو**

إجتمعت عدّة عوامل سواء داخلية مثل الخلافات بين أفراد الأسرة الحاكمة وعدم استقرار مقر الحكم فيها وهناك عوامل خارجية ومن بينها :

– إرساء الحكم العثماني في مدينة الجزائر، فبعد مقتل أحمد أولقاضي في سنة 1527، حسب سعيد بوليفة، أصبح الأتراك في موقف قوّة هذا ما أدّى إلى تغلغلهم في المناطق التي يمكن أن تتوّسع على حسابها مملكة كوكو، مثل سهل إيسر والوصول إلى تيزي وزو التي كانت آنذاك قرية، وبالتالي إنشاء الأبراج مثل برج منايل وبرج سيباو وبرج بوغني وبرج ثازاغارت في مطلع

---

[1] –محمد الصغير، المرجع السابق، ص 42.

[2] – أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 26.

[3] –أحمد ساحي، المرجع السابق، ص 63.

القرن18م، بالإضافة إلى إنشاء قبائل المخزن، كل هذا لم يكن في صالح إرساء قوّة مملكة كوكو وتوسّع حدودها [1].

- النظام القبلي: تمّيزت منطقة الزواوة بسلطة لا مركزية، فالنظام الموجود منذ أقدم العصور يتركز على ما يعرف بتاجمعتTajmaΣt، وهو مجلس يتشكّل من أفراد القبيلة البالغين، ويقوم هذا المجلس بعقد إجتماعات دورية وتُتخذ من جرّاءها أهم القرارات التي تنظم شؤون النّاس. وهذا يظهر كعائق أمام إرادة ملوك كوكو الساعية إلى توحيد كل القبائل[2]. وحسب المؤلف سعيد بوليفة، فإن أحمد أولقاضي عندما أسّس مملكته تحالف مع الزواوة، فطلبوا منه وعائلته أن يكون تحت حمايتهم وفي المقابل يحترم عاداتهم وتقاليدهم وحرياتهم. ومن بين هذه العروش آث بوشعيب وبث خليلي وآث فرواسن وآث إتورار [3].هذا ما يدل على أن عروش الزواوة غيورين كثيرا على حريتهم وتقاليدهم.

وعندما بدأ الضعف يسري في جسم المملكة أصبحت الكثير من العروش خارجة عن طاعة ملوك كوكو، ولم تكن تدفع الضرائب، وهذا ما ساهم في تراجع الموارد المالية للمملكة، وهذا ما نتج عنه العجز عن تجنيد الجيوش وشراء الأسلحة للدفاع عن حدودها والوقوف في وجه الأخطار.

- الصراع بين المملكتين كوكو وأث عبّاس: منذ تأسيس مملكة كوكو سعى حكامها إلى إخضاع إمارة آث عبّاس لسلطتهم،هذا ما نتج عنه سوء العلاقات بين الجانبين في مختلف العهود التاريخية،ومن بين أسباب ذلك رغبة كوكو في مد نفوذها نحو وادي الساحل (الصومام)، ممّا أدخل الجانبين في صدام وحروب دائمة. وزاد الطين بلّة بتدخّل العثمانيين ومحاولة زرع الفتن بين الجانبين لإضعافهما،عملا بسياسة فرّق تسدّ[4]، أضف

---

1 – أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص 26.

2 –نفسه، ص 19.

3 –(S) Boulifa ,op.cit,p75.

4 – نبيل بومالة،المرجع السابق،ص169

- إلى ذلك محاولات الإسبان للتحالف مع إحدى المملكتين خاصة في القرن 16 والربع الأول من القرن 17م، لمّا ظهر الخلاف بين خير الدين وأحمد أولقاضي ووقعت معركة بين الطرفين في سنة 1527 ببني عائشة وأسفرت عن مقتل أحمد أولقاضي، كان خير الدين قد استمال أمير آث عباس إلى جانبه، هذا ما أدى إلى تقرب ملوك كوكو إلى الإسبان عندما حاربوا العثمانيون.

ولمّا تحسّنت العلاقات بين العثمانيين وكوكو في النصف الثاني من القرن 16[1]،بمصاهرة حسن بن خير الدين وعلج علي أسرة أولقاضي، شنّ الأتراك حربا على قلعة آث عّباس في سنة 1559 بمساندة مملكة كوكو [2].

إتّبع العثمانيون سياسة الصفوف تجاه منطقة القبائل للحيلولة دون تحقيق الوحدة بين المملكتين لكي لا يتعّرضون لأي خطر في هذه المنطقة [3].

- من بين العوامل الأخرى التي أدت إلى تدهور مملكة كوكو، نجد النزاعات التي حدثت في أسرة أولقاضي على الحكم، ففي سنة 1618 تمّ قتل الملك عمر اولقاضي، بسبب إستبداد حكمه وممارسته للظلم والقهر[4] وبعد ذلك عرفت المملكة اضطرابات داخلية، ونقصت كثيرا هيبتها ، وصار النّاس يتحاكمون إلى العلماء والأولياء.[5]

---

1-ارزقي شويتام، المرجع السابق،ص ص19،20

2-(F)DE Haedo : Op.cit, pp 119-121.

3 - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص ، 20.

4- (S) Boulifa,op.cit,p118.

5- ارزقي شويتام،المرجع السابق،ص15.

وفي سنة 1633 جاء إبن عمر اولقاضي وهو حند أولقاضي إلى كوكو لاسترجاع ملك والده والإنتقام من الذين قتلوا والده فكان له ذلك، ثم نقل مقر المملكة من كوكو إلى آث غوبري وبالضبط أورير ثم أشلام ما بين 1636 –1693. وبعد مشكل الحماية (leΣnaya)، إنفصل إبن حند أولقاضي المدعو أرخو عن والده واتجه إلى فناية ليؤسس الصف العلوي صّف أوفلاّ أمّا أخوه علي بقي مع والده وأسّس الصف السفلي(بوادى) في أورير. هذه الانقسامات والتشتت كانت من العوامل التي أدّت إلى إضعاف المملكة بالإضافة إلى تعّدد المقرّات، وكان بعض أحفاد آل القاضي يطلبون المساعدة من العثمانيين ضدّ أفراد عائلته، وهكذا فتحوا الأبواب على مصراعيها لهم للتغلغل في أعالي سيباو وإخضاع بعض المناطق مثل مقلع وجمعة الصهاريج [1]

– بروز دور الرابطون ومنافستهم للمملكة.

حسب بعض المؤلفين مثل سعيد بوليفة، فإن المرابطون نافسوا سلطة الملوك المحليين، فالمرابطون البارزين أمثال: سيدي منصور وسيدي أحمد أومالك وسيدي أحمد أودريس، كانوا منذ مطلع القرن 17م من المنافسين الأقوياء لكبار الإقطاعيين القبائل. وخير مثال على ذلك ما فعله سيدي منصور، الذي حرّر آث جناد من إضطهاد المستبد اعمر أولقاضي[2]، واستطاع السكان أن يتخطوا حاجز الخوف، وهكذا فإن السلطة الروحية الدينية أصبحت تنافس السلطة السياسية، ولعبت دورا مهمّا أثناء فترات الفراغ السياسي في المنطقة.

يمكن إعتبار الصراع الذي وقع بين ملوك كوكو والقوى الدينية المحلية في بداية القرن 17م، من العوامل التي أدّت إلى ضعف الإمارة وانحسار حدودها الجغرافية في منطقة الزواوة. وهكذا أصبحت بعض القبائل الواقعة في حوض سيباو وييسر تحت سلطةالعثمانيين.

---

[1] –ارزقي شويتام،الزواوة. ص16

[2] - (S) Chaker,S Douane,HaddAB ,*AT-LQADI* ,in -hommes et femmes de Kabylie,p75.

وما سهل للعثمانيين ذلك، الموقع الجغرافي لهذه القبائل الذي لم يكن يسمح لها بالصمود أمام الحملات العسكرية[1].

بالإضافة إلى ذلك فإن رجال الدين تمّ توظيفهم كوسيلة فعالة لإثبات شرعية مقاومة عروش القبائل ضد الحكام الإقطاعيين[2].

**ثالثا–الأضرحة المهداة إلى آث القاضي**

تمّ بناء عدّة أضرحة ثيقرّابين، Tiqerrabin لأعضاء عائلة آث القاضي وهذا لا يعني حتما أنّ ذلك الشخص رجل دين وضحّى بكل حياته من أجل عبادة الله، وإنّما هناك إعتقاد شعبي في وجود قوّة تسكن فرد ما في حياته "وتستمر بعد مماته". هذا حسب اعتقادهم فقط لأن المعروف عن الأولياء الصالحين وكل إنسان أنّه إذا مات انقطع عمله فليس له أيّ تأثير فلا ينفع ولا يضر. وهذه القوّة التي تسكن ذلك الفرد يمكن أن تكون "البركة" التي ترتبط بالمرابطين، أو جن بمنح قوّة أو موهبة خارقة للعادة.

هناك عدّة ألقاب موجودة لدى آث القاضي المنحدرين من المرابطين وهم ملوك كوكو وتجاوزت سمعتهم في بعض الأحيان حدود دولتهم ومن بين هذه الأضرحة نجد:

- **في آث يحي:**
- في مقر كوكو بقيت بعض الآثار التي يمكن تمييزها بصعوبة وهي ضريح يسمى ثقرّابت Taqerrab bbwelqadiبولقاضي، كان موجودا في منتصف القرن الماضي.

هذا الضريح يذكره ديفو في سنة 1859، أنّه كان أحد أماكن الصلاة لكوكو وأطلق عليه اسم "قرّابة القاضي"، لا يعرف لمن أهدي هذا الضريح، يعتبره البعض ضريح للملك سيدي محند أولحاج القاضي، وهو قد يكون أحد الملكين اللذان أطلق عليه اسم محمد بن القاضي الذي حكم حوالي 30 سنة وبموته تمّ تعويضه بإبن أخيه أحمد بن أحمد، هذه الأسماء توجد في

[1] – ارزقي شويتام،المرجع السابق،ص18.

[2] - (S)Chaker,S.Doumane,N.Haddab,op.cit ,p75.

قائمة الجنّابي، وبالنسبة للبعض الأخر فالضريح "مهدى لسيدي عمر القاضي الذي قتل في كوكو[1].

- **في إيلتن**

وهي قبيلة تقع في سفوح أزرو نطهور، نجد فيها ثلاثة أضرحة مهداة إلى سيدي حند أولقاضي، أحدها بُني في مدخل قرية تفيلكوث وهو مهدى لسيدي حند أولقاضي وهو حند التونسي الذي بعد استرجاع الثأر إستقرّ في هذا المكان (أنظر الصورة في الملاحق)، وإلى حد الآن في أواخر فصل الصيف يأتي أحفاده إبوختوشان القاطنين في جمعة السهاريج إلى هذا الضريح لزيارته[2].

وحسب الذاكرة الجماعية فإن أحفاد القاضي يأتون أيضا من الإربعاء ناث إيراثن إلى ذلك الضريح ويحضّرون العشاء يدعى Asensi أوttebyita.

أمّا الضريحين الآخرين يقعان في خرّوبة (أخريب) المسمّى إكفيلن التابع لقرية ثيزيط، أحدهما يوجد في مكان يسمى بوثاقة Boutaga والآخر في المقبرة، كلاهما أهدي للملك سيدي حند أولقاضي إبن التونسي من تفيلكوث.

- **في آث غوبري**

يوجد ضريحين بالقرب من أورير أهديا لآث القاضي، أحدهما بناء جميل بالقرب من أخريب Hameaux بأشلام في مكان يدعى "عين مسعودة" La source bénie.

---

1- H. Genevoix, op.cit, pp 60-63 أنظر أيضا

- ( H). Genevoix, *Sanctuaires de Kabylie didiés aux AT-lqadi*, in “Hommes et femmes de kabylie, p 87, 88.

2- Idem,p 88.

والآخر لا يظهر جيّدا، بسبب تغطيته بشجرة الزيتون عملاقة ضخمة، يقع في أخريب المدعى ثابورث أو ثيبورا Tibbura.[1]

فالضريج الأوّل بني على قبر السلطان سيدي أحمد إبن القاضي،وكتب في حائط القبر مايلي: "هذا الضريح(لمقام) الذي يستريح فيه سيدي أحمد إبن القاضي توفي في القرن 16 م رحمه الله، وهذا الملك هو مؤسس المملكة."

أمّا الضريج الثاني المدعو ثابورث تبيّنه شجرة الزيتون، فهو مهدي لسيدي حند أولقاضي الذي دفن في عين مسعودة، ولم يُبن على القبر ضريح [2].

**رابعا–الآثار الأخرى لأث القاضي:**

–**في آث غويري:** من بين الأثار التي بقيت، نجد ما يسمى "جنان بوختوش" في أورير و "جنان التونسي" في أشلام، وتوجد شجرة عتيقة تسمى تزمورث عايشة إبنة أحد الملوك، والقرية كلها من أولاد القاضي، ويوجد في أورير أيضا ضريج سيدي عمر اوعمراوي.

–**في آث زمنزر و مناطق أخرى:**

نجد في أث زمنزر "الحربة" التي تعود للجد بوختوش، وفي تيفريث أيت الحاج نجد "الدرع والسيف" ودائع بالقبة، وعند قبة بلقاسم بن أبي داود ، توجد "حِجَرة بوختوش"، يقال أنها أسقطها من قربة إقوفاف[3].

–**في كوكو:**

بقيت في الذاكرة الجماعية وفي المكان الذي شيدت فيه العاصمة، ذكريات مثل: ثمازيرث نتقرابت حديقة الضريح ويسمى أيضا ثيغيلت نلمدافع قمة المدافع، تقع في الشمال

---

[1]– احمد ساحي ، الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر ،عهد الإمارة ،ص 67.
[2]- (H). Genevoix, *Sanctuaires de Kabylie dédiés aux AT-lqadi,* p 88.
[3]–أحمد ساحي: الزواوة عهد الإمارة، ص 67.

الشرقي، وإلى جانبه في جهة الشمال هناك أزرو نتعساسين صخر الحراسات. وفي الجنوب نجد ثابورث نسّور باب السور Tabburt n ssur يوجد في الجهة المقابلة لجرجرة.

هذا الموقع جعل حالة الدفاع سهلة، إذ يكفي عدد قليل من الناس التغلب على جيش كبير، بواسطة الحجارة[1].

- بالإضافة إلى هذه الآثار، نجد آثار أخرى تمثل أسماء الأماكن أي ما يطلق عليه في اللسّانيات إسم الطبونيميا Toponymie ومن بين هذه الأسماء: إغيل بولقاضي أي مرتفع أولقاضي موجود إلى حد الآن في معاتقة، ونجد أيضا: ثعوينت بورخو أي حنفية أورخو موجودة في جمعة السهاريج، وهناك ما يسمى "ثالا أوقلّيد" Tala ugellid أي نافورة الملك يوجد في مشطراس.

وفي عزازقة (اعزوقن) يوجد لعزيب نبوختوش وعلاوة على ذلك نجد في أورير لجامعّ أُتونسي أي مسجد التونسي [2].

وحسب الذاكرة الجماعية لقرية أورير، هناك أسماء لأماكن أخرى مثل أزنيق أوعنيش أي شارع أُوعنيش وتعني كلمة"أُوعنيش" العساكر التونسيين الذين جاؤوا مع حند أولقاضي المدعو التونسي من تونس، وبعد أنّ وصلوا إلى هدفهم باسترجاع الإبن ثأر أبيه ، إستقر في أورير مع هؤلاء التونسيين الذين بقوا هناك ثم انتقلوا فيما بعد إلى "مقنيعة" وهي قرية موجوة الى حد الآن.

وهذا المكان المسمى "أزنيق أُوعنيش" يجتمع فيه هؤلاء الجنود التابعين لمملكة كوكو بنظام. [3].

---

[1]- (O), Nait Djoudi : *KouKou : les lieux et les traces*, in « hommes et femmes de Kabylie, pp 76, 77.

[2]- Idem, p 79.

[3]-الذاكرة الجماعية لقرية أورير2015

**الآثار الاجتماعية للمملكة**

من بين الآثار الإجتماعية، نجد ظاهرة الصفوف التي بقيت إلى حدّ الآن، فلا تخلو قرية من وجود الصف أوفلّى أي الصف العلوي، والصّف بوادّى أي الصف السفلي، فأصل هذه الصفوف حسب بعض المؤلفين ومنهم هانوطو ولوتورنو، يرجع إلى الخلاف الذي حصل ما بين سيدي حند أتونسي والإبن المدعو أرخو، وبالتالي إنفصل عن أبيه واستقر في إفناين وأسّس الصف العلوي، أمّا إبنه الآخر المسمى "علي" والذي تولى الحكم في مكان أبيه في سنة 1696–1697، وكان إلى جانب والده فيما يخص المشكلة التي وقعت، فكرّس ذلك التقسيم وأصبح على رأس الصف بوادّى أي الصف السفلي. [1]

وفي الأمثال الشعبية، إلى حدّ الآن يوجد مثل يردّده سكان منطقة القبائل ويرجع إلى الحقبة التي حكم فيها الملك أعمر أولقاضي في كوكو وكان حكمه مطلقا وقاهرا. وهذا المثل هو: " يتوحّش الفيل ارنوثاسد قماس" تضايق الفيل واضيفوا له أخوه[2]"

وقصّة هذا المثل سردناها في الباب الأوّل.

ممكن أيضا أن يكون تأثير مملكة كوكو في مجال حقوق المرأة ،لأن بمبادرة عائلة إبوختوشان اجتمعت عروش القبائل من أجل انتزاع حق الإرث من المرأة، وإلى حد الآن مازالت المرأة لا تستفيد من حق الإرث في الكثير من المناطق. ففي جمعة السهاريج تم الاجتماع وتم وضع حجر سمي حجر La pierre Salique وكان موجودا في ساحة القرية في منتصف القرن 20م[3].

[1]- (O), Nait Djoudi : *KouKou : les lieux et les traces*, in « hommes et femmes de Kabylie,p78

[2] -الذاكرة الجماعية لقرية اوريرعرش آث غوبري

3-Idem,78

– (S)Boulifa,op.cit,pp 78. انظر ايضا

**خاتمة**

ممّا سبق ذكره، يمكن التمييز بين مرحلتين مرّت بهما مملكة كوكو، بدأت المرحلة الأولى منذ تولي أحمد أولقاضي الحكم في سنة 1511 مرورا بحكم ابنه المسمّى أيضا بنفس الاسم، وانتهت هذه المرحلة بمقتل الملك أعمر أولقاضي في سنة 1618، وكانت المملكة قوّية وذات هيبة، وشيّدت عدّة عواصم ومنها: أورير في عرش آث غوبري، وكوكو في عرش آث يحي بعين الحمّام، ثم مدينة الجزائر في عهد أحمد اولقاضي. ونفس الشيء في الميدان الاقتصادي والعسكري أي كانت قوّية، وكانت لها علاقات متذبذبة مع العثمانيين ومع الإسبان، إلاّ أنّ في عهد اعمر أولقاضي كانت العلاقات حسنة مع الإسبان وسيّئة مع السكان المحليين ومع الأتراك.

وباغتياله بدأت مرحلة إبوختوشان، ومن أهم الملوك في هذه المرحلة نذكر حند القاضي المدعو التونسي ابن الملك المغتال اعمر اولقاضي، الذي استرجع الثأر، ثم غيّر مقرّ المملكة من كوكو إلى جمعة الساريج، وربط علاقات حسنة مع العثمانيين، وانقسمت العائلة منذ ظهور الصّف العلوي وعلى رأسه أرخو وذلك في إفناين، والصف السفلي بزعامة علي وبقي مع والده. ثم هناك علاقة مصاهرة بين عائلة أولقاضي وبالضبط عمر بوختوش الصغير والباي محمد بن علي المعروف بالذبّاح .هذه الظروف والعوامل بالإضافة إلى عوامل أخرى أدّت إلى انحسار ثم زوال المملكة في بداية النصف الثاني مع القرن 18م.

# الباب الثاني

# النظام السياسي والعسكري والإقتصادي والثقافي للمملكة

**الفصول**

- **الفصل الأول: النظام السياسي والعسكري**
- **الفصل الثاني: النظام الإقتصادي**
- **الفصل الثالث: النظام الثقافي**

## الفصل الأول: النظام السياسي والعسكري للمملكة

### تمهيد

بعد تأسيس مملكة كوكو من طرف أحمد أولقاضي، جعل هذا الأخير القبائل البحرية في ظل حكمه ثم اتفق مع القبائل الجبلية على أن يحترم قوانينهم وعاداتهم، وكان حكمه يتميز بالعدل، ثم تغير هذا الحكم في عهد الملوك الذين تعاقبوا على السلطة من بعده.

وكان لهذه المملكة جيشا تطوّر بتعاقب الملوك وشارك في الكثير من الأحداث مع الأتراك. والسؤال المطروح هو كيف كان النظام السياسي والعسكري في المملكة؟

### أ-التنظيم السياسي:

#### 1-حدود المملكة :

يحدّ قمّة كوكو من الشمال قرية ثاقنيتس، ومن الشرق إمسّوحال ومن الجنوب آث أنظار ومن الغرب ثقراوت [1]

في عهد التحالف ا بين أحمد اولقاضي والإخوة بربروس، كان تأثير أولقاضي كبير وكان لديهم قوة سياسة وعسكرية كبيرة، جعلت كل منطقة القبائل البحرية من جيجل إلى مدينة الجزائر تحت سلطتهم[2].

ذكر جنابي الذي عاصر بعض ملوك كوكو، وتوفي في سنة 1590، أنّ هؤلاء الملوك حكموا المناطق المحاذية لمدينة الجزائر، هذه الحدود تنطبق على القبائل المسماة فيما بعد القبائل الكبرى، بلاد الزواوة.

[1]- (H). Genevois, op.cit, pp 4, 5.
[2] -Idem, pp 5, 6.

فيما يخص ماسكواري، ذكر بأن الشهادات الدقيقة للأهالي تحدد هيمنة ملوك كوكو ما بين وادي بوبهير ووادي عمرارة. وكان تأثيرهم يمتد بدون شك إلى أبعد من ذلك. بالنسبة لبيير بوايي، فإن الرقعة الجغرافية لكوكو، لا تضم كل القبائل، لكن تضم فقط القبائل البحرية وإتحادية زواوة، وهذه الأخيرة كانت متحالفة معهم وليس تحت السيطرة.

لكن من خلال التعرف على مراحل تطور المملكة، فإن حدود المملكة لم تكن مستقرة وذلك تبعا للظروف التي مرت بها المملكة من القوة حتى مقتل أعمر أولقاضي إلى مرحلة الضعف والصراع على السلطة في عهد إبوختوشان. وتبعا لعلاقتها بالأتراك[1].

**2-طبيعة النظام االسياسي**

إستخدم الملك الأول سيدي أحمد أولقاضي التفوذ الديني المرابطي لعائلته، وماضيه الإداري، إذ كان حاكما لعنابة عندما كان تابعا للحفصين في تونس، واشترط عليه سكان القبائل الجبلية أن يكون تحت حمايتهم، مقابل التحالف معه والإقامة في أرضهم بعدما كان يقيم في قرية أورير ثم انتقل إلى كوكو.

وهذه الإقامة والحماية المقدمة لأحمد أولقاضي كانت مقابل احترامه تقاليد وقوانين مختلف القبائل، واشترطت عليه عدم التدخل في شؤونها الداخلية والخارجية.

وهكذا حافظت هذه القبائل على إستقلالها، ومنعت الملك من ممارسة أي ضغوطات سياسية على تنظيم وإدارة القبائل الواقعة على الضفة اليسرى لوادي سيباو مهما كانت الظروف.

إذن لولا الاتفاق المبرم بين ملك كوكو وسكان القبائل المرتفعة، بالتالي قبول هذا الملك لشروطهم لما وصل الأخير إلى قمة كوكو وتشييد عاصمته[2].

---

[1] -(H).Idem, pp 4, 5.
[2] -(s). Boulifa, op.cit, p 74.

والسؤال المطروح، هل أوفى ملوك كوكو بعهدهم مع سكان القبائل ؟

إن الحكام في البداية، حافظوا على العهد خلال قرن، إذ لم يحاولوا التأثير على إدارة القبائل الجبلية.

وكان السلطان مرتاحا بحصوله على تحالف من خلاله يقوم سكان القبائل بحماية عائلته وأحفاده، وبالتالي واجبات الحماية leΣnaya جعلت القبائل يؤيّدون العائلة الملكية، وهكذا أصبحت قبائل آث يحي وآث فرواسن وآث بوشعيب مساندة مباشرة لشرف ومجد عائلة أولقاضي.

وأصبح ملوك أولقاضي يستغلون هذه الوضعية لصالحهم لإخضاع العديد من القبائل التي لم تكن في ظل حكمهم، ولشنّ الحرب ضد العثمانيين[1].

لقد تغير نظام الحكم في مملكة كوكو خاصة في عهد أعمر أولقاضي الذي حكم ما بين 1598 و 1618، إذ كثرت الثورات[2]، وكان حكمه استبدادي، ففي الصيف يسخّر البغال التابعة لقبيلة آث جناد لنقل المحاصيل الزراعية ولخدمة أشغاله، وبالتالي يمنع السكان ويعرقلهم في إنجاز أشغالهم.

وكان يتجه مع أتباعه إلى سوق الخميس التابع لآث جناد المسمى حاليا سوق الحد، وكان بضغط على القبيلة من أجل الحصول على معاشات له، وأتباعه ولأحصنته[3].ومن بين الأمثلة حول استبداد عمر القاضي نذكر العقوبات المسلطة على المتهمين.

- **طبيعة االعقوبات المسلطة على المحكوم عليهم (المتهمين)**

فحسب الذاكرة الجماعية لكوكو، فإن سيدي أعمر أولقاضي كان يفرض على السكان حكم استبدادي، وكانت العقوبات المسلطة على المتهمين قاسية، إذ كان يثبت عمودين من الحديد،

---

1 (S)Boulifa,op.cit,pp74 ,75 .

2 (H) Genevois,op.cit, p34.

3 (H)Idem,p34

كل واحد في جهة، فيربط أيدي المتهم، كل منها إلى عمود، ونفس الشيء بالنسبة للرِجلين، وأثناء الحرارة الشديدة في فصل الصيف، تنتزع كل ملابسه، ويترك أمام أشعة الشمس من الشروق إلى الغروب فيصبح جسمه محترق، وفي اليوم الموالي يعذب بالنفس الطريقة فيتمنى البأئس الموت

والمثال الآخر يخصّ الفيل الذي كان يملكه سيدي أعمر أولقاضي.إذ كان هذا الأخير يملك فيلا، يستهلك الكثير من الأكل، وبالتالي فإن على السكان أن يوفّروا ثمانية أضعاف لهذا الحيوان، ولمّا ملّوا من هذا الوضع قررت القبائل،أن تبعث ممثلون من أجل تقديم شكوى لدى الملك لكن هيبته والرعب منه جعلت الممثلين يأخذون إحتياطاتهم، فاتفقوا على أن تكون الشكوى من طرف الجميع، كل ممثل يتلفّظ بجزء من الشكوى. [1].

فالأول سيلقي السلام على الملك والثاني يقول له أن الفيل الذي تملكه والثالث يطرح المشكل ويقول بأنّه سبّب لهم الكثير من الأضرار، والأخير يقترح الحل بأن يسحبه.

بهذه الكيفية فإن المشكل سيُسوّى، فذهبوا إلى السلطان، إلا أن قساوة استقباله أدخل إلى قلوبهم الرعب، فأصبحوا لا يدرون ماذا يقولون، فغضب السلطان وطلب منهم الكلام وإلا سيُقتلون. فقال الأول منهم سيدي الملك إن فيلك ، فانتظر أن يتكلم الآخرون فلم يتلفّضوا بكلمة فأضاف الأول أن فيلك ليس له من يؤنسه إجلب له فيل أخر لكي يستأنس به.

حسب هذه الرواية فإن أعمر أولقاضي، أدرك مغزاهم وغرضهم من المجئ إليه، فقتل الممثلين الصامتين.

من هنا فإن هذه الحادثة تبين لنا طبيعة حكم أعمر أولقاضي وشدته وبسبب هذا الاستبداد قتل أعمر أولقاضي في سنة 1618[2]

1- (P)Boyer,op.cit, p26.
2- (H)Genevois,op.cit, pp 20-21.

**3-عواصم المملكة**

**- أورير العاصمة الأولى**

تطرقنا في ما مضى عن أصل عائلة أولقاضي وهي قبيلة آث غوبري، التي يحدّها من الشمال قبائل (عروش) وادي الحمام، ومن الشرق نفس العروش وعروش آث ايجر، ومن الجنوب آث ايجر و وادي بوبهير، ومن الغرب آث جناد،[1] ومن هنا فإن أحمد أولقاضي عندما عاد إلى بلاد القبائل لم يجد أحسن مكان من قبيلة أجداده للإستقرار فيها، وذلك بسبب روابط الدم التي تجعل سكانها، يقبلون به بسهولة[2].

وحسب بيير بوابي الذي لديه نفس الرأي مع سعيد بوليفة، فإن موقف العائلة الملكية بن القاضي، كان حرجا للغاية، إذ ليس لها أي سند قبلي، باستثناء القبيلة الصغيرة و هي آث غوبري التي ينتمي إليها  جدّ العائلة، التي يمكن أن تساندها[3].

إتجه أحمد أولقاضي إلى جبال قبائل جرجرة، وأسس عاصمته الأولى أورير، والسؤال الذي يطرح نفسه، هل شعر وتمتع أحمد أولقاضي بالسلم؟

**-كوكو: العاصمة السياسية**

بعد حادثة مقتل عروج في تلمسان سنة 1518، اِتُّهم أحمد أولقاضي بالخيانة من طرف العثمانيين وعلى رأسهم خير الدين، وهكذا اضطر أحمد أولقاضي للإنسحاب إلى المناطق المرتفعة أكثر[4]، وبالضبط قمة كوكو في قبيلة آث يحي، ليؤسّس عاصمة أخرى وهي كوكو،

---

1- (C), DevauxLesK*ebailes de Djerdjera*,Alger,Etudes nouvelles sur le pays vulgairement appelés LA GRANDE Kabylie ?camoin frères,,libraires éditeurs,Paris,1859, p 342.

2- (Oulhadj) Nait Djoudi, « *le Royaume de KouKou : chronologie et géographie  des lieux* » in Acte,jounée d'études sur le royaume de KouKou p 18, Maison de la culture Mouloud Mammeri, Tizi ouzou, 2010, H.C.A, 2011.p18

3 -. (N) Robin, « *Espagne  et Koukou.Les négociations de 1598et 1610* »,p26

4(S)Boulifa,op.cit,p82

وبنى فيها برج كبير. وأعطى المؤلفون الذين تطرقوا إلى الفترة الإسبانية اسم Reyes de Cucu ملوك كوكو.

يعتبر هذا المكان حصينا، ومن الصعب للعدو (وهم العثمانيين) الوصول إليه، ولهذا فإن اختيار هذا الموقع له أسباب إستراتيجية[1].

- **تنظيم العاصمة كوكو**

تطرق أحد الفرنسيين في منتصف القرن19، وهو ديفو C. Devaux في كتابه قبائل جرجرة Les Kebailes de Djerdjera إلى ما كانت تتمتع به هذه المنطقة، ليس نقلا عن المؤرخين وإنما بما رآه بعينه من آثار.

يوجد في الشمال وعلى بعد 400متر من كوكو، مكان يطلق عليه اسم أورثي نتعلجتس Urti nTΣalğet حديقة الأميرة Le jardin de la princesse هذا ما يثبت ويؤكد أن اسم الأمير قد أطلق على أحد الحكام (أنظر الصورة في الملاحق).

كانت كوكو في أعز أيامها محاطة بسور يصل طوله 2000 متر، هذه الأسوار التصقت بصخر، يسمى حاليا أزو- نلقلعه Azru n Lqelɛa،Le rocher à pic أي صخر القلعة (أنظر الصورة في الملاحق).

وتوجد ثلاثة أبواب للدخول إلى القلعة، أحدها في اتجاه الشمال والشمال الغربي تقع في سهل صغير يطلق عليه تمازيرت القرابةTamazirt n tqerrabt حديقة المقام وتسمى أيضا ثيغيلت نلمدافع Tiɣilt n Lemdafaɛ قمة المدافع (أنظر الصورة في الملاحق).

على الجانب وفي الشمال الغربي، يوجد باب يسمى أزرو نتعساسين Azrou-n Taassassin صخر الحراسات .وأخيرا في جنوب كوكو وفي الجهة المقابلة لجرجرة يوجد ثبورت نسّور Tabburt n ssurباب السور (أنظر الصورة في الملاحق)، توجد بعض الصخور

---

[1] -(O)Nait Djoudi,op.cit,p19

التي نلاحظها عندما ندخل من الجنوب إلى كوكو، تنتمي إلى هذا الباب، وعددها 13، ثمانية على اليمين و5 على اليسار ومن بين هذه الصخور الأخيرة أحدها يبلغ متر واحد.  وفي داخل العاصمة وعلى بعد 100 متر من القرية يوجد ثقرابت بولقاضي Taqerrat Bulqadiمقام أولقاضي.

ويوجد صهريج Citerne قديم يبلغ طوله تسعة أمتار، وأربعة في العرض، يمكن ملاحظته من شمال القرية، له فتحتان في الأسفل للسماح لمياه المطر بالسيلان، حاليا لا يستخدم لكنه متين.

ويوجد مدفعين في الأرض، أحدهما في الهواء الطلق والآخر داخل منزل، يعتبران من بين أسلحة المدينة، الأكبر منها يبلغ مترين و16 سنتمتر والثاني يبلغ متر و70 سنتمتر في الطول و4 سنتمتر في السمك قد يكون صنع في اسبانيا و أخذ بعد سقوط بجاية[1].

لكن لو نتمعن في المفاوضات التي جرت ما بين عمر أولقاضي وملك اسبانيا، سيتضح لنا، أن اعمر أولقاضي طلب من نظيره الإسباني أن يمدّه بالسلاح، من هنا قد يكون المدفعين تحصّل عليهما عمر أولقاضي وبقيا إلى القرن 19 أثناء زيارة ديفو لكوكو.

والأماكن المذكورة مثل ثيغيلت نلمدافع قمة المدافع، يدل على المكان الذي نصبت فيه المدافع في اتجاه الشمال والشمال الغربي. والمكان الذي أسست فيه العاصمة كوكو مرتفع، واختار ملوك كوكو وأولهم أحمد أولقاضي، هذا الموقع  لانه استراتيجي يصعب للعدو النيل منهم والوصول إلى عاصمتهم، أضف إلى ذلك إستعمال المدافع خاصة ضد العثمانيين، يجعل إمكانية واحتمال احتلال كوكو شبه مستحيل.

وكانت كوكو، تملك أيضا أزو نتعساسين Azru n tΣessasinأي صخر الحراسات أي الصخر الذي يحرس فيه رجال المملكة، بالإضافة إلى تقرابت بولقاضي Taqerrabt bulqaḍi

1- (C) Devaux, op.cit,pp 275-280.

أي مقام الملك وعلاوة على ذلك وحسب الذاكرة الجماعية يوجد دار القضاء في المكان الذي توجد فيه الزاوية حاليا (أنظر الصورة في الملاحق).

بالإضافة إلى ثَلَى إمحباسTala imehbas أي ينبوع المساجين، والسور الذي كان يحيط بكوكو، وحديقة نتلعجلتسurti n tΣelğet، كل هذه التنظيمات تدل على أن ما أسّسه حكام كوكو هو مملكة، خاصة وأنها استمرت في الوجود أكثر من قرنين، ولا يمكن للتنظيم القبلي أو تنظيم آخر أقل من الدولة أو المملكة أن يستمر لهذه المدّة.

**-مدينة الجزائر: آث القاضي ملوك الجزائر**

بعد مقتل عروج بتلمسان في سنة1518م شنّ أخوه خير الدين حملة عسكرية ضد منطقة القبائل بقيادة حسين قاره، فهزم أحمد أولقاضي وأتباعه، وفرّ هذا الأخير إلى عنابة لتضميد الجراح، وإعادة تنظيم الجيش، وقَبل مساعدة الحفصيين، فعاد على رأس الجنود التونسيين بالإضافة إلى العديد من قبائل جرجرة التي لبّت النداء، وتوجهوا إلى مدينة الجزائر، وتقدّم خير الدين على رأس الجيش ووقعت المعركة بين الطرفين في سهل إيسر، وانهزم العثمانيون شرّ هزيمة وفرّ خير الدين إلى جيجل، أمّا أحمد أولقاضي وأتباعه دخلوا الى مدينة الجزائر .واختلفت الروايات حول فترة حكم احمد أولقاضي في مدينة الجزائر.

فحسب Robin, Feraud, Berbrugger بربروجير وفيرود و روبان ، فإن أحمد أولقاضي بقي ثلاث سنوات، أما سعيد بوليفة ودحماني وفرج، فيتحدّثون عن سبع سنين أي ما بين 1520 و 1527(1).

بالنظر إلى سير الأحداث فيما بعد وحدوث معركة أخرى في سنة 1527 في إيسر والتي تم الغدر فيها بالملك أحمد أولقاضي بالخيانة وقتل عشية المعركة، يمكن القول أن أحمد أولقاضي حكم في المدينة سبع سنين، ومهما يكن عدد السنوات التي بقي خلالها أحمد

1 -(O) Nait Djoudi,opcit,pp19,20

أولقاضي ملكا على الجزائر، فإن هناك بعض أسماء الأماكن تدل على تواجد آث القاضي فيها متل جبل كوكو وتالة أمليل إلتي اصبحت تسمى تيليملي tilimli في مدينة الجزائر.

**-جمعة السهاريج العاصمة الإقتصادية:**

**-حدودها**

تنتمي قرية جمعة الساريج إلى قبيلة آث فراوسن التي يحدّها من الشمال واد بوبهير ومن الشرق آث خليلي وآث يحي ومن الجنوب آث يحي وآث منجلات ومن الغرب آث إيراثن.

سماها مارمول جمعة كساريج Gemaa-xarig وحسب علماء الآثار كانت تسمى بديل Bidil أو بيدا Bida أو صيدا Sida.

من هذه المنطقة كان يمر الطريق الذي يربط دلس ببجاية بواسطة واد سيباو. توجد فيها الآثار الرومانية بكثرة، ففي مكان تمركز السوق وعلى حافته، يمكن ملاحظة الآثار التي بقيت صامدة أمام الزمن .وهناك حوض ماء بُنِيَ بواسطة صخور جميلة، مازال يستعمل لجمع المياه ينبوع رائع، وتوجد أيضا أحواض أخرى أصغر داخل القرية، وبسبب هذه البناءات في مجال المياه، سميت المنطقة جمعة السهاريج، وتعني اجتماع الأحواض، بلغ عدد الينابيع التي تسقي الحدائق إلى 90 حسب أقوال السكان. [1].

أثبتت العديد من الوثائق وجود حكم أولقاضي في جمعة الساريج منذ نهاية القرن 16، إذ استخدم أعمر أولقاضي هذه المنطقة عاصمة اقتصادية، وهذه الأخيرة سميت قديما Bidah Municipium كان لديها لقب أو تسمية العاصمة السياسية والاقتصادية لقبيلة آث فراوسن.

---

(1) -(c)Devaux,op.cit,pp292-295

في الحقيقة، فإن بروز جمعة الساريج لم يكن بسبب التاريخ القديم، وإنّما لوفرة المياه التي تسقي الأراضي الخصبة والبساتين التي تنتج الكثير من المحاصيل الزراعية مثل الفلفل والبصل والبطيخ.

إلاّ أن هذه المنطقة اكتسبت أهمية كبرى في عهد العائلة الملكبة إبوختوشان، هذا الفرع الذي أسسه سيدي حند اولقاضي المسمى التونسي والذي ولد في تونس، وهو ابن أعمر أولقاضي المقتول[1].

**ب-الجيش**

كانت مملكة كوكو، تملك جيشا قويا، وذلك من أجل استتباب الأمن الذي تزعزع في كثير من الأحيان في الداخل، ومن أجل شن الحملات العسكرية خارج حدود المملكة[2].

وبخصوص هذا الجيش ذكر مارمول كارفخال، أنه يتشكل من 5000 من الرماة و1500 من الفرسان بدون ذكر الكثير من الرجال المسلحين على الطريقة السائدة في البلد، وهم كلهم شجعان وذوي خبرة في الأسلحة، إلا أن ملبسهم غير لائق، وعندما يذهبون إلى الحرب يغطون أجسامهم بقطعة من القماش. ا[3].

هذه الأرقام تخص القرن 16، لأن مارمول كارفخال عاش في مدينة الجزائر في تلك الفترة، إلا أن هذه الإحصائيات والأرقام حول الجيش تزايدت وارتفعت فيما بعد، لأنه حسب مفاوضات 1598-1610 بين الملك الاسباني فيليب الثاني وملك كوكو آنذاك أعمر أولقاضي، فإن هذا الأخير أخبر ملك إسبانيا بأنه مستعد لتجهيز 100.000 جندي[4].

[1] (O) Nait Djoudi, op.cit, pp 20-21.

[2]- (H)Genevois,Les « *Rois de Koukou » et leur royaume*,in Hommes et Femmes de Kabylie,p84

[3]- Marmol (carvajale).*op.cit,* p413

[4]-Jules liorel, *la kabylie du Djurdjura,* p 130.

إلا أن هذا الرقم كبير جدا، لا يتقبله المنطق، وبالتالي بمكن تفسير ذلك بكون الملك اعمر اولقاضي يريد إقناع ملك إسبانيا بكل الوسائل، حتى و إن كانت غير واقعية، لكي يقبل مشروعه المتمثل في التعاون لطرد العثمانيين من الجزائر.

ومن هنا يمكن القول، بأن القوة العسكرية لمملكة كوكو تضاعفت قريبا بعد حوالي قرن من الزمن.

**-الأهداف العسكرية**

وعلى سبيل الذكر، فإن مملكة كوكو شاركت ب 3000 رجل الى جانب الإخوة بربروس لتحرير مدينة بجاية من الاسبان في سنة 1555 واستطاعوا أسر العديد من الاسبان، وتحصلوا على الكثير من الغنائم سواء لفائدة العثمانيين أو لفائدة مملكة كوكو.

وفي أحيان أخرى يستخدم الجيش ضدّ الأتراك مثلما حدث في سنة 1520 و1527 عندما وقعت المعارك بين أحمد اوالقاضي وخير الدين بربروس، فكانت الغلبة في المرة الأولى للقبائل وفي المرّة الثانية للعثمانيين.

واستعمل الجيش أيضا في الحروب ضدّ قلعة بني عباس، بالاشتراك مع الأتراك، مثلما حدث في سنة 1559 عندما اشترك جيش كوكو بحوالي 4000 جندي، ضد الملك عبد العزيز الذي كان حاكما لقلعة آث عباس [1].

(1)Jules Liorel,*LaKabylie du Djurdjura*, Ernest ,Leroux,Editeur,Paris,p130

## خاتمة

ممّا سبق ذكره، يمكن القول أنّ مملكة كوكو كان لها حدود لكنّها كانت تتغيّر حسب الظروف التاريخية تتسع وتتقلّص تبعا لمدى قوّتها. ففي فترة حكم أحمد أولقاضي امتدت الحدود إلى غرب مدينة الجزائر وذلك عندما تغلّب على خير الدين.

وبخصوص نظامها السياسي كان في البداية عادلا، لكنّه تغير في عهد أعمر أولقاضي ليصبح استبداديا. وكان مقر الحكم يتغير حسب الظروف، ففي البداية كانت العاصمة أورير في آث غوبري ثم انتقل النظام إلى كوكو لأسباب أمنية وأصبحت العاصمة فيما بعد هي مدينة الجزائر، ثم جمعة الساريج.

أما ما يخص الجيش، فقد كانت المملكة تملك المشاة والفرسان وتزايد عددهم بمرور الزمن حتى ارتفع كثيرا في عهد أعمر اولقاضي وكانوا يتميزون بالقوة والشجاعة.

## الفصل الثاني:التنظيم الإقتصادي

### تمهيد

يعتبر الاقتصاد شريان الحياة في كل الدول ،نظرا لتأثيره على مختلف مجالات الحياة السياسية والإجتماعية والثقافية. فعندما يعمّ الرخاء عادة ما يكون الإستقرار وعندما ينعدم أو تنقص الخيرات يكون ذلك سببا لظهور المشاكل والثورات، ومن هنا اهتمت المملكة بهذا الميدان.

### 1-العوامل المؤثرة إيجابيا على إقتصاد المملكة:

- **حسن الإدارة وانعكاسه الإيجابي على الإقتصاد**

في عهد الملوك الأوائل لكوكو، كان سكان المنطقة يتمتّعون بفترات من المجد، واستفادوا من إيجابيات الإدارة الحازمة، بفضل الإنسجام ما بين القبائل (العروش)،إذ نجد في ظل الإدارة الحازمة والذكّية للملك سيدي أحمد اولقاضي، الأمن والازدهار في المناطق الغابية لتامغوط وجبل الزّان.

أثناء فترة حكم سيدي أحمد أولقاضي ساد السلم والتنظيم، وتشكلت من جديد القبائل على أسس جديدة. واتحدت القبائل الضعيفة مع القبائل القوية من أجل ضمان البقاء والدفاع على حياتها في أمن شامل وسلم. فهذه العوامل والظروف من حسن الإدارة والأمن والاستقرار والإتحاد، أدّت إلى التنظيم والازدهار الاقتصادي(1).

---

1- (S). Boulifa, op.cit, P 158.

**2-الاقتصاد:**

**أ- الفلاحة**

كانت الفلاحة مزدهرة في عهد كوكو، بحيث توجد أشجار الزيتون وأشجار التين والعنب ويوجد العسل، والعديد من الينابيع والبساتين تُسقى و تنتج مختلف أنواع الفواكه، والسهول تنتج الكثير من القمح وفي الجبال هناك إنتاج الشعير[1].

وعرفت منطقة وادي سيباو وخاصة حوضه العريض الذي تتقاسمه عدّة قبائل، إنتاج القمح بكميات متفاوتة من قبيلة لأخرى، وتعتبر قبيلة آث واقنون، التي تقع في منطقة سهلية، خزانا لإنتاج وفير من القمح، وحقّق متطلبات الاستهلاك للمجتمع المحلي، وتميّزت قبيلة آث جنّاد بإنتاج القمع ذات الجودة العالية، ممّا جعلها تستقطب التجار في الأسواق، وتنفذ البضاعة بسرعة كبيرة في الأسواق المحلية[2].

وكانت منطقة دلّس،غزيرة بإنتاج القمح. وتميّزت قبائل بني ثور و عمراوة واولاد محي الدين بإنتاج الشعير بكمّيات كبيرة. (3)

**-الإنتاج الغابي:**

تواجدت الغابات الكثيرة في المناطق المرتفعة مثل غابات ثامقوط و جرجرة..ويعتبر إنتاج الخشب ذات أهمية بالغة لدى الاتراك، إلى درجة ان يحي آغا قاد عدة حملات عسكرية على منطقة أكفاذو.

[1] (O) Nait Djoudi *: les lieux et les traces*, in « hommes et femmes de Kabylie, pp 77, 78
انظر ايضا - Adrien Berbrugger*, les turcs en kabylie*, p 26.

[2] -زين قاسمي، قيادة سيباو 1720-1857 مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث،جامعة الجزائر،2007،ص76 أنظر ايضا -(S) Boulifa,op.cit,p200

3- نفسه ،ص76

و كان سكان منطقة سيباو يستفيدون من خشب الغابات الذي يبيعونه ويستخدمونه في بناء المنازل و الصناعات التقليدية و الملاعق و الاواني المنزلية الأخرى .

و معظم الأواني تُصنع في هذه المنطقة، بالإضافة الى إنتاج الفلين.اما خشب الجوز فإنه يستخدم كثيرا في صناعة البنادق.[1]

**ب-الصناعة :**

**-الصناعات الحديدية:**

من بين المنتوجات المعروفة في إقليم المملكة نجد المسحوق الذي يستعمل في صناعة البنادق، و يجلب التجار لهم الكبريت من فرنسا.

و توجد مناجم الحديد، يشتغل فيها احسن العمال، يصنعون السيوف و الخناجر و الرماح

و بما أنهم لا يملكون الفولاذ، يستعملون مادة من الحديد يتمّ تمديدها على شكل صفائح طويلة، ووضعها في قواليب و يضيفون لها الماء و بعض الأعشاب ثم يتم تسخينه لكي يصبح صلب مثل الفولاذ.[2]

عشية الإحتلال الفرنسي، كانت منطقة القبائل من بين المناطق الأكثر تصنيعا في الجزائر فالإنسان القبائلي متميز في الصناعة والتجارة، يصنع الأسلحة مثل المدافع والسكاكين الصغيرة والنسيج.

---

[1]– زين دين قاسمي، المرجع السابق، ص ص76،77

[2] – Marmol carvajal,op.cit,p413.

وعلى سبيل المثال نذكر قبيلة فليسه أمليل التي تصنع الأسلحة البيضاء. وكانت قبيلة آث فراوسن انشط قبيلة في صناعة الحدادة، بحيث كانت قرية آث بوعفير تملك ورشتين هامتين للحدادة، وجمعة الساريج كانت تملك عشرة ورشات، وبها يصنع بعض الحدادين الماهرين بعض المدافع.

وتذكر بعض المصادر مثل صاحب الزهرة النيّرة، محمد بن عبد الرحمان بن الجيلالي، أن قيادة سيباو التي حددّها بالزواوة أرسلت 100 قنطار من البارود للباي محمد بن عثمان أثناء فتح وهران.

أمّا قبائل آث واسيف، وآث يني، فقد كانتا مختصتان في صناعة الأسلحة والمجوهرات، فقبيلة آث يني وحدها كانت تملك ما بين 50 و60 ورشة لصناعة الأسلحة والمجوهرات، وثوريرث ميمون ما بين 12 و13 ورشة، أما ثوريرث الحجاج فهي تملك 20 ورشة، وهو ما يقدم في المجموع حوالي 120 إلى 130 ورشة مختصة في الصناعتين المذكورتين، وهذا ما يبين أهمية الصناعة المعدنية في المنطقة[1].

يمكن تفسير الميل نحو الصناعات الحديدية المستعملة في الحرب بكون منطقة القبائل ذات شهرة حربية[2].

**– صناعة الصابون**

إضافة إلى الصناعات الأخرى المذكورة آنفا، عرفت منطقة القبائل الواقعة في حيز مملكة كوكو انتشار لصناعة الصابون، وذلك بواسطة مخلفات الزيتون وتمزج بما يستخلص من شجرة التين.

---

[1]–زين دين قاسمي،نفس المرجع،ص78،77

2- (O) Nait Djoudi,op.cit,p 152

**- صناعة النحاس**

يصهر النحاس مع الزنك، فيصبح معدنا صلبا، يستخدم في صناعة الأسلحة والحلي. وكانت منطقة آث يني متخصصة في صناعة النقوذ المزوّرة، إذ أنّ سكان آث لأربعاء مشهورين أكثر في هذا المجال، وتستقطب الكثير من الزبائن والتجار من مختلف المناطق والبلدان مثل المغرب وتونس والصحراء وطرابلس[1].

**- الصناعات النسيجية**

تشمل منطقة وادي سيباو على مساحات واسعة من المراعي موزعة على مختلف الجهات، هذا ما ساعد على انتشار الصناعة النسيجية في الأرياف.

لقد تركزت الصناعة النسيجية على المنتوجات الأساسية لاسيما الألبسة الصوفية ومنها: البرنوس الأبيض والعباءة (القندورة) ويعتبر هذا النوع من الحرف من اختصاص المرأة في هذه المنطقة. ومن بين المنتوجات الأخرى نجد انتاج الزرابي والأغطية، ومن بين القبائل المختصة في هذه الصناعات قبيلة آث يحي وآث هيشام، وإيلولة و آيت إيجر.[2]

**ج- التجارة**

عرفت المملكة تبادلات تجارية متعددة مع مختلف المناطق، يمكن تقسيمها إلى تبادلات تجارية داخلية وأخرى خارجية.

**- التبادل التجاري الداخلي:**

ساد نشاط تجاري كبير بين مختلف القبائل، عن طريق المقايضة، وتحكّمت في هذه التجارة نوعية الإنتاج وحاجة المجتمع المحلّي إلى مختلف المواد الأساسية، وعلى سبيل المثال

---

1-(o) Nait Djoudi,op.cit,pp 151, 152

2- -زين دين قاسمي، نفس المرجع، ص ص77، 78 .

نذكر قبائل بني عزوز وبني جفاد كانت تقوم باستبدال القمح بالبلوط مع قبائل آث ايراثن وتستعمله بمثابة الفرينة (الدقيق) في تحضير الخبز اليومي[1]، ويوجد في كوكو سوق كبير يقام في كل جمعة[2].

وبخصوص الأسعار نذكر سعر البندقية، المزركشة بالمرجان كان يقدر ب 70 ريال أي(175 فرنك).

ومن المواد والمنتوجات التي تباع في الأسواق، العسل الذي كانت تتميز به المنطقة[3].

- **التبادل التجاري الخارجي**

حسب ما ذكره مارمول كارفخال، فإن هناك تبادل تجاري بين مملكة كوكو والدول الأجنبية، إذ يأتي تجار مرسيليا بسلع أوربا مثل الفولاذ والكبريت مقابل السلع المحلية كالجلود[4]

كالجلود، والشمع والعسل والزيوت[5]

---

1 زين دين قاسمي، المرجع السابق، ص 78، 79.

2 Marmol carvajal, op.cit, p 412.

3 زين دين قاسمي، المرجع السابق، ص 79.

4 Marmol carvajal, op.cit, p 412.

5 محمد الصغير فرج، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954،تعريب موسى زمولي،منشورات ثالة،الجزائر،ص 29

- **الأسواق:**
- اشتهرت المنطقة بعدد أسواقها التي كانت تعقد في اعراشها وقدرت في مطلع ثلاثنيات القرن 19 م ب 68 سوقا، منها 55 في القبائل الغربية وحدها [(1)].

وأهم الأسواق الموجودة في المنطقة هي:

- سّبث أث يحي عند إمارة كوكو ويعقد مرتين في الأسبوع.
- خميس إيلولة بجوار كوكو وبوبهير وايليلتن وآث بوشعيب وآث إيجر.
- أحد آث بوشعيب في صوامع وحوض بوبهير.
- أربعاء آث غوبري
- سّبث ناث واسيف المشهور بالقانون العجيب في انتزاع الميراث للمرأة 1748.
- أحد أغريب المعروف باحتكار تجارة الملح وتسويقه بواسطة ميناء أزفون.
- سوق الأربعاء ناث ايراثن (افناين) مقر ثالث للإمارة فرع اشلام.
- سبت عزازقة لدى آث غبري.( 2 )
- وأهم هذه الأسواق سبت علي خوجة (بغلية) وقد أسسه هذا الأخير في حدود سنة 1720، وهناك أيضا سوق وادي فالي، ويوجد بينهما برج سيباو، وكانت تتوافد على السوقين القبائل الخاضعة للإدارة العثمانية، أمّا قبائل جرجرة الممتنعة، فكانت تبعث مفاوضين إلى مدينة الجزائر من أجل الحصول على رخصة التنقل من الآغا، ويتم ذلك بعد دفعهم غرامة مالية مقدّرة ب 600 **الريال**، وكانت العروش أو القبائل تكون قوافل جماعية لنقل انتاجها من

[1] د ارزقي شويتام،المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد العثماني،دار الكتاب العربي للطباعة، 2009 ص،341

[2] -احمد ساحي،الزواوة من القرن 16م حتى 18م-عهد إمارة كوكو1512م-1767م الامل للطباعة و النشر والتوزيع، تيزوزو،2015 ص140

التين المجفف والزيت إلى عنابة وقسنطينة وتعود بالحبوب والمواشي(1).

- سوق بوخالفة–قرب تيزي وزو.
- سوق أولاد موسى بفليسة.
- سوق ذارع بن خدة.
- سوق بوغني وهو مخزني منذ 1725.
- أحد آث اليلتن (ثبزيط) 1619.

يمكن اعتبار هذه الأسواق بمثابة شريان اقتصادي هام، لأنّ العلاقات مع العالم الخارجي كانت مغلوقة، ويعتمد عليها سكان المنطقة لتسويق فائض الإنتاج الزراعي والحيواني والصناعي من الزيت والتين والشعير والقمح والأصواف والأغطية النسيجية التقليدية والفخار والخشب والفضة.

وأثبتت الحقائق التاريخية ان سكان القبائل، ارسلوا مائة قنطار من البارود إلى وهران أثناء فتحها 1790 –1792 في عهد محمد بن عثمان.(2)

---

1–د ارزقي شويتام،المجتمع الجزائري و فعاليلته، ص، 342

2 –احمد ساحي،المرجع السابق،ص ص141، 142

توجد مجالس مختصة تنتخبها القبيلة، تقوم بتسيير الأسواق وتقوم بتوفير الأمن والإستقرار والنظام وراحة السكان والتجار المترددين على السوق، وتقوم أيضا بكرائه وفق قانون المزاد العلني، وبمحضر ممثل السلطة، عُرفوا بأمراء الأعراش، هم المسؤولين على أمان السوق.

وتشهد بعض الأحداث المشهورة على ذلك، مثل واقعة الأربعاء ناث ايراثن (الأحد) وهي محاولة الثأر بالغدر داخل السوق، وعندما سمع صوت المسدس استغاث المستهدف بالسواقة، فقاموا بحصار وايقاف المعتدي وتم رجمه وعقابه بشدة، وذات يوم وقع شجار في سوق بين رجل من آيت سعادة بقبيلة إعطافن وآخر من آيت منقلات قرية إيغيل بسبب موزونتين، أدّى ذلك إلى اشتباكات جماعية سقط على اثره في السوق 70 رجل من إعطافن و90 من آث منقلات بعد حرب استغرقت عدّة شهور[1].

**- حركة الموانئ:**

**-ميناء أزفّون:**

حسب ما ذكره مارمول كارفخال، فإنّ مملكة كوكو كانت تحتوي على ميناء، يقع في أزفّون، يأتي إليه تجّار من مارسيليا[2]، يقع هذا الميناء بالضبط في منطقة استراتيجية وهامة، فهي قريبة من آت جناذ الفلاحية، ومنطقة تامقوط وأكفادو المشهورة بإنتاج الخشب، بالإضافة إلى أنّه قريب من سوق ايغيل نزكري.

وقد وجد الفرنسيون بعض الآثار التي تدل على  نشاط هذا الميناء من المخازن التي كانت توضع فيها البضائع، وعلاوة على ذلك وجدت أسوار الميناء التي كانت تلعب دورا أساسيا في وقت الحرب، أضف إلى ذلك تواجد عدة بنايات أخرى.

---

[1] -أحمد ساحي، المرجع السابق، ص 141، 142.

[2]-Marmol carvajal, op.cit, p 412.

ويذكر إميل كاريت، أن ميناء أزفون كان يستقبل حمولات هامة من القمح و يوزع على منطقة وادي سيباو، وكانت هذه الحملات تجلب إلى المنطقة مقابل بعض المواد مثل الزيت، والخشب والأسلحة والفحم، بالإضافة إلى أنّ قبيلة فليسة البحر كانت تقوم باقتناء المدافع عن طريقه(1).

- **العملة**

لم يكن لمملكة كوكو عملة خاصة بها، رغم وجود صناعة الفضة وصك العملة من عهد بجاية ووجود عملات مزورة.

تداولت العملات المعروفة في الجزائر ودول البحر المتوسط، في المملكة وفي مختلف معاملاتها سواء الداخلية أو الخارجية(2). ومن بين العملات السائدة هناك البياستر piastre الإسبانية و**الريال** شكوتي (الرباعي) وهي عملة التجارة الأوربية في الجزائر قبل الاحتلال، ونفس الشيء بالنسبة لقلعة آث عباس التي تتلقى العملة السائدة في باقي أرجاء البلاد(3).

وتطرّق هايدو إلى ذكر العملة الزبانية التي كانت تتداول في مملكة كوكو ويوجد أيضا الدينار الحفصي والدورو الاسباني المقابل للإيكو والدوكا. ويوجد أيضا المثقال الفاسي والسكينة التركية بالإضافة إلى السلطان الذهبي والموزونة المغريبة التي تساوي صوردي ونصف، وهي متداولة بكثرة في منطقة القبائل وهناك المحبوب التونسي التي تساوي 20 موزونة. ونجد أيضا الريال الكورنتيو وهو يساوي 4 ريال كواتر أي 2.40 سنتيما. وكان سكان منطقة القبائل يميلون كثيرا إلى هذه الأخيرة من أجل إذابتها قصد صناعة الحلي الذهبية، وعلاوة على ذلك نجد الإيكو الفرنسي، وهي نفس قيمة الإسباني، وهناك المثقال الفاسي الذي يساوي 170 أسبيرا

وهناك أيضا الدورو الجزائري الذي يساو 2 بوجو.

---

1 –إميل كاريت نقلا عن زين دين قاسمي، المرجع السابق، ص 80.

2–أحمد ساحي: نفس المرجع ص 152.

3-Adrien Berbrugger : *les turcs en Kabylie*, p 28.

وتميّز الإقتصاد القبائلي في تلك الفترة باستعمال طريقة المقايضة والتبادل للمواد المنتجة محليا، وبالتالي بادلت القرى شَعر المعز والصوف والزبدة بالمواد الغذائية كالحبوب والتمر أو المواد الحديدية والألبسة(1)

[1] أحمد ساحي، نفس المرجع ،152-155.

**خاتمة**

ممّا سبق ذكره، يمكن القول أن مملكة كوكو كانت تتميز باقتصاد مقبول رغم الحروب التي كانت تعيشها سواء ضد الأتراك أو قلعة آث عباس. إلا أنها استغلت فترات السلم من أجل تنشيط اقتصادها، ففي الميدان الفلاحي هناك إنتاج القمح والخضر بالخصوص في جمعة الصهاريج المتميزة بوفرة المياه، وتملك الزيتون والعسل ولديها عدد كبير من القطيع، وكانت المملكة تصدر إلى مرسيليا الزيوت والعسل والشمع. وبخصوص الصناعة، كانت تتميز بطابع الصناعات (الحديدية)، وبالتالي يصنعون الحلي والنقود، والسيوف والرماح والأسلحة البيضاء والبارود.

هذا ما انعكس ايجابيا على الجانب التجاري، إذ أن هناك تجارة داخلية في الأسواق الداخلية، مثل السوق الموجود في كوكو، ويأتون إليه من كل مكان، وهناك تبادل المنتوجات بين مختلف القبائل، وهناك تبادل تجاري خارجي بواسطة ميناء أزفون الذي يأتي إليه التجار من مرسيليا.

**الفصل الثالث**

**النظام الثقافي للمملكة**

**تمهيد:**

تعتبر منطقة القبائل من المناطق التي إهتمت بالعلم و المعرفة و ذلك عبر مختلف حقبات التاريخ، مثل العهد الحمادي الذي كانت فيه بجاية مركز إشعاع حضاري و استمر ذلك في العهد الحفصي. وقد ازدهرت الحياة الثقافية و الدينية  في عهد مملكة كوكو.

**أ- الزوايا**

أثناء العهد العثماني كانت للزوايا أهمية في مختلف جوانب الحياة ومنها الميدان الثقافي و العلمي مثل طرق التدريس وهناك ثلاث مستويات للتعليم.

المدرسة الابتدائية تفتح لكل الأطفال، وكان بعض الأولياء يبعثون بأطفالهم من مناطق بعيدة، وكل طفل يدفع ستة دورو مقابل أكله وشربه وملبسه حتى تخرّجه، هذه قاعدة مشتركة، إلاّ أنّ بعض الأغنياء يضيفون لهذا الدفع هدايا قيّمة ومعتبرة .

وكان الطفل يتعلّم قبل كل شيء هذه القاعدة الدينية: لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وحوالي ستة أدعية وبعض سور القرآن. ومعظم القبائل لا يعرفون كثيرا، ويندمجون في العائلة للمشاركة في أعمالها  كلّما كانت أجسامهم قادرة على ذلك. (1)

والذين يواصلون تعليمهم، يتعلمون القراءة والكتابة وتلاوة القرآن... وبعد ستة أوسبعة سنوات يعودون إلى قبائلهم كطلية ṭṭulba، ويفتحون مدارس صغيرة للأطفال.

[1]–(Mahfoud) Kaddache, *L'Algérie durant la période Ottomane*, EDIF, Alger,2000,pp494,495

وعندما يغادر الطفل الزواية يجتمع أساتذته، أحدهم يقرأ عليه سورة الفاتحة، والشاب يشكرهم بهذه الكيفية: "يا سيدي علمتني وأتْعبت نفسك كثيرا من أجلي، وإذا شاققتك أطلب منك العفو يوم الفراق".

ويمضي زعماء الزوايا حياتهم في تسوية الإحتجاجات التي تحدث في كل يوم وأخيرا فإن الدراسات تجمع خاصة في الزوايا المعروفة، الطلبة من مختلف *المناطق*، وليس فقط من الجزائر لكن من تونس وطرابلس والمغرب ومصر، هؤلاء العلماء يدفعون عند دخولهم أربعة بوجوس ونصف مقابل فترة إقامتهم[1].

**1-محتوى الدراسات في الزوايا:**

1- القراءة والكتابة.
2- نص القرآن، حتى تلاوته حرفيا بدون أي خطأ وبالتجويد للحفاظ على نقاء نطقه.
3- قواعد العربية.
4- مختلف فروع التوحيد والتصوّف.
5- التفسير، أي تفسير القرآن حسب المذهب المالكي.
6- أحاديث الرسول (ص).
7- الحساب والهندسة وعلم الفلك.
8- علم العروض إذ نجد تقريبا كل الطلبة شعراء.

**2-أهم الزوايا في منطقة القبائل الغربية**

- زاوية أحمد بن إدريس،ظهرت في القرن 14م 1318م في إيلولة أومالو.

- زاوية عبد الرحمن الإيلولي، في إيلولة أومالو، تأسست في  سنة 1665م.

- زاوية ابن علي الشريف،تأسست في القرن 18م 1762م في إيلولة أوسامر.

1-(M).Kaddache, op.cit,pp 494, 495. .

زاوية سيدي احمد اومالك بثيفريث آث إيجر ،في القرن 15م.

– زاوية سيدي عمر ولحاج،في القرن 15م في آث إيجر.

– زاوية سيدي موسى،في ثنبذار،ظهرت في القرن 15م في آث وغليس.

– زاوية سيدي علي ثغلاط أبو الحسن علي،تأسست في القرن 13م في آث يتسورغ1248 م.

– زاوية أيت منصور،في آث يتسورغ،ظهرت في القرن 16م،وأسسها أحمد بن يوسف.

– زاوية عي اوطالب، ظهرت في كوكو بآث يحي،في القرن **16م**.

–زاوية الشرفاء بهلول الغبريني،تأسست في عزازقة في القرن 15م.

– زاوية أعروس في آث ايراثن،أسسها أحمد بن عروس في القرن 16م.

زاوية سيدي منصور ،تأسست في ثيميزار بآث جناد في القرن 17م.

– زاوية سيدي محمد السعدي،تأسست في ميزرانة،في القرن 17م

– زاوية سيدي علي بن موسى تأسست في معاتقة في القرن 16م.

– زاوية ثيفريث الشرفاء ظهرت في واقنون في القرن 18م

– زاوية سيدي يحي العيدلي،تأسست في القرن 15م

– زاوية سيدي يدير بالقرب من زاوية سيدي يحي العيدلي،ظهرت في القرن 15م[1]

– زاوية الموفق أمالو،أسسها سيدي أحمد بن يحي،ظهرت في القرن 17م.

---

[1] -أحمد ساحي، الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد إمارة كوكو1512-1767م،ص241،242

-زاوية سيدي أحمد بن عبد الله، تأسست في إيخداشن في القرن 13م.

-زاوية ايت داود،في تاسلانت ،تأسست في القرن 18م من طرف أبي داود محمد أمزيان.

-زاوية سيدي بوسن،ظهرت في أوزلاقن في القرن 13م.

-زاوية أمالو العالية،سيدي الموهوب ،تأسست في القرن 17م

-زاوية حنديس في أقبو، ظهرت في القرن 16م.

-زاوية أحمد أومسعود،تأسست في إيلولة أوسمار.

-زاوية أحمد أوسعيد، ظهرت في أوزلاقن.

-زاوية الشيخ محمد بن عبد الرحمن ظهرت ببنوح في بوغني.

-زاوية سيدي بوبكر ،تأسست في ثقزيرت.

-زاوية ثومليلين ظهرت في أزفون.

-زاوية ايت قاضي، تأسست في جمعة الصهاريج.

-زاوية الحاج حساين، ظهرت في سمعون بآث وغليس.

-زاوية رزاق بني منصور ،تأسست بأكفاذو.

-زاوية سيلال منصور ،ظهرت في أكفاذو.

-زاوية سيدي موسى بن نذير ،تأسست في آث منصور بأكفاذو.

زاوية سيدي امد وعلي،ظهرت في آث إيجر.

---

[1]-أحمد ساحي،المرجع السابق،ص ص242-244.

-زاوية سيدي احمد بن معلم،تأسست في عين الحمام [1]

-زاوية ورجة، تأسست في إفرحونن،بالقرب من عين الحمام.

-زاوية سيدي موسى،ظهرت في آث يتسوراغ.

-زاوية عمر بن زقان، تأسست في إيرجن بالأربعاء ناث إيراثن [2]

من خلال استعراض اهم الزوايا التي أسست في منطقة القبائل الغربية، و بعضها في بالقرب من هذه المنطقة لكنها كانت تابعة لمملكة كوكو، يتبين لنا أن هذه المنطقة كانت تملك الكثير من الزوايا و هي أكثر عددا من الكثير من المناطق، بدون أن ننسى أنها كانت منارات للعلم و بعضها بمثابة الجامعات مثل زاوية إيلولة.

1- نفسه، ص 242-244
2-نفسه، ص244

بعض هذه الزوايا تملك الكثير من المشرفين عليها،و من بينها زاوية* سيدي علي بن شريف، لديها ما بين 200 و300 طلبة وتلميذ، ويأتي إليها أكثر من مائة زائر [1]

**3- نماذج من الزوايا بمنطقة جرجرة**

وجدت الكثير من الزوايا في منطقة القبائل، وبالتالي لا يمكن ذكرها كلّها بل سنتعّرض إلى ذكر بعضها فقط و هي:

**1.3 زاوية أحمد بن إدريس**

أسّسها الشيخ أحمد بن دريس، مفتي بجاية وقاضيها والشيخ بن خلدون في مطلع القرن 8 هـ/14م، في حدود 1358م بقرية أيت أعلي أمحند بعرش إيلولة اومالو بالقرب من قلعة زيانية قديمة كان قد أسسها آل إغمراسن بموقع يسمى إحمزيان وهو لا يبعد عن ربوة شلاطة السالفة الذكر إلاّ بحوالي 5 كيلومترات[2].

- إتّسمت شخصية أحمد بن ادريس بحرّية الرأي وبالإستقامة وبحبه لمجتمعه وتفانيه في خدمة الناس.

---

*الزاوية: مؤسسة دينية علمية واجتماعية عامرة بطلبة العلم الشرعي بعكفون على حفظ القرآن الكريم والعلوم الشرعية، لها نظام داخلي يجعل منها مجتمعا معتبرا تشكل الأوقاف أحد المصادر الأساسية لتمويلّها إلى جانب الهبات والصدفات التي يمنحها المحسنون; وهكذا تؤدي دورا إجتماعيا هاما.

[1]–زين دين قاسمي المرجع السابق، ص 29،30 أنظر أيضا

[2]– ( M) Kaddache,op.cit,pp494,495.

وتمّيزت هذه الزاوية منذ بديتها ببعض الخصوصيات، إذ اشتهرت بأدائها لعدّة وظائف، كالتعليم والوظائف الإجتماعية[1]، وتتميز بنوع من الاستقلال الذاتي وبالتالي فهي غير خاضعة لأية سلطة حاكمة[2].

وهكذا رفض مؤسس الزواية أن يفتي سلطان بجاية على حساب الشرع والمنفعة العامة، فهُدد في حياته، وخرج منها مكرها، وتضامن معه جلّ السكان واقترحوا عليه إيواءه وحمايته بقرى الصومام.

أصبحت هذه الزاوية بسبب عدم خضوعها لأية سلطة، تجد نفسها باستمرار في موقف مواجهة السلطان الذي كان يريد استغلالها، هذا ما وطّد مكانتها في المجتمع ووسّع منها محليا.

والجدير بالذكر، فإن هذه الزاوية تملك عدّة أوقاف تشمل منطقة القبائل وحوض الصومام ومجّانة وحمزة وغيرها، وأن عدد العروش التي خضعت لسلطتها الروحية كثيرة جدا، فهي تمتد من بجاية إلى حمزة، ومن إيلولى إلى آث إيجر وآث إيراثن بسيباو الأعلى

**2.3زاوية منصور الجنادي**

تأسست هذه الزاوية في القرن 9 هـ / 15م، بيتميزار بعرش آث جناد، على يد الشيخ منصور الجنّادي. [3] الذي عاش في نفس العصر مع مرابطين آخرين و هما سيدي علي بن طالب وسيدي عبد الرحمن الإيلولي، و ذلك في القرن 17م لكن ليس هناك روابط بينهم و تعتبر زاويته قبلة كل ذي حاجة إلى دعم روحي و علاج نفسي،أو كل من يريد أن يكفر عن ذنبه.وعرفت زاوية سيدي منصور إزدهارا و نفوذا إجتماعيا و علميا وسياسيا لا مثيل له في منطقة القبائل، إذ غذت فيه رباط زعامة الطرقية و المعارضة.و هذا مايفسر إنتقال

[1]–زين دين قاسمي، نفس المرجع ، ص 29–32

[2] أحمد ساحي، أعلام من زواوة، ط2، ج1، مطبعة أحلى الكلام، الجزائر، 2014، ص 53، 54.

[3]–زيدين قاسمي، المرجع السابق،ص ص30، 31

سيدي علي بن طالب إلى كوكو للتقرب من ملوك كوكوو لتتمكن من مواجهة المعارضة بقيادة سيدي منصور.و ذلك عندما تجمع بين النفوذ الديني و السياسي.

أما آث القاضي، فقد قاموا بتأمين سيدي علي بن طالب و تكفلوا به سواء بالإقامة أو الحماية أو المساعدة لتأسيس الزاوية، و هذا يعتبر موقف ذكي.فرغم ان آث القاضي رجال قيادة و سياسة و جهاد، إلا أن ذلك يعتبر غير كافي لإقامة سلطة في زواوة لأن الذهنية الجماعية و الفردية تميل أكثر للأمان الديني الروحي بعد أمان الحاكم.[1]

**-علاقات سيدي منصور بكوكو و بالأتراك**

كان عرش آث جناد يقدم واجب الضيافة(اللزمة) في سوق الأحد(الخميس سابقا) متحملا الإنفاق على السلطان و على جيشه الكثير. ويتكلف بعلف حيواناته في تذمر كبير، ويقوم هذا السلطان و هو اعمر اولقاضي بإحتجاز بغال و حمير سكان العرش  لنقل مستحقات الغرامات و لإستغلالها لخدمة كوكو.

من بين المواقف الشجاعة و الحاسمة التي إتخذها المرابط سيدي منصور، رفض إستقبال ملك  كوكو اعمر اولقاضي علانية، عندما حل بسوقهم (الأحد)،و كان في خلوته لم يستقبله رغم علمه بوصوله، وأكثر من ذلك رفضه تكليف جماعة  للقيام بواجب الضيافة و منعهم من الإستعداد  لحسن إستقباله عند مدخل السوق، مثلما هو التقليد.هذا الموقف أعلنه لسكان آث جناد في يوم السوق، فلم يستقبله احد، و لما علم أعيان آث جناد بقدوم الملك ،إستشاروا سيدي منصور للقايم بواجب الضيافة،لكنه رفض ذلك و قال لهم لا نذهب إليه بل هو الذي يقدم إلينا.[1]

[1]-أحمد ساحي،أعلام من زواوة،ص76،77.

هذه الحادثة وقعت في عام 1028هـ /1618م ورغم هذا الموقف الخارج عن العادة فإن الملك اعمر اولقاضي إستعمل الحكمة فأتى هو وموكبه نحو المرابط و دخل الطرفان في حوار بعيد عن الحادثة التي وقعت وإجتنب الدخول في عنف خاصة في يوم السوق و فيه يتوافد الكثير من الناس إلى ذلك المكان.وهكذا تحكم في اعصابه.

وفي هذا الحوار وجه المرابط سؤالا كأنه لم يحدث أي شيء بين الطرفين قائلا:

ماذا أعجبك في الجزائر؟ فيرد السلطان قائلا:كل شيء يعجبني في الجزائر..

و يرد عليه سيدي منصور: أما أنا فلم يعجبني سوى ذلك السائر في الطرقات يقول للناس، بالك يا غافل ...بالك يا غافل ؟

نفهم مما قاله المرابط سيدي منصور، أنه يريد إيصال رسالة إلى الملك، و هو إنذار شعر به السلطان وتأثر له، لكنه قبِل ذلك.

بعد إنصراف الملك أرسل سيدي منصور من يخبره بقدوم أجله، وهذا ما جعله يصفر وجهه و يتمتم لا حول و لا قوة إلا بالله. و بعد حوالي أربعة أيام قُتل بالرصاص.

هذه الأحداث إن دلت على شيء فإنما تدل على أن سيدي منصور قد أعلن عن موقف من نوايا و أحداث سابقة ،أنه على دراية بالمؤامرة التي نسجت بين اعمر اولقاضي و الإسبان لإنزال الإسبان في أزفون بتاريخ في جوان 1603م، للتخلص من الأتراك.[2]

---

[1]-أحمد ساحي،المرجع السابق، ص 78-81

[2]نفسه، ص82-84

لما علم المرابط بذلك وعد بالأمان لحامية المملكة و ضمان إستقبال التأييد للإسبان من أجل طرد العثمانيين من منطقة القبائل و الجزائر ككل. لكن هذا مجرد خدعة، إذ جاء موقف سيدي منصور و آث جناد مناقضا للوعد المقطوع، إذ قام آث جناد بإعلام العثمانيين بمؤامرة اعمر اولقاضي مع الإسبان و كشفوا لهم مكان و زمان المؤامرة، فقام العثمانيون بالإغارة على الحامية الإسبانية التي كان يقودها رجل دين مسيحي يدعى ماتيو،و استطاع العثمانيون أن يقضوا على الحامية الإسبانية.

من خلال ما قام به اعمر اولقاضي، يتبين لنا أنه طبق مبدأ عدو العدو صديق، لكن وجهة نظره كانت مختلفة مع وجهة نظر المرابط سيدي منصور.فهذا الاخير يرى أن المسلم لا يجب ان يتحالف مع العدو غير المسلم ضد المسلم، و بالتالي فإن عدو العدو الكافر ليس عدوا.[1] و هكذا تتجلى لنا شخصية سيدي منصور الجنادي،فهو ليس ذلك الشخص المنطوي في خلوته و لا يبالي بواقع المجتمع، أو الذي يوالي السلطان سواءا كان في صواب أو في خطأ، و إنما كان له دور إيجابي وفعال في سير الاحداث و في إصلاح الأوضاع و توعية المجتمع و الوقوف إلى جانبه.

مما سبق يمكن إعتبار المرابط سيدي منصور الجنادي، نموذج فريد و رجل مواقف و سياسا و قائد للكثير من الأتباع و الأحلاف من المؤمنين و التلاميذ و الطرقية .و عكس ما فعله هذا المرابط. كان معاصره سيدي علي بن طالب زعيم زاوية كوكو بدون دور سياسي، له موقف سلبي من جميع الأحداث و التطورات التي عصفت بسلطان كوكو.

[1]-المرجع السابق، ص81،82

لم تشر المصادر التاريخية، الشفوية والمكتوبة إلى إتخاذ علي بن طالب أي موقف  معادي من مملكة كوكو، ما عدا دوره في الإصلاح  و السعي لتفادي الإضطرابات و الفتن.

و هناك موقف تداولته الذاكرة الشفوية يتمثل في أنه عندما عاد ابن اعمر اولقاضي إلى كوكو من اجل الإنتقام وإسترجاع ملك والده ،أثر عليه فتراجع عن فكرة الإنتقام وغير موقفه فقام بتصفية إرث والده و غادر كوكو إلى أورير.[1]

وتضافرت عدّة عوامل جعلت من هذه الزاوية قلعة تلعب دورا هاما محليا وخارجيا، وتكون لها شهرة تتجاوز حدود المنطقة ومن بين هذه العوامل، أنّ هذه الزاوية تحتل موقعا استراتيجيا وحساسا في نفس الوقت، خاصة إذا علمنا أنها تقع على الطريق المؤدية إلى غابة تامغوط ، والتي كانت بمثابة شريان الحياة الاقتصادية لإيالة الجزائر في تلك الفترة كما كانت بمثابة المموّل الرئيسي لدار صناعة السفن الجزائرية، ضف إلى ذلك الفائدة الاقتصادية التي كانت تجلبها للدولة باستغلال ثروة الخشب في التجارة الداخلية والخارجية(2).

وبخصوص المواد المدروسة في الزاوية نجد: القرآن وشرحه والروايات السبع لتلاوته و ضبطه و رسمه،الاجرومية و مادة القواعد، الالفية لابن مالك، وحساب المواريث،الجبر و علم الميقاتAstronimie لمحمد السوسي المغربي،الاشعار و البلاغة. (3).

فيتم عن شيخ وحيد الكرسي أو شيوخ متعددين ، التدريس ، و يتداول مقدمو الطلبة ، علما و تمكنا و أقدمية عليه ، و تعتمد الدراسة على الحفظ الحاسم و المطلق ، لكل ما يملي و يكتب على اللوح ، و لا تربي الملكة اللغوية عادة هذه الطريقة . و مهما كان المقام بالعمرة فالعجز اللغوي يظل معضلة الطلبة و المشايخ ، واقع نتج عنه الاسعاف و السطحية الدينية و عدم

---

[1]- المرجع السابق، ص86، 87

[2] – زين دين قاسمي، المرجع السابق، ص 31،32

[3] – احمد ساحي،اعلام من زواوة،ص ص92،93

التمكن من الشرائع ، بتقوقع مزمن على سنة اجترار الشروح و مختصرات الشروح و التحشيات في قالب من العناوين البراقة ، بلا تجديد.

-الحجارون أوالهجاؤون- مبتدؤون...

- معيدوا المساء.

- معيدوا الصباح.

-الطلبة السباقون وهم الأخذون عن الشيخ كل صباح ، ليعيدوا للصفوف الدنيا عن طريق المدولين (المرددين السماعين) و للمعيد مواده و حصصه.  و  لكن الدروس كلها تكرر أربع مرات خلال24 ساعة.

يساعد كلا من الشيخ و سباقيه (معيدون)طلاب ممتازون يعرفون (بالدوالة)... يتلون التلاوة بصوت مرتفع عذب واضح لنصوص و مقاطع من سيدي خليل مثلا، عن الشيخ الذي يتبعها بتعاليق و شروح  حسب الشراح المختلفين،  وهذا ما يمثل بعدا ثقافيا عرف فيما بعد بطريقة التحليل و النقد. لأن الشيخ يقدم الرأي الآخر، من اختلاف المذاهب و آراء الفقهاء الا حيث يسود الإجماع.

و المدة التي يقضيها الطالب في الزاوية عادة،تتراوح بين 5 الى 10 سنوات حسب الظروف و الاستعدادات و المؤهلات الخاصة و هي. تقطع سنويا بعطلة و حيدة، تدوم من شهرين، إلا أن الزاوية لا تبقى شاغرة من الطلاب ، إذ هناك دوما من يخدمها، و يحفظ شؤونها و شؤون المؤمنين و الزوار الوافدين إليها في مختلف فترات السنة،خاصة في الأعياد وفي الربيع.[1]

[1]-أحمد ساحي، أعلام من زواوة ،93-95

### 3.3  زاوية حند أومالو

أسّسها الشيخ العالم حند أومالك في مطلع القرن 9 هـ /15م، بقرية تيفريث بآث إيجر، وكان لهذه الزاوية سمعة طيبة إستمدتها من شيخها صاحب "تحفة السرور" في الرياضيات و"النيل الغزير" في القسمة على طريقة الفرائض والتركات.

وعكس ما كانت عليه زاوية أحمد بن إدريس، فإن هذه الزاوية كانت تتعامل مع الحكم العثماني بالجزائر. والدليل على ذلك إعادة العثمانين بناء الزاوية وتوسيعها. وهي سياسة العثمانيين لتحقيق أهدافهم الحيوية.

تقع هذه الزاوية في مكان حصين، حيث تتوسط غابة أكفادوا المتميزة بكثافة أشجارها، فتمنح لها سهولة التحكم في أتباعها وفعالية رقابة خصومها.

### 4.3 زاوية عبد الرحمن الإيلولي

مؤسس هذه الزاوية هو، أبو زيد عبد الرحمن بن يسعد بن محمد بن واعلي المصباحي الخردوشي الأيلولي، ولد في حدود1603 م،[1]  وتوفي في سنة 1105هـ 1693م وبالتأكيد أيضا هو نفس تاريخ وفاة سيدي علي بن الطالب، معاصره وشيخ زاوية كوكو, وتاريخ وفاة قاضي القضاة عمر بن محمد بن عبد المؤمن المنجلاتي 1100هـ.

هذا التاريخ يذكرنا بمعاصرين لهم مشهورين، زواويا ومغربيا من أمثال ابن الطالب وسيدي منصور الجنادي، وكلاهما واكب تطورات عصفت بإمارة كوكو.

[1]-زيدين قاسيمي، المرجع السابق، ص32.31

وقد ذكر الورثلاني الأول بأنه (الطامة الكبرى) والغريب أنه لم يترجم لعبد الرحمن الأيلولي ولم يشر إلى أية علاقة بين الشيخين المعاصرين، ولا بين الزاويتين ولا يسلم عاقل أن الرحالة لم يسمع عن أبي زيد أو لم يزر معهده، وهو الذي مر عدة مرات بوادي سيباو وأعاليه! مع ذكره مقامات إعلاما في عمق جرجرة أقل شأناً و منزلة من مقام الأيلولي المصباحي والجنادي، وهذه إشارة يقتضيها ميدان البحث أكثر مما هي إثارة للتفكيروليس الوحيدالذي تم

السكوت عنه، حتى لدى سلفه الحفناوي وعذرهما أن هذه الأعمال تتطلب مجلدات فكيف بكتاب واحد.

لاسيما وأن الطرح الطرقي لديهما يكاد يكون حاسما وقاصرا! وأبو زيد ينتمي إلى عائلة مصباح بواسطة يسعد الذي كان شيخا بتابودة قبل إيخردوشن بأيلولة, وقبل بالقبائل الشرقية, عائلة علماء وأجلة الذكر [1]

أما المؤلف بوليفة فقد حاول في كتابه جرجرة عبر التاريخ، الإلمام بالعموميات المعروفة عن سيدي عبد الرحمن الأيلولي،وقد إستعمل مراجع سطحية، ولم يطلع حتى على كتاب معاصره محمد السعيد بن زكري.

وجمع كل من عبد الرحمن الأيلولي وأحمد بن إدريس وأحمد بن مالك في زمن واحد، و خلوة واحدة و هي تيزريبت، وهذا لا ينطبق إلا على حال سيدي منصور الجنادي الذي تطرقت إليه وثائق تروي حادثة وواقعة له مع اعمر اولقاضي ملك كوكو سنة 1618، أي قبل وفاة الأيلولي بأكثر من 65 سنة, ما يقلل كثيرا من فرص تلاقيهما! لكن يوجد إحتمال قليل لإمكانية وقوع ذلك،لأن سيدي منصو رتوفي في سنة 1645 م.

وبخصوص إجتماعهما مع أحمد بن إدريس، فمن المستبعد تصديق ذلك لعودة الأول إلى القرن 14م والأخيرين للقرن 17م.

---

[1]- أحمد ساحي، أعلام من زواوة، ص 131، 132

و تعتبر جهود الأيلولي من أهم جوانبها ومصادرها التربوية والقانونية مسحا للتراث المحلي في عهد لم يعرف المؤسسة التربوية الحديثة القائمة على التسيير الذاتي الطلابي بمجلس خاص وآخر عام، ومجلس للطلبة الجدد وحدهم. كما حاولنا إثراء البرنامج والاختصاص الدقيق، وهي جوانب تعتبر مزايا ومحامد وريادة للمؤسس وزاويته.

ذكر ابن علي شريف سيدي أحمد بن مصباح قبل1224ومحمد بن عبد العزيز بن مصباح مصباح الانتساب المصباحي للعائلة يضعها فرعا من آل مصاح بني يعلي.ومنها إنتقل سيدي والد أبي زيد إلى ربوع أيلولة. ولم ينتقل بمفرده، لأن لديه أسرة كبيرة على عاتقه قائمة على خدمة ورعاية معهده، في حياته وبعد مماته.[1]

وهذه العائلة تدعى إيزمراقن بتابودة. و بقي هذا اللقب للعائلة وللقرية إلى حد الآن في آث يعلي و إيلولة. و قضى والي الزاوية، أن حق الدراسة و خدمة الزاوية خاص بهذه العائلة دون غيرها، أما الآخرون فهم ممنوعون من هذا الحق.

أما ما يتعلق بيسعد بن محمد وعلي، و قبل ذلك يجب التذكير بمحمد وعلي ، فهذا الأخير من ذرية يونس الزلاجي، وبالتالي يتضح أنه من نفس عائلة ابن علي الشريف، و يوجد أيضا أحمد وعلي و هو جد الأسرة الفاضلة عليلي إلا أنه لا يوجد دليل على انتساب يسعد، والي أبي زيد إلى هذا الفرع أو فرع آخر.

و يمكن القول أن النسب الادريسي, الجامع بين الجميع, هو المضبوط في كتاب التحقيق لعبد القادر ين بوزيد الأغواطي، هو الأقرب للمنطق البيوغرافي لأنه يترجم لسيدي موسى بن عيسى بالقرب من إيخردوشن، و هو أخ سيدي عبد الرحمن الاكبر.

أقام يسعد بن محمد بتابودة و هو أول مقام لأيت مصباح بالموضع الأثري آخرذوش،إلا أنه توجد عدة مقامات (أضرحة) لإسم يسعد في كل من آث زيكي و آيت لحسن يطرح عدة تساؤلات، خاصة إذا علمنا انها متقاربة، و ذلك شأن موسى الذي يوجد فيه أكثر من خمسة

[1]-المرجع السابق، ص 132-134

أضرحة في نفس المحيط، و هو من أواخر القرن 16م، و بتالي هي فترة إمارة كوكو و العثمانيين.[(1)]

**نشأة أبي زيد ودراسته:**

ولد أبو زيد عبد الرحمن بن يسعد بن محمد بن واعلي المصباحي الخردوشي الأيلولي في حدود1603 م في إيلولة (تابودة)، و تلقى تعليمه الأول في زاوية أحمد بن إدريس، ثم إنتقل إلى زاوية ميزرانة قرب تيقزيرت، ولازم شيخه محمد السعدي. وبرز في العلوم الشرعية و القراءات السبع، وبعد ذلك رجع لتأسيس زاويته بإيلولة أومالو ببوزقن.[2]

هناك خلاف حول شخصيات الرفاق لأبي زيد، فهل هم عبد الرحمن الأيلولي وأحمد السعدي و أمحمد أبو مالك أم غيرهم من الأسماء الكثيرة المترددة في الرواية! [(3)]، وفي بعض المراجع الضعيفة المصدرية وهل كان معهم موسى واعلي وابن عروس؟..

و الجدير بالإهتمام ،هو وجود آثار تدل بالإثبات على مقام سيدي عبد الرحمن بزاوية ميزرانة وتوجد عين ماء مسماة باسمه –حتى اليوم– وهذا ما يؤكد مكانته المرموقة هناك، شمل فترتي الدراسة والتدريس والتقديم الطرقي خلفا لشيخه.

كما تشير مختلف الروايات إلى أنه قام بتأسيس المعهد الأيلولي، اتحقيق رغبة شيخه، و عملا بوصاياه –الأوراد– وأنه كان من الطلبة المقدمين وقد أثر في سلوكه وتوجيهاته وتخصصه...

لقد كان تأسيس المعهد الأيلولي حدثا فبه طرافة وعجب بسبب القرب بين معهدي ابن إدريس والأيلولي ، وعلى غرار طلبة وشيوخ العهد تنقل عبد الرحمن كثيرا عبر مناطق زواوة

[1]-المرجع السابق، ص134، 136

[2]–زيدين قاسيمي، المرجع السابق، ص32

[3]– أحمد ساحي، المرجع السابق، ص 136.

وأقام في عدة أماكن سواءا للدارسة أو للتدريس أو للعبادة. و أهمها أيلولة بأعالي تيقزيرت ثم ميزارنا الغابة، وفي آث إيراثن- حيث أقيمت له قبة بمكان الثانوية الحالية هذا ما يؤكد إقامة مطولة له، شيخا متعبدا بالربوع، وهو موضع غير بعيد من مقام الشيخ بن أعراب، بعد عهد الأيلولي بنصف قرن، ومن ابن عروس موطن يرى منه صاحب التحقيق تمركز ذرية (على بن بوزيد) (البوازيد الشراقة) في كل من أعروس، إيراتن، وبالقرى القريبة ذرية سيدي (بوعيسى) وأبي جحا وغيرهما، وهم ينتمون إلى البوازيد الشرفاء حسب المصدر السابق.[(1)]

أما عن إقامته في القبائل الشرقية، فهي محتملة بسبب وجود أملاك كثيرة وضيعات الزيتون والتين ومزارع الحبوب في حوض الصومام وآث منصور وحتى مجانة والبرج.

أملاك موقوفة على الولي وزاويته بعدة بطرق كالتتلمذ والمشيخة أو الوارثة والوقف، مما يتضمن معنى العلاقة الدموية، وروابط الوفاء لدى هؤلاء، وكانت العلاقات مستمرة ومتواصلة بين الأحياء (العلماء والطلبة، وكل شيوخ الزاوية من القبائل الشرقية.

وتتجاوز الأملاك الموقوفة منطثة القبائل إلى قسنطينة والجزائر العاصمة، وهناك كتاب أوضح الدلائل لتلميذ وشيخ بالزاوية حين يقول:

كان رحمه الله وحيد زمانه وفريد عصره، في الرواية القرآنية بمقارئ السبعة والعشر، أخذ روايته عن شيخه المشهور سيدي أمحمد السعدي (البهلولي) مع رفيقه السيد محمد العربي الحرزوني البتروني-نسبة غلى قرية آث علي اوحرزون في عرش ابودرارن و كنفدرالية (ثقبيلت) آث بترون- وعن شيخهما سيدي عبد القادر الفاسي، شارح الدور اللامع في أصل مقرئ الإمام نافع (رسم قرآن ومخارج الحروف والتجويد)... لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن الحسن التسولي الشهير (بابن بري).

[1]-نفسه،ص 137، 138

أما السيد محمد بن عنتر من أولاد علي أو حرزون آث بترون –بالزواوة فقد اشتهر بنسخ 99 مصحفا، وترك تمام المائة ناقصا، وهو دفين قبة واحدة مع أبي زيد عبد الرحمن، ومع السيدة فاطمة أخت أبي زيد...

ويشهد ابن زكري الذي أقام بالزاوية عندما كان يدرس و لما أصبح شيخا، أن سيدي عبد الرحمن كان ذو هيبة و إحترام لدى جميع القبائل، ترتعد فرائصهم عند سماع ذكره.(1)

وكثير من الناس يسمحون في حقوقهم بعد ثبوتها، فرارا من الوقوف عند ضريحه لأداء اليمين. وقد لقبه أهل وطنه (أزقّاغ نْوَلَّنْ) أي أحمر العينين.مات و لم يخلف ذكرا و لا أنثى.

و بجوار قرية إيخردوشن ما تزال معالم وخلوات صخرية يحكي عليها ذووه الكثير، من الخوارق وعين الماء والشجرة المباركة، والمصحف العجيب.

**زاوية سيدي عبد الرحمن وجارتها:**

وتطرح أمامنا جملة من التساؤلات عن سر اختيار الموقع، وهي تطرح بدورها أسئلة أخرى عن العلاقة بين المعهدين، لأن المكان الذي أقيمت فوقه زاوية الأيلولي، قريب من المعهد الإدريسي الأقدم منه لعودته إلى القرن 14م، بعد 1358م (2).

وحول هذه الظاهرة نسج التراث الشعبي المحلي  رواية مفادها أن سيدي عبد الرحمن عندما استشار شيخه أمحمد السعدي في الأمر، أشار عليه بأن يؤسس الزاوية بالموقع القريب من معهد إبن إدريس، عندما أظهر التلميذ التعجب من هذه الوصية لعامل القرب، ولما قد ينشأ بينهما في من تنافس في المستقبل، وربما نزاع وعداوة، إذ كيف يؤسس معهده قرب معهد أحمد ابن إدريس وهو المتلألئ كالمصباح على كامل الربوع...؟

[1] -احمد ساحي، أعلام من زواوة، ص138،139

[2] –نفسه ، ص 140.    –أنظر أيضا: زيدين قاسمي، المرجع السابق، ص32 ،33

تذكر الرواية أن شيخه أمحمد السعدي البهلولي رد قائلا: إذا كان معهد ابن إدريس مصباحا فإن معهدك سيغدو صباحا.

وهكذا أنشئ المعهد الذي كان فعلا بمثابة المصباح اللامع، لكنه لم يقع أبدا أن أزاح المصباح المجاور، وإن عرفت فترات ذبول ولمعان خافت..! لقد تعايش المعهدان في سلام غالبا، وتداول عنهما نفس المشائخ... سلام لم تنغصه إلا بعض توترات آنية، بين الطلبة وبين الأنصار لكلى الزاويتين، ولم تذكر الرواية حدوث أي نزاع أو شجار، سواء لعوامل ثقافية أو مادية ، كالنزاع حول الماء والمرعى والغابة والزوار...

و بالرغم من أن بعض المقيمين من الطلبة (الداخليين) أو الزوار المترددين بكثرة على كل الزاويتين، قد يؤدي إلى إثارة بعض المشاكل، إلا أن الشائع هو التضامن بين الزاويتين للوقوف في وجه المشاكل المثارة حول إحداهما، وفق قانون الدفاع الشرعي، خاصة في العهود الأخيرة[1].

**التسيير والقانون الداخلي**

تعتبرهذه الزاوية مؤسسة منظومة قائمة بذاتها منذ حياة أبي زيد عبد الرحمن، وهو واضع قانونها ومسن هيآت تسييرها وبرنامجها الدراسي، ولم يحدث لها أي تغيير لغاية 1262هـ 1846م، عهد أول إصلاح بيداغوجي لها ولبرنامجها.

تتميز الزاوية بنظام تسيير دقيق يحدد العلاقات بين فئات الطلاب.و بين المامورين المسيرين في مختلف المجالس، كما ينظم بدقة عجيبة هيئات التسيير الخاص والخدمة الذاتية! بالإضافة إلى الأصناف وفئات الطلاب حسب المستوى والعمر والأقدمية...

قانون إهتم به السيد هانوتو في 1862 والسيد بن زكري من بعده 1903، فقد تناولاه بالدراسة والتحليل والنقد وهو يغطي أكثر من 100 مادة تتطرق إلى:

[1]–أحمد ساحي، أعلام من زواوة، ص 142.

- شروط الانتساب ورسوم التسجيل.
- العلاقات والخلق التربوي والاجتماعي.
- القانون الداخلي، إقامة أكل ، خدمة، تعلم، مراتب.
- الردع والمكافأة والإجازة.
- هيآت الإشراف ودواليب التسيير.
- برامج التعليم وأوقاته وإقامة الفروض الدينية.
- حقوق الشيوخ وطرق توظيفهم ونفوذهم.
- الإحباس والأوقاف وموارد الزاوية الدائمة والمكملة (شحاتة، تصنيف، ندهات).
- الضيوف عيال الله.

هذا القانون تقوم سلطته في مجلس عام صباحي، يوميا،يتشكل من كل أصناف الطلبة، يعقد تحت إشراف المقدمين الرئيسيين[1] (مقدم العسكر، المراقب العام، مقدم الثمن المتصرف أو (المقتصد)، ومصطلح العسكر والثمن خاص بهذه الزاوية.

كل مجالس الزاوية خاضعة للقانون، ولاشيء غير القانون، وهم يرجعون إليه كلما اضطروا لذلك، ولكن نادرا ما يبرزون النسخة الأصلية (بخط الولي)، ذكر عنها طالب الزاوية، شاهدها في 1952، قال أنها بالورق المقوى القديم –غير المسطر– وبخط أسود حائل... وهي لم نعثر لها على أثر أو ذكر لدى الطلبة القدماء، ولدى فضلاء الناحية، ولكن الطالب على اعتقاد الجميع أنها سرقت، ولم يشملها الإتلاف والخراب الذي لحق بالمكتبة في 1957.

[1]– المرجع السابق، ص 144.

**المجلس الخاص:**

تملك الزاوية مجلسا خاصا، من الطلبة القدماء يضم متصرفين مقيمين أو خارجين، يهتمون بالنظر في أحوال المعمرة في الداخل والخارج، بالإضافة إلى ترتيب القراءة والصلوات وسائر الأدبيات.

يتشكل المجلس الخاص من أعضاء يتراوح عددهم بين 10 و 12 قد يزيد أو ينقص... حسب شهادة ابن زكري.

يتميز كل عضو من الطلبة الآخرين بوصفه (رائدا) يوجب له لقب (القديم)، ومن سواهم اعتبر جديدا حتى وإن قدم عهده، ومن هذا المجلس ينتخب المقدمين الرئيسيين –عسكر وثمن–

في معمرة سيدي عبد الرحمن يعرض كل انتساب جديد على المجلس العام الصباحي، من طرف المجلس الخاص، وهو الذي يقوم بالتعهد عند قبول أي طالب جديد وفق شروط أهمها:

- التحري في ماضي وأخلاق الطالب قبل الانتساب –انتقاء.
- قبول الجديد في مجلس عام يرأسه مقدم الثمن.

يتمتع كل جديد بفترة (ثمانية) بيضاء، لا يعاقب خلالها على ذنب أتاه، ويعذر بجهل القانون الداخلي...[1]

**وظيفة لمجلس (خاص وعام)**

عدة مجالس متعددة، ولكن أهمها هو المجلس الخاص الذي يضم الأعضاء المتصرفين فقط، وعددهم اعتياديا وتقليديا 11.

[1] – المرجع السابق، ص 146.

إنه يشبه المجلس المؤمني الموحدي لابن تومرت. وهو نادرا ما ينعقد ، لا يلتئم إلا لحدث جلل ويعلق عنه ابن زكري:

"إن أمر هذا المجلس ينعقد في حالات أربع:

-عند عزل عضو وتعويضه بآخر.

-عند زيادة عضو لإتمام النقص.

عند نفي طالب من عموم الطلبة.

عند تحويل المجلس إلى هيأة الطاعة والتأديب...

وعندهم لا يسترجع الطالب المطرود حتى ولو كان ابن الولي أبي زيد نفسه، ومن صلاحيات المجلس أيضا تجديد فترة المشيخة السنوية للشيخ، أو تعويضه بآخر.

يسمح لهذه الجماعة باستشارة أطراف خارجية (طلبة قدماء وشيوخ) وهذا بعد المداولة العامة ضمن المجلس الصباحي الحاسم.

والمجلس الخاص هو الهيئة العليا التنفيذية،أما المجلس العام فهو السلطة الروحية الواحدة، والعلاقة بين الهيآت تكاملية وليست سلطوية ، نظامية وغير تنافسية .

يلتجأ غالبا عند الاستشارة للطلبة القدماء، المعروفين لدى عموم الطلبة، وهذا أيضا من الثقافة العامة التي يتحلى بها طلبة سيدي عبد الرحمن، فهم يتذكرون جميعا أن فلانا مثلا تتلمذ أو تشيخ بالزاوية، وأن فلانا طرد أو توفي أو تعرض لحادثة.

تتواتر سلسلة الأشياخ مع بعض تداخل، كما سجلها أبو القاسم البوجليلي من عبد الرحمن الفاسي المتوفي عام 1091هـ، حتى العربي الخداشي عضو المجلس الإثني عشر، حافظ على عضويته حتى بعد تقاعده عن عجز، وهو المتوفي 1272هـ، درس عليه البوجليلي.

---

1-أحمد ساحي،أعلام من زواوة، ص ص147،148.

مثله السيد محمد الطاهر الجنادي، حافظ على العضوية أثناء مقامه بالجزائر، حتى سنة رحيله لتونس 1283هـ.

ويشترط في العضو المرشح لأداء مهام المجلس التحلي بخصال الطالب المجد والمثابر، الممتاز سلوكا وتفكيرا وأثرا وأخلاقا[1].

يتميز طلبة سيدي عبد الرحمن بأنهم لا يؤمرون عليهم أراذل القوم، إذ يعلق ابن زكري هذه العوائد هي التي أسس عليها بنيان هذه الزاوية، وبها استقرت إقامتها، ولا شك أن قوام عمارتها وتمام نظامها مشروط بالتمسك بها والعمل بمقتضاها، لأن غالب القانون منقول عن صاحب الزاوية ومحفوظ عنه في حياته رحمه الله...

فزاوية الأيلولي عكس الزوايا الأخرى، تتغذى من روح الولي في حين تتمثل أغلب الزوايا بالتمثيل عن الولي المؤسس... ولهذا ترك النظر في شؤون الزاوية الداخلية والخارجية للطلبة الساكنين، الوافدين من كل ناحية، ميزة تختص بها هذه المؤسسة الحقيقية فعلا... إذ لا يوجد من يحبس صدقاتها بوجه القرابة والميراث. ولا وجود لسيطرة  أو جبروت مسيريها، لأنهم جميعا مؤقتي التكليف، شهرا لمقدم العسكر (المراقب) ونصفه فقط لمقدم الثمن (المتصرف المالي)، وليسوا مبايعين كما في الزوايا الأخرى. فالاستثناء الوحيد يكن في دفن السيدة فاطمة أخت الولي أبي زيد بنفس المقام، وذلك لكونها امرأة صالحة عاملة مؤهلة نذرت نفسها لخدمة الله وللعبادة.

من خلال جعل التكليف مؤقتا ،يتجلى لنا أن ذلك شيء إيجابي ، فلا يكون إستغلال النفوذ للمصلحة الشخصية، و هذا ما يؤدي إلى التسيير الحسن للمؤسسة و تعم الفائدة.

[1]– أحمد ساحي،المرجع السابق، ص 148.

**فئات الطلاب:**

أهم تقسيم يخضعهم إلى طالب جديد وطالب قديم، والكل متساوون في الحقوق والواجبات والاعتبار، وليس هناك أدنى فرق اجتماعي أو تمايز مادي.

يرتب الطلبة قانونيا إلى شريحتين وصفتين دراسيين، فالطالب الجديد لا يعني عندهم الانتساب القريب العهد للطالب، بل التحصيل وشروطا أخرى، يقررها الشيخ في الإجازة السنوية. [1]

لكل الطلاب، جماعيا وأمام الملأ... وهو شبه امتحان آخر السنة والطلبة الجدد في سيدي عبد الرحمن يسمون (القداديش–إقداشن) أي خدمة الشيخ والزاوية وهم أصناف بحسب الخدمة و هم:

1/ **إينوالن:** الطباخين.

2/ **إيرحاين:** الرحاة.

3/ **إيسقاين:** السقاة.

4/ **إيحطابن:** الحطابين.

5/ **إيدوالن:** المناوبين.

وكثيرا ما توكل الأعمال كأعباء التحطيب والسقاية لعناصر خارجية يوفرها المحيط من الزوار الذين يستغرقون مدة طويلة في الزاوية، أو المتعاطفين بالناحية، والمتطوعين تلقائيا وتقليديا ويذكر ابن زكري:

أما القداش في العرف القبائلي، هو القائم على خدمة شيخ الطريقة والزاوية. ويستعمل لفظ الخادم لمن هو خادم الجبابرة و الحكام.

---

[1]- المرجع السابق، ص 149،150

والقداديش فئة يسخرها المقدمان وكل الطلبة القدماء في المصالح العامة مثل: تنظيف المرافق، أيضا المصابيح، إيقاد النيران ببيت الضيوف وللشيخ، إطعام الزوار وشربهم وإيوائهم، بالإضافةإلى العناية ذات الأولوية بالحيوانات، دوابا وبغالا وقططا، قبل أي كان إطعاما وإيواء وعناية. لاسيما القط عندهم، فهو محاط قانونيا بالرعاية التي تضعه في مصاف (الطهارة).[1]

ويقضي الجدد بعض مآرب الكبار، وقد يمكث الطالب سنوات ثم يأمر المجلس الخاص بترقيته لمستوى الطلاب ويعلم المجلس العام الصباحي بذلك وبانعقاده.

و لفئة القداديش قانون خاص ولجنة رباعية ومقدم خاص، يأتمر عليهم، يعقدون اجتماعاتهم يوميا وسريا، يذودون عن السرية بالأحجار عن كل متطفل على جمعهم! ويختارون لها وقت الزوال. وتعقد لإقامة الحدود والتربية التلقائية (طلاب/ طلاب) سر عظمة التسيير بهذه المعمرة... قد يستشيرون في أمورهم المعقدة كل من يتسم فيه بالأمانة، وعند التعذر يحولون النازلة إلى مجلس عام، أي نقل المشكل من السرية إلى العلانية، وكل علانية لديهم عقاب وتشهير، مادامت تطرح أمام المجلس العام والجدير بالملاحظة، أن فئة القداديش يحتكم في أمورها إلى المتصرف المالي (الثمن) وليس إلى مقدم العسكر (المراقب)، فعلاقتهم بالمسؤول المالي أكثر مما هي مع مسؤول النظام والانضباط.

**البرنامج الدراسي والإصلاح**

تلتزم الزاوية في وفاء كبير بطريقة تدريس مؤسسها أبو زيد عبد الرحمن، ولما كان عبد هذا الأخير متبحرا ومختصا في علم القراءات، شأنه شأن شيخه امحمد السعدي فقد اقتصر برنامج الزاوية في علم القراءات، بالروايات السبع والعشر المشهورين (أولهم أبو رؤيم المدني، ثم أبو السعيد عثمان ورش ثم قالون، عيسى بن مينا الزرقي ثم إسحاق المتسيبي فإسماعيل بن جعفر بن كثير الأنصاري... ورواتهم جميعا عشرة، معروفة أسماؤهم لذوي الاختصاص، كما قدمها البوجليلي في التبصيرة. وهي روايات وقراءات تعتمد الإتقان و الإحكام والضبط العجيب،

---

[1]-المرجع السابق، ص 150،151

حتى حصلت لرجال منهم ملكة راسخة في الحفظ والرسم والرواية، إلى أن كان ثبوت القرآن في أذهانهم مثل ثبوت الأشخاص في عالم وجودهم حسب ابن زكري

وهذا لا يعني أن الزاوية لا تدرس بها علوم أخرى، مثل علوم اللغة والبيان وحتى الفلك في العهود اللاحقة، ولكنها لم تسمح هيأتها المشرفة من عهد المؤسس، بتدريس الفقه –سيدي خليل– والحجة عندهم أن هذا العلم يمكن أن يشكل منافسا خطيرا على حساب حفظ القرآن والروايات والقراءات التي[1] اعترف الفكون صيت الزواوة الطويل فيها من طهر النوايا، خالصة لله وكلامه... سوف يكون لها تأثيرها على المستوى العلمي والديني، فالقبائلي يحفظ القرآن لأنه كلام الله مبارك ، وليس لأنه دستور الدنيا والآخرة، وربما جر هذا المفهوم انحرافا في الفهم وفي الفتوى، إلى عدوانية تجاه كل من حصل على نصيب من المعارف والعلوم الحديثة كعلوم الفقه والحديث والمنطق والفلك وعلوم اللغة نحوا وصرفا وبلاغة... ما أوقع علماء أجلة في دخول حروب كلامية خافية الجيوش! وجبهاتها متعددة... وعندهم لا يعترفون بغير (مالك) و ليس هناك من يفتي خارج مالك.

وليس من باب الصدف أن يجتمع أشباه علماء لإصدار قانون مريع، وهو:

– حرمان المرأة من الميراث وإسقاط حق اليتيم ومنع الشفاعة وغيرها في سنة 1748م. وأغرب من هذا ما يمارس من فتوى في بعض حالات الخلع واللعان والطلاق البائن... رغم صريح النصوص القرآنية، فباسم العرف مررت القنبلة في سم الخياط!... أمور لم تحدث في حياة سيدي عبد الرحمن ولا سيدي منصور الجنادي ولا سيدي علي بن الطالب... ولكنها حدثت عند خلو الساحة من متدبري الفقه والفتوى عموما...

[1]– نفس المرجع،ص 151 –153.

ومهما يكن أمر البرنامج، قد خضعت زاوية الأيلولي لإصلاح وتطوير هامين في مناهجها ومستواها العلمي والثقافي، وأدرجت ضمن برامجها مواد وعلوم اللغة من النحو والصرف و المعاني والبيان والمنطق وعلم الفلك (عهد السيد المولود الحافظي) وكان هذا منذ سنة 1262هـ وتم على يد الفاضل العلامة محمد الطاهر الجنادي، خليل) وإذا أخبرنا ابن الفلكون بأن زواوة تتوجه إليها لدراسة علم القراءات في زاوية ابن الموهوب منذ 1010هـ وقبل عصر سيدي عبد الرحمن بمائة سنة، فإننا لا نعثر على معهد مختص بهذا الفن في غير الأيلولي وزاوية ميزرانة في العهود التالية... ويجب إبعاد الاشتباه بين معمرة تحفيظ القرآن والقراءة والكتابة (الكتاب)، وبين معمرة تدريس القراءات والروايات والمعمرة المعهد التي تدرس علوم العصر كلها، و يخبرنا ابن زكري بتوفر شيوخ ومرسي الفقه والعلوم الأخرى في غير الزاوية المختصة بالقراءات، هذا ما أعطى للزاوية ولطلبتها سمعة مرموقة عبر الزواوة وخارجها، وكانت مقصدا وقبلة لطالبي التبحر في هذه العلوم، حتى سمعنا عن شيوخ يأتون من قسنطينة وتونس ومن الشرق والغرب أمثال مصطفى برناز وأمثال الفاسي...[1]، وقبل عهد الأيلولي اعتادت الزواوة استقبال العلماء والطلبة والثوار حسب ابن الفكون...، وليس غريبا أن يبايع لقيادة الجيوش المؤمنة المجاهدة للغزاة الفرنسيين منذ 1830 شيوخ طريقة من المغرب الأقصى وسوس وزواوة، وأن يسير 25000 مجاهدا زواويا تحت مباركة وقيادة مقدمين وشيوخ، ما يزال التاريخ يحفظ لنا أسماءهم وأصولهم مثل مقدم زاوية أحمد بن إدريس (مولاي إبراهيم سنة 1830)، تلبية لنداء الداي حسين.

[1]– نفس المرجع، ص155 –أنظر أيضا:–زيدين قاسيمي، المرجع السابق،ص32

**الصفوف الدراسية:**

يرتبهم ابن زكري صفوفا مع القدماء إلى:

**1/ مبتدئ:** وهو كل طالب لم ينهي صورة البقرة (جمل) أي أقداش وهم أصناف كما تقدم، ولهم حزب خاص ومجلس مقصور عليهم ومقدم.

**2/ المتوسط:** كل طالب خاتم البقرة، وشارع في الإعادة –قدماء-.

**3/ المنتهي:** الحافظ للقرآن الكريم والمتفرع لعلوم القراءات والتجويد وهم المعيدون، مساعدوا الشيخ، ويتكون هذا الصف حسب أنواع الدراسة والتدريس من:

أ- **السابقين:** فئة تتلقى الدروس عن الشيخ كل صباح بأسبقية، وتنقسم إلى معيدي الصباح لأفواج من الطلبة، ومعيدي المساء للأفواج الباقية ، ومنهم من يختص بتلقين الدروس والقرآن للهجائيين أو (الحجارين) حسب هانوتو.

ب- **الدوالون:** نوع متقدم من الطلبة ومتميز مستوى وعمرا وتحصيلا وهم مساعدوا الشيخ والمعيدون.

والدوال يتلو نص سيدي خليل مثلا بصوت عال، ويردد معه الطلبة أو الجدد في تلقين متواصل حتى تمام الحفظ والتمكن! ولا شرح لأن ذلك يختص به الشيخ (العهد الأخير).

ووجود هذه المهمة إن دل على فإنما يدل على الجدية والعناية التي يوليها الشيخ لإتقان الكلمة، باعتبارها معنى ومغزى فكريا وثقافيا ودينيا يجب ألا تحرف أو تلحن، وليس لأنها مجرد حروف ومقاطع وأصوات، فكلمتهم في ذلك العهد هي التي خصص لها نزار كتابا كاملا (الكلمة).[1]

[1]-نفسه، ص 156-158

مما سبق يتبين، أن الشيخ في سيدي عبد الرحمان يمثل (الكرسي) يؤدي مهام التدريس بواسطة مجموعة السباقين والدوالين، وكلهم مساعدون أو معيدون في التعبير التربوي الحديث، و هو النظام السائد قبل اختراع النظام الجامعي العصري في التعليم، ومنذ عصر الأيلولي قبل 1693م.

نستنتج مما سبق ذكره، أن منظومة الأيلولي يمكن إعتبارها كأولى تجربة الحظ لتعليم راقي لم يولد إلا في القرن 20، وهو التعليم الجامعي العالي.ويمكن تشبيهها بالجامع الأزهر في مصر وجامع الزيتونة بتونسو جامع القرويين بالمغرب الأقصى.

هذه التجربة ولدت لتموت دون أن تعتني بها الأجيال المتلاحقة بالرعاية والتخصيص والإثراء والتعميم، حتى أتى عليها زمن لم تعد تنفصل فيه عن قانون العرف فاعتبرها الدارسون امتدادا له، لتحجزها في أكثر من 60 معمرة...

وهذا غير صحيح لأن بيداغوجية التسيير قائمة على النص الواضح الدقيق المنبعث من تعاليم الشريعة الإسلامية[1]، وعلى هيئات تطبيق (لسن وتنفيذ) ذات الصياغة القانونية المختصرة.

والهيئات في حد ذاتها استمرار للموحدين، من المجلس الرباعي إلى الخماسي إلى العشري إلى الأربعيني، كما في زاوية سيدي منصور حسب داوي... ولا يلتزم العرف بغير الهيئة الوحيدة (الجمعة) وتعيين مباشر لأمين، امتداد سلطة القانون بواسطة شخص وعرف، والحدود موضوعة ، وكل ما خرج عن القاعدة أزّم الجمع وافتتن الناس بتجاوز الأمين والجماعة معا، وكانت الكارثة (الانفصام).

[1]– نفس المرجع، ص 158.

**التوقيت والتنظيم التربوي:**

ذكره كل من هانوتو وابن زكري، وهو عجيب! عندما يستعرضه معاصر منا، ويتأكد أن وقت النوم لا يتجاوز 6 ساعات فقط، وإلى جانب المهام الإجبارية (الخدمة الذاتية) التي تعود الطالب، مهما كان سنه الاعتماد على النفس، وإدارة شؤونه وتوفير حاجيات بنفسه بعيدا عن البذح والتبذير... فلا إفراط ولا تفريط!كما يقولون، فهو طالب علم وجندي من جنود الله، صاحب رسالة حيثما تواجد وأينما اتجه وارتحل... وبهذه القناعة حازوا حسن تقدير المجتمع وخير حطوة فقالوا عنهم (ملائكة) وتتوزع مهامهم بالزاوية إلى ما يأتي:

1/ يستيقظ الطالب في الثلث الأخير من الليل لقراءة القرآن حتى الفجر.

2/تلاوة الحزب الراتب جماعيا بعد صلاة الصبح

3/الإجتماع العام الصباحي المقام تحت إشراف مقدم العسكر.

4/القراءة في الالواح،الجدد على الاقدمين،و المعيدون على السباقين.

5/وجبة الغذاء لا تلمس الملعقة إلا بإذن المقدم.

6/دراسة العلوم حتي آذان الظهر.

7/قراءة الحزب الراتب تحت إشراف المقرىء و مقدم العسكر.

8/إستراحة من العصر إلى المغرب، لتلبية الحاجات الشخصية.

9/قراءة الحزب الراتب بالرفع و مد الصوت (بالترتيل).

10/قراءة فردية او مزدوجة فقط للقرآن، غير جماعية.

11/تناول العشاء ثم غطفاء الأنوار و النوم عند سماع نداء المقدم (الرقاد ...)[1]

---

[1]–المرجع السابق، ص ص159 ،160.

من خلال ملاحظة هذا البرنامج، نستنتج أن حصة الاسد فيه تعود للقرآن و الرواية ومختلف فنون القراءات..و إلى جانب ذلك تدرس الأجرومية و الألفية و التوحيد لإبن عاشر و الحساب للقاصدي، و المنطق و الفلك. [1]

لقد كان تأسيس معهد الإيلولي في القرن 17 وبالضبط 1045 هـ/1635م.ببوزقان، وتعد هذه الزاوية منارة اجتاز إشعاعها الفكري، وتأثيرها الروحي حدود منطقة القبائل ليشمل أنحاء الجزائر، وبعض الدول المجاورة كتونس والمغرب الأقصى[2].

وتأسست هذه الزاوية في مكان غير بعيد عن زاوية بن دريس، و تجدر الاشارة أن صلاة الجمعة لا تقام إلا في زاوية بن ادريس، ولهذا معنى يتمثل في رابطة الولاء و الوفاء والتواصل وتكامل الرسالة ، لقد تعايش المعهدان وتداول عنهما نفس المشايخ. [3].

والزاوية مؤسسة منظومة قائمة بذاتها منذ حياة أبي زيد عبد الرحمن، وهو واضع قانونها ومسن هيآت تسييرها وبرنامجها الدراسي.

تتميز بنظام تسيير دقيق، يخضع لقانون صارم، مكتوب بلغة يفهمها الجميع، وهي القبائلية بحروف عربية، يضبط القانون الإيلولي الحياة داخل الزاوية وخارجها، ويحدّد العلاقات بين فئات الطلاب وبين المأمورين المسيرين[4].

وللزاوية دور اجتماعي، فهي مفتوحة على الدوام أمام الفقراء والمساكين وابن السبيل وحتى الدراويش والغرباء. تحرس المعمرة على إيواء المعوزين والمنكوبين، ولم يشهد التاريخ أن اعتدى

[1]- نفسه، ص159-160

[2]– زيدين قاسمي، المرجع السابق،ص32

[3]–احمد ساحي،اعلام من زواوة، ص ص140، 141، 143

[4]–زيدين قاسمي،المرجع السابق، ص143

أحد على لاجي إليهم، وهذا قبل أن تولد الهيآت العالمية الرافقة بالحيوان والإنسان واللجوء السياسي بل منذ سنة 1600[1].

إضافة إلى ذلك فقد طبقت الزاوية نظاما في التسيير لم تشهده الزوايا الأخرى في المنطقة، حيث كان الطلبة يتولون تسيير شؤون الزاوية بأنفسهم. هذا ما جعلها تجذب عدد كبيرا من الطلبة والراغبين في التعلّم. ووصفها هانوتو ولوتورنو ب "الجمهورية الصغيرة"

وكان لهذه الزاوية شأن كبير على الصعيد المحلي والوطني، ويظهر ذلك في كثرة الأتباع الذين أوقفوا عليها أوقافا كثيرة في مناطق عديدة، بالإضافة إلى الصدقات والهبات التي كانت تتلقاها من المحسنين، هذا ما جعلها ليست بحاجة إلى مساعدات السلطة الحاكمة.

ومن العروش التي كانت تحت الزعامة الروحية لهذه الزاوية بعض قبائل ايلوله وآث إيجر، وآث زيكي وبوجليل، وايليلتن، وأقبو. [2].

### 5.3. زاوية شرفا بهلول

تعتبر هذه الزاوية التي أسسها الشيخ بهلول بن عاصم في نهاية القرن 10م/16م ومطلع القرن 11 هـ/17م، من أغنى زوايا المنطقة من حيث مواردها، وكثرة أتباعها وجذبت إليها عدد كبير من الطلبة قدموا إليها من مختلف مناطق البلاد للتعلم فيها. وأصبحت عروش آث غوبري الكثيرة تدين لها بالولاء، وكانت تتنافس فيما بينها للحصول على رضى شيخ الزاوية والخضوع له.

---

[1] نفسه، ص 181

[2] زيدين قاسمي، المرجع السابق،ص ص32،33

### 6.3. زاوية علي اوطالب

تأسست هذه الزاوية على يد الشيخ الفقيه علي اوطالب بقرية كوكو، المشهورة منذ القرن 9 هـ /15م حسب ابن عسكر، أين وجد المركز العسكري الأساسي لإمارة كوكو بعرش آث يحي[1].

وبسبب إضطراب العلاقات بين الإمارة والحكم العثماني بالجزائر، نجد المنطقة تتمازج فيها القيادة العسكرية والروحية في نفس الوقت.

ومن بين العروش التي انضوت تحت القيادة الروحية لهذه الزاوية نجد، آث يحي، وجزء من إمسوحال و إقوفاف وعين الحمام وغيرها.

ولهذه الزاوية دورا فعالا في الأحداث التي وقعت بين إمارة كوكو والعثمانين عبر العهود المختلفة[2]، وواكبت قيام دولة كوكو وانحصار نفوذها وإضمحلال سلطانها، وأقامت في نفس رباط مقر الإمارة حتى بعد زوال نفوذها، ولا يستبعد إحتزازها من أي نفوذ سياسي وعسكري والتزمت فقط بالمشيخة والقضاء والتدريس أي الدور الديني والعلمي الذي يحضى عبر التاريخ بتبجيل وتقدير سكان القبائل .

والمعروف في التراث المحلّي أن ابن الطالب لجأ إلى كوكو نازجا من تيزا بأزفون وهو عبارة عن بودالي من عيال الله ودراوشته، فلا يتعرّض لهم أحد ولا يحول دونهم ودون رغبة يبدونها، ولا يرد لهم مسعى.

1 –زيدين قاسمي، المرجع السابق، ص ص32– 34، أنظر أيضا –أحمد ساحي، أعلام من زواوة، ص 211.

2 –زيدين قاسمي ، المرجع السابق ،ص ، 34

فإبن الطالب إذن غادر إخوته وقريته مخيّرا لا مسيّرا، ومات دون أن يخلف ذرية ما عدى الإخوة، تتكوّن منهم قرية تيزا بأكملها[1].

**-علاقة الزاوية بإمارة كوكو**

لمّا جاء الولي علي اوطالب إلى كوكو كانت الإمارة مزدهرة، لأنّ نفس الأسطورة تذكر أن الولي حضر وفاة السلطان عمر اوالقاضي، ولكنّه استطاع إقناع ولده الذي عاد من تونس بقوة عسكرية لكي ينتقم من قاتل والده، حطت هذه القوة رحلها في بوبهير، و أقنعه بالعدول عن فكرة الإنتقام، وهو الذي أحصى له أملاك أبيه، تلك التركة المتواضعة التي لم تُغر الأمير الشاب، وبذلك تخلّى عنها لصالح الولّي بن الطالب، ولصالح ابن إبراهيم أنصافا.

وكان ابن الطالب بالنسبة للأمراء في كوكو، بمثابة سلطة روحية وعصمة شرعية أمام المجتمع الذي يعتبر التزاما أكثر للسلطة الخلقية الدينية والروحية على السلطان الإداري والسياسي.

وهناك سبب آخر، وهو مواجهة المعارضة والخصوم الذين يتزعمهم الأحلاف من بني جناد بقيادة سيدي منصور، وهو أيضا مرابط طرقي، ويعتبر سيدي على بن لطالب الند الأمثل لمثل هذه الصراعات الطرقية والدينية.

حسب بوايي، عاشت الأسرة في ظل الإمارة وعزّها، إلاّ أنها تميزت بنوع من الاستقلال المادي عنها، وكانت الأسرة متواجدة بكوكو بصفة رسمية منذ مقتل اعمر اوالقاضي. ولم تتورط في التصفيات والمؤامرات ضدّ عمر اوالقاضي وبقيت طوال القرن 17م تواكب التحولات التي عرفتها الإمارة، إلاّ أنها التزمت بالبقاء في كوكو عندما قرّر فرع بوختوش الانتقال الى أورير ثم أشلام لدى آث غوبري.

---

[1]-احمد ساحي،اعلام من زواوة، ص ص 120، 121

ولم يدخل آل إبراهيم في صراع سياسي أو عشائري، وإنما حافظت على الحياد بذكاء، وإقتصرت مهامها في كوكو عهد الإمارة وبعده على المشيخة والقضاء ورئاسة مجلس القضاء والمصالحة، وإعطاء الأمان وضمان أمن المرور لكل اللاجئين واللأئذين إليها[1].

ودائما بخصوص العلاقة مع أسرة ابن القاضي الأمراء، لم يذكر أيّ جانب من جوانب الصراع، قد يكون حرصها تفادي كل ما من شأنه استفزاز المشاعر وذاتية المواطنة لدى المرابطين، لأنّ العهد الذي تغطيه الوثائق عهد ثورات .

ومثل هذه الوقائع تؤكد محافظة الأسرة على حيادها وترفعها عن الأحداث تفاديا للانزلاق في مخاطر السلطان، فتفقد بذلك احترام ونفوذ الوساطة والأمانة الأخلاقية، لأنّ المؤمن لابد أن يكون مستوفيا لشروط الوساطة والتأمين، وجديرا بأن يحتفظ بعلاقات ممتازة مع كل الأطراف المتنازعة ،لأنه لو يتجاوز إلى أحد الأطراف، يفقد التحكيم الخلقي ويعرضه ذلك لعداء عدو العدو، فالمرابط في القبائل يقتحم الجبهة والدماء تتسايل من حوله، لكن لا أحد يجرؤ على إذائه من المتقاتلين حسب شهادة العمدة أبو يعلى الزواوي في إحدى وقائع الحرب العشائريه في الصوامع (إحدى مناطق الإمارة) اقتحمها للإصلاح والمصالحة.

حافظت أسرة آل إبراهيم على الاكتفاء ولم تجعلها الفاقة تتنازل على حيادها. وكانت ذات مستوى مادي بامتلاكها لقُبة الولي ابن الطالب الذي دفن بجانب أبي القاسم بن إبراهيم، وموقعها حرم إقامة الأسرة وليس ضمن إقامة الإمارة. وهذا كفيل للدلالة على مكانة الأسرة من الولي ومن الإمارة معا.

وعلاوة على ذلك، فإن هذه الأسرة لها مداخيل من الزيارات والزردات والصدقات والعشور، جعلتها تضمن لف كل المحتاجين والمعوزين والميسوري الحال على السواء، وهم الذين يرجون

[1]–احمد ساحي،اعلام من زواوة، ص ص 221–226.

الأمان أو الوساطة أو المصالحة أو التقاضي الشرعي[1]

**3. 7.زاوية علي بن يحي**

أسست هذه الزاوية من طرف الشيخ علي بن يحي خلال القرن 09هـ/15م، بنواحي آث كوفي ببوغني في أعالي جبال جرجرة (جنوب منطقة قبائل جرجرة ).

وأصبحت تستقطب الطلبة من كل أرجاء الجزائر وخاصة سكان المنطقة وبالخصوص عرش آث كوفي وبوغني. فكان لها دورا فعالا في حياتهم، ممّا أدّى إلى تعاظم وتزايد شأنها لدى السلطة العثمانية، وتخرج من هذه الزواية عدد كبير من العلماء و الطلبة الذين جابوا وتنقلوا في أرجاء البلاد لنشر علمهم.

والجدير بالذكر، أن العثمانيين قد أنشؤوا برج بوغني في مكان ليس ببعيد عن موقع هذه الزاوية. وقد يكون السبب والهدف هو مراقبة تحركات ونشاطات الزاوية[2]، لكن أكثر من ذلك كانوا يريدون إيقاف هجمات سكان المنطقة. ورغم ذلك تم الهجوم على هذا البرج وتم تخريبه من طرف كتفدرالية إقوشدال وكنفدراليات أمشطراس ومعاتقة في سنة 1756[3]

1–احمد ساحي،اعلام من زواوة، ص ص 226–228.

2–زيدين قاسمي، المرجع السابق، ص ص34، 35.

3-(Joseph Nil) Robin, *la grande Kabylie sous le régime turc*, imprimerie l'Artisan, Alger, p15.

**4-دور القوى الدينية في منطقة قبائل جرجرة**

تميزت القوى الدينية في منطقة قبائل جرجرة بنشاط كبير تزايد بمرور الزمن.

وتبرز الإحصائيات أن عدد الزوايا في هذه المنطقة قد إرتفع بسرعة بالخصوص خلال القرن17م، وكان عددها يفوق عدد الزوايا المنتشرة في المدن، و قد كان عدد الزوايا في منطقة تلمسان يفوق 30 زاوية.وفي قسنطينة 13 زاوية،ووجدت في مدينة الجزائر 12 زاوية، أما في منطقة قبائل جرجرة فقد فاق عددها 60.[1]

**أ-الدور السياسي**

أظهرت العديد من الدراسات أن القوى الدينية(الزوايا..)كان لها دورا سياسيا هاما وذلك على النطاق المحلي و الوطني.

وقد تظافرت عدة عوامل مختلفة التأثير لتدخل الزوايا في خضم الحياة السياسية بمنطقة قبائل جرجرة. وقد تطرق بوليفة إلى ذكر بعض تلك العوامل وتتمثل فيما يلي:

-إحساس قبائل جرجرة بالتهديد من طرف السلطة العثمانية.

-التعب و الإرهاق الذي نال من قبائل جرجرة بسبب الإضطرابات الداخلية و الصراعات العنيفة مع الحكام العثمانيين.[2]

1 Boulifa,op.cit,p129
2 Idem,p128

هذا ما جعلها تتطلع إلى قيادة جديدة تخرجها من بوتقة الأزمة التي كانت تعيشها، زد إلى ذلك الأوضاع الإجتماعية المتميزة بالفقر و القهر و إنتشار الأوبئة المختلفة.

-تأثير المرابطين وشيوخ الزوايا في تنظيم الحياة العامة للناس في المنطقة.

ولقد أدت هذه العوامل و غيرها، بالقوى الدينية إلى توجيه الرأي العام بمنطقة القبائل، و يتجلى ذلك في إستمالة الناس إليها،فأصبحوا يلجأون إليها في مختلف أحوالهم سواء في الشدة أو في الإنفراج .و تحكم في هذا الدور و التأثير و النفوذ شخصية المرابط أو الشيخ ومكانته العلمية و العملية في المجتمع. [1]

**-إنتقال الزعامة من شيوخ القبائل إلى شيوخ الزوايا**

شهدت أعراش منطقة القبائل إنتقال الزعامة التقليدية من أيدي شيوخ القبائل إلى شيوخ الزوايا الذين عُرفوا بالدراية في شؤون الدين و الدنيا.

و كان لذلك الاثر الإيجابي على المجتمع،إذ قل الصراع بين الصفوف العليا(لصفوف أوفلا) و الصفوف السفلى(لصفوف بوادة)، إضافة إلى تناقص النزاع الذي كان ينشب

بين الأعراش، وذلك بفضل دور هؤلاء الزعماء.و خير مثال على ذلك دور منصور الجنادي في فك النزاع بين عرشي آث جناد و آث إراثن،بالإضافة إلى دوره في وضع حد لإستبداد ملك كوكو اعمر اولقاضي.[2]

- (S) Boulifa,op.cit,p128

2- زيدين قاسمي، المرجع السابق،ص38

وكانت العلاقة بين القوى الدينية و السلطة التركية بين مد و جزر، تارة تميزت بالتعاون و تارة أخرى إتسمت بالتنافر.

عندما كانت العلاقات حسنة بين الطرفين، قامت السلطة العثمانية بإنشاء عدة مساجد ما بين سنتي 1624 و1636م.بالإضافة إلى زاوية تيفريث. ولعبت القوى الدينية دور الوساطة بين السلطة العثماية و السكان من أجل تحقيق مصالحها،فقد لجأت إلى المنصور الجنادي لوقف الصراع بين عرش آث جناد و السلطة العثمانية من أجل إستغلال خشب ثامقوط[1]

و مثل هذا الموقف كان شائعا آنذاك بالمنطقة، وكان يُعرف بمبدأ العناية(لعناية) الذي كان يشكل إحدى المبادئ الحضارية التي ترسخت في المجتمع القبائلي.

[1]– نفسه،ص 39

**2-الدور الإجتماعي**

لعبت القوى الدينية أدوارا مختلفة و متداخلة فيما بينها بما في ذلك الدور التعليمي الذي تطرقنا إليه في بداية الفصل الأول.و هناك أيضا دور إجتماعي،فالزاوية كانت بمثابة

الملجأ للفقراء و مأوى لعابري السبيل و الزائرين، و هي في نفس الوقت مكان للنظر في أمور الجماعة، وفض النزاعات الشائكة و إصلاح أحوالهم إن فسدت، و نشر التعاون

و التكامل الإجتماعي فيما بينهم.

و بذلك كانت الزاوية مجمعا محترما للسكان، تجسد فيه قيم التآزر و التكافل الإجتماعي

و دفع الظلم و إطفاء نار الفتن[1]

---

1- نفسه،ص40

## 5- نماذج من علماء المنطقة

أنجيت منطقة القبائل العديد من العلماء المشهورين الذين برزوا في شتى أصناف وفروع المعروفة كاللغة العربية وعلوم الشريعة والتاريخ.

ومن بين هؤلاء العلماء نذكر بعضهم:

### -أبو سعيد بن علي شريف

أبو سعيد محمد بن علي الشريف الشلاطي الإيلولي عالم فلكي،فهو أول المنادين العاملين بالرصد للظواهر المناخية و الفلكية و ذلك منذ 1166هـ/ 1752م لكن أفكاره بقيت في مخطوطه، بسبب النسيان و الإهمال.

يمكن إعتبار هذا العالم مكتبة، نظرا لجهوده في هذا المجال، ونجد في المخطوط الذي كتبه ثروة علمية صافية المنهل، و هو كتاب جدير بالتقدير و الإهتمام، نظرا لما إشتمل عليه من الشروح و الجداول و الصور الفلكية للمجرات و النجوم و المذنبات، و لما وفره من تقريب لمعلومات إلى أذهان قراء سكان القبائل.

و من جانب آخر يعتبر قاموسا لغويا علميا، فلكيا هام جدا في عصره، توجد فيه معلومات تحدو بالدارس إلى النظرة العلمية لما عرفه من علم النجوم أو الفلك، كظاهرة طبيعية تؤدي بالذي يفهمها إلى تقوية الإيمان بالله. و قد إعتمد على مصادر محلية و مغاربية و مصادر تخص الفلاحة.هذا ما أدى إلى إقبال شيوخ زواوة و طلبتها عليه، من شتى الزوايا و الطبقات و المهن. [1]

كان والده علي الذي أقام في شلاطة معلما وإماما، و هو أول من أسس زاوية كانت متواضعة في بداية الأمر، ثم عرفت تطورا في عهد أحفاده و أبنائهم، كأبي سعيد الذي نحن بصدد التطرق

[1]-أحمد ساحي، أعلام من زواوة، ص267-269

إليه و هو الذي ألف الكتاب الفلكي الذي يحتوي على معلومات قيمة حول الأسرة و البيئة التي تطورت فيه الزاوية، حتى ذاع صيتها في زواوة و البيبان و الحضنة و البابور.

وإعتمادا على المخطوط فإن الزاوية يعود تاريخها إلى ما قبل القرن 18م بفترة طويلة،لأن المعروف أن ينتقل الشيخ للإمامة و لإقامة الشعائر الدينية، ويتطلب ذلك الإستقرار والتعمير ردحا من الزمن لإيجاد الأرض و إقامة و غيرها و هكذا أصبحت الزاوية قبلة طلاب العلم، و بمرور الزمن تكونت حول الزاوية منازل بفضل الزاوية .

لم ينهل أبو سعيد العلم من مؤسسات كثيرة ،إلا أنه تعلم من مدرسة الحياة، وذلك عن طريق الإتصالات و الترحال، إذ أن العلم يأتي إليه بواسطة الزوار من الجنسين إلى الزاوية بدون أن يسعى إليه.

درس على يد والده الذي كان عالما ،ثم إنتسب الى زاوية ابي داود، فزاوية عبد الرحمن الإلولي، و تزوج من إبنة أحد شيوخه من إيلولة.

و من الاسباب التي جعلته يقدم على التأليف، أن ذلك كان بطلب من أحد تلامذته، و يعتبر تأليفه أولى محاولة لدراسة جد متطورة موثوقة، في علم الميقات و الفلك اعتمادا على مصادر هامة .[1]

لم يذكر أبو سعيد و لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى وجود أية إمارة أو وجود تركي،و لم نعثر على أسباب ذلك، وتطرق إلى ذكر الزلزال المرعب الذي ضرب زواوة، فخرب العمران و أسقط الأحجار من مرتفعات شلاطة بجرجرة و ذلك في سنة 1758 .

كان متذمرا من الأوضاع، و يشكو من الأقارب و الاباعد، وهذه صفة الكثير من العلماء مثل الورثلاني قبله بعدة قرون فذلك يعود إلى عوامل نفسية و إجتماعية.

و قد إعتمد هذا العالم على مراجع كثيرة مغربية و مشرقية و زواوية، من بينها:

[1]-نفسه، ص271-275

– كتاب الفنون و علم النجوم للفلكي اليوسي

– قاعدة مدخل يناير لأبي العباس سيد احمد بن مزيان الزواوي.

– معرفة الاوقات بحساب من غير آلات و لا كتاب.

**موضوع الكتاب**

موضوع الإستبصار بتفصيل الأزمان و منافع البوادي و الامصار، يتمثل في شرح لكتاب السوسي، و هو محاولة شمولية يعرّفه بما يحتاجه المبتدىء فيه انواع من المنافع الجمة، من معرفة أوقات الصلاة و تحديد القبلة من جميع الأمصار، و التفكير في عجائب العلويات وغرائب السفليات و معرفة السنة الهجرية و شهورها، و مدخل السنة الميلادية و تفصيل شهورها لمصلحة الفلاحة و الأمطار.[1]

يقول عنه :

ذكرت ما كان في كل شهر وفي كل يوم، وذكرت المطالع و المغارب بالقول الشافي، ومجاري الشمس، و ما يعتريها من الشروق و السقوط و الذبال، ودخول الحر و القر و ما بينهما من الإعتدال و كذلك سائر الدراري و ترحيلها في البروج و المنازل و أشير إلى الرياح والبرور والرعد و اذكر إنقلاب الشمس في وقتنا هذا مع الإستواء و مذاهب العرب في الأنواء و الأمطار.

من خلال ما ذكره ابو سعيد، عن كتابه يتبين أنه على دراية بعدة ظواهر طبيعية و فلكية مثل ما يتعلق بالشمس و دخول موسم الحر و هو الصيف و موسم البرد وهوالشتاء وموسم الربيع، بالإضافة إلى ظاهرة الأمطار و الرياح و غيرها. ويجب ان نشير إلى أن الوسائل المستعملة في تلك الفترة ليست متطورة .

[1]-نفسه، 277-282

وفي كتابه هذا بعد المقدمة، تطرق إلى تاريخ علم التنجيم، و تطرق فيما بعد إلى فائدة العلم عنده و هي:

معرفة مهمات الدين كالمواقيت، و خدمة الفلاحة كالحرث و تربية الحيوانات، ومعلومات عامة واسعة الإنتشار في منطقة القبائل تتمثل في بدء و نهاية مواسم الفلاحة مثل السمايم و أحقان.[(1)]

و تميز أسلوب هذا العالم بمرونة اللغة و مصطلحات جد علمية ، وهو يدلي بمعلومات فلكية بلغة ذات تعاريف دقيقة جدا، كما عرف النطح بأنه سقوط نجم.و ذكر أنه بالكواكب المشهورة تعرف أوقات الليل و السحور، و كل ساعة، و يمكن رصد منزلة الشمس في الليل تطرق إلى قول السوسي من أن 14 منها معروفة و14 غير معروفة. و تعمق في معلومات النجوم و صعودها و دعى لرصدها و إختبار ظواهرها بدوام تواصل جاد. و توسع كثيرا في مجال النجوم و توزيعها على جهات الفلك ، و أشار إلى أن الرصد أكد أن إختفاء بعضها و مغيبها 40 أو 50 ليلة، و ان لها علاقة بالطقس[2]

**- أبو عبد الله محمد بن ميمون الزواوي:**

لا تذكر المصادر زمان ومكان ولادته، ومن خلال نسبته "الزواوي" يبدو أنه من منطقة الزواوة، قدم إلى مدينة الجزائر حيث تعلّم وعلّم.

[1]-نفسه، ص283، 284

[2]- نفسه، ص283-286

ولقد كان معاصرا للداي محمد بكداش المتوفى في سنة 1710، حسب ما يتبين من كتابه "التحفة المرضية في الدولة البكداشية من بلاد الجزائر المحمية". ولقد تولى وظيفة قاضي المواريث بالجزائر، ومن بين تلاميذه، ابن حمادوش.

- **مضمون االكتاب**

بدأ المؤلّف بذكر أخبار أبي النصر محمد بكداش الشيكراني، الذي حلّ بالجزائر 1086 هـ واعتلى منصّة الحكم في سنة 1117 هـ. [1]

ولقد ختم المؤلف في هذا الكتاب أخبار فتحه لوهران بمنظومة مفتي تلمسان أبي عبد الله محمد ابن أحمد الحلفاوي. [2]

- **الورجي أحمد بن مزيان 1191 هـ/1779م**

هذا العالم هو أبو العبّاس أحمد بن مزيان الورجي، نسبة إلى قرية ورجة* ببلاد زواوة ، له مشاركة في علوم الدين واللغة، زار المشرق في طريقه لأداء فريضة الحج. قال عنه الحفناوي: "وقد تمكن في علم الأوقاف تمكّنا كليا مع الكشف التام."

وهذا يبين أنه كان رجلا صوفيا، ومما يدل على مكانته العلمية أن العالم التونسي أحمد بن مصطفى، لما زار الجزائر، ذكر أن مترجمنا كان من بين أساتذته، له كتاب في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الورثلاني في وصفه: " لم يوجد له نظير، لأنه ذكر تصاريف اللغة وحاز السبق فيها" وله أيضا " كنز الفوائد في شرح صغرى العقائد".[1].

---

[1] –فتيحة بونفيحة،الانتاج الفكري الجزائري و المخطوط في المكتبة الوطنية،بحث لنيل درجة الماجستير في علم المكتبات والتوثيق،جامعة الجزائر،1998/1999 –المخطوط رقم3329ص 450، 451

[2] –نفسه، ص451

*ورجة: قرية تبعد عن مدينة عين الحمام بحوالي 3 كلم

- **مضمون الكتاب**

في المقدمة يوضح المؤلف أسباب تأليفه هذا الكتاب ويجعلها في إعجابه الشديد بصغرى السنوسي، قبل الشروع في شرح العقيدة الصغرى، استهل المؤلف كتابه بثلاث مقدمات، الأولى في مبادئ علم الكلام، والمقدمة الثانية في معنى التوحيد، والمقدمة الثالثة في شرح كلمتي "الأزلى" و"الجواهر"[2].

- **محمد بن عبد الرحمن الأزهري القشتولي الجرجري**

أطلق على هذا العالم اسم الأزهري لأنه تابع دراساته الدينية في الأزهر الموجود في مصر، وأطلق عليه اسم القشتولي نسبة إلى كنفدارلية القبائل قشتولة التي ينحدر منها والتي أسس فيها طريقته إقوشدال وسمي أيضا الجرجري، نسبة إلى السلسلة الجبلية جرجرة. ولد ما بين 1716 و1720 وتوفي أواخر القرن 18م. ويطلق عليه أيضا اسم سيدي عبد الرحمن بوقبرين ،أي ذو قبرين، وهذا كثيرا ما وقع في بلدان المغرب، إذ لمّا يتوفي الشيخ وهو صالح، يحدث الخلاف بين أتباعه حول مكان دفن جثته وبناء الضريح له. وهذا ما حدث للعالم عبد الرحمن، إذ بوفاته في مدينة الجزائر طالب أتباعه وبني جلدته من أيت إسماعيل، قبيلته الأصلية، بالحصول على جثته، لكن بدون جدوى، فبعثوا جماعة لاستخراج جثته ودفنها في بلادهم وفعلوا ذلك، ولمّا شك سكان المدينة فيما يمكن انه حدث لقبر عالمهم، حفروا القبر، إلا أنهم وجدوا جثته كما هي. ومن هنا سمي "بوقبرين" إذ له قبر في أيت إسماعيل وآخر في مدينة الجزائر–الحامة. أسّس الطريقة الرحمانية ما بين 1765 و1775. وانتشرت في رقعة كبيرة من

---

[1] المخطوط رقم 3140، ص 444

[2] نفسه،ص444، 445

منطقة القبائل الغربية، ثم إنتشرت في مختلف مطلقها مناطق القبائل سواء الشرقية أو الغربية وامتدّت إلى الشرق والجنوب الجزائري. [1]

## - 6 –منظومة التعليم العمومي

يعتبر التعليم عمومي لأنه مفتوح ومتاح لكل المؤمنين بغير تمييز، ولأنه مجاني ليس فقط لطلاب العلم بل لكل من يطرق أبوابها سواء ضيفا أو ابن سبيل أو جاء يطلب الحماية، ومن هنا يمكن اعتبار هذه المؤسسة التعليمية اجتماعية أيضا.

وتنقسم المنظومة التعليمية إلى ثلاثة أطوار وهي:

- التعليم الأولي، من الزوايا والكتابات والمعمرات القروية (الكتاتيب)
- التعليم الابتدائي في معمرات عائلية أو عمومية
- التعليم الثانوي في زوايا ومعاهد محلية ووطنية ومغربية

معظم المؤسسات كانت تابعة للخواص، أو لعائلات مرابطية أو خاضعة لتسيير عروشي، وكل توفر الايواء والإنفاق والتعليم وتُميز برامجها مرحلتان هما:

### 1.6–التعليم الأولي

مصدره الكتاتيب والجوامع والعائلات وهو مفتوح للسن الأولي من 6 سنوات وفي بعض القرى هو اجباري حسب قوانينها.

ويتمثل برنامجه في تعليم مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن. والحجم الساعي يتوزع على الشكل التالي: 3 ساعات صباحا و3 ساعات بعد الزوال و3 ساعات بعد العصر والمغرب والعشاء. "[2].

---

1 - (JOSEF Nil) Robin,op.cit ,p 21

2– احمد ساحي،الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر، ص،233، 234

تتوقف الدراسة من مساء يوم الأربعاء إلى مساء يوم الجمعة، وبخصوص العطل هناك 15 يوما في عيد الفطر و15 يوما بعده، ونفس الشيء للعيد الأضحى، و10 أيام في عاشوراء والمجموع 70 يوما.

وتختلف مدة العطلة من قرية لأخرى، فبعضها لا تمنح العطلة إلا في فصل الخرف ولا يتجاوز مجموعها 45 يوم.

في حالة المخالفات من طرف التلاميذ يعاقبون بجذب الأذن أو الحبس في المسجد وعدم الاستفادة من العطلة. وبخصوص أجرة المعلم، فهي تأتي من اشتراكات تدفعها عائلات المتمدرسين ومصادره يوفرها تطبيق قانون القرية والزاوية، تتراوح بين 5 إلى 125 فرنك.

وتقدم القرية مساعدات من صندوق خاص أو من تبرعات الزوار.

بعد الدراسة في الطور الأول يواصل الطالب تعليمه في الطور الثاني في معمرات وزوايا القبائل أو قسنطينة وتونس و فاس والأزهر[1].

## 2.6.التعليم الثانوي

تدل المعمرة "ثيمعمّرث" على التعمير، بالصلاة والصيام والقرآن. ينتمي إليها الطالب اختياريا وهي نوعان انتسابا ومستوى:

- معمرة التعليم العام للقرآن (علوم القرآن كالقراءات، وعلوم اللغة)
- معمرة الشريعة، تشرعيث

فالمعمرة الأولى تتعلق بالتعليم العام للقرآن، تلقن القرآن وبعض شروحه والروايات أو القراءات السبع المشهورة وهي نادرة في آخر العهد في خارج منطقة الزواوة.

أما النوع الثاني والمتمثل في معمرة الشريعة، فهي تلقن فقه خليل بن إسحاق الجندي، من المختصر المشهور وشروحه من الخرشي وعبد الباقي والشيخ سالم....

---

[1]- نفسه، ص 233، 234.

- الأجرومية من ألفية ابن مالك الأندلسي
- التوحيد من ابن عاشر عبد الواحد المراكشي
- مختصر الحساب والمواريث للقاصدي المصري
- علم الفلك من السوسي وشروحه من ابن علي الشريف وعبد الكريم اليتورغي الزواوي، والوروجي وسحنون الونشريسي
- تحرير المواثيق والإنشاء و"الشعر والعروض".

يخضع الانتقال من صف إلى آخر أعلى، لامتحان الشيخ الذي يجيز الناجح، ويتم ذلك في حفلة عمومية علانية ويحتفظ المجاز بوثيقة النجاح[1].

ويظهرها كلما أراد التوظيف، تشمل على معلومات عن الشيخ وشيوخه، والعلوم التي أجيز بتدريسها.

أما بخصوص الزاوية، فيختار الإمتحان في محفل عمومي، يتم حضوره من طرف الطلبة والضيوف، وطلبة قدماء وأصدقاء الزاوية وتابعوها وأعيان.

## 3.6-طرق ومناهج التدريس

يتم الإعتماد على طرق التلقين والتحفيظ التقليدية وانعدم الاختراع والمبادرة .وتتميز المناهج بالتحجر والتكرار وجفاف المواد المدرّسة واللغة وخير مثال على ذلك استمرار تدريس نصوص من فقه ابن عاصم الأندلسي لأكثر من 3 قرون دون تجديد واستمرّ ذلك إلى سنة 1864م.

سادت مدرسة الحفظ، جيل عن جيل وأصبح النبوغ حفظا عن ظهر قلب، ولم يتماشى الفهم مع الحفظ، وعلى سبيل المثال فإن تلاوة القرآن لا يتبعه فهم لمعناه.وقلة هم أولئك الذين سمعوا علوم التاريخ والجغرافيا والأدب والعلوم الطبيعية والحياة والرياضيات.

[1]- أحمد ساحي، نفس المرجع، ص236-238

إلا أن المدرسة كوّنت جيلا محافظا، قام بنسخ العلوم التقليدية وكثر النساخ لكتاب الله منهم من نسخ 99 مصحفا، وهناك من نسخ في كل العلوم مثل الورثلاني وابن أبي داود[1]

ورغم النقائص الموجودة في مجال التعليم إلا أن هناك الكثير من الزوايا التي لا يتم تدريس الدين فحسب، وإنما تدرس علوم أخرى كاللغة والحساب وعلم الفلك والشعر، وتستعمل المساجد ليس للعبادة فقط وإنما للتدريس. ولطالب العلم والدين مكانة في المجتمع فالعلماء يوقّرون ويبجّلون وهذا ما يدل على شأن العلم في المجتمع القبائلي.

[1]- أحمد ساحي، الزواوة من القرن السادس عشرحتى الثامن عشر، ص ص 283-241.

**خاتمة**

مما سبق ذكره، يمكن أن نستخلص ونستنتج أن الثقافة في عهد مملكة كوكو كانت مشعة رغم ظروف تلك الفترة العصيبة المتمثلة في الهجمات الاسبانية واحتلال بعض المدن مثل بجاية.

فقد كانت الزوايا تستعمل لتعليم الدين الإسلامي وفي نفس الوقت لتعليم اللغة العربية والحساب وعلم الفلك وغيرها ، وبالتالي فالعلوم التي تدرس ليست علوم دينية بحتة بل هناك علوم أخرى، وكان عدد هذه الزوايا كبير، و يتعدى دورها المجال العلمي و الديني الى المجال الإجتماعي وذلك بإطعام و إيواء الطلبة و عابري السبيل و غيرهم.

وبرز العديد من العلماء مثل أبو عبد الله محمد بن ميمون الزواوي، الذين انارو الحياة الفكرية في المملكة. وهذه الثقافة رسّخت أكثر، المبادئ الإسلامية في منطقة القبائل. ووجد هناك عدة أنواع وأصناف للتعليم مثل التعليم الأولي والتعليم الثانوي، وكان طلاب العلم يتميزون بمكانة عالية في المجتمع القبائلي نظرا لأهمية العلم والمعرفة في هذا المجتمع.

# الباب الثالث:

# علاقات المملكة مع الأتراك والإسبان وآث عباس

**الفصول**

- **الفصل الأول:علاقات المملكة مع العثمانيين**
- **الفصل الثاني: علاقات المملكة مع الإسبان**
- **الفصل الثالث: علاقات المملكة مع آث عباس**

## الفصل الأول:علاقات مملكة كوكو مع العثمانيين

### تمهيد

لم تكن مملكة كوكو تعيش بمعزل عن المحيط الذي وجدت فيه، إذ كان لها علاقات مع عدة أطراف سواء في الداخل أو الخارج مثل العثمانيين و الإسبان و قلعة آث عباس، وذلك حسب ما تمليه مصلحتها، فلم تكن ثابتة، وهنا نتساءل ما هي أنماط هذه العلاقات مع العثمانيين ومميزاتها مع الإسبان وإمارة آث عباس.

**أ- أنماط العلاقات بين كوكو والعثمانيين.**

**1-علاقات التحالف وحسن الجوار.**

عندما كان أحمد أولقاضي حاكما لعنابة تابعا للدولة الحفصية، أُرسل لمساعدة الإخوة بربروس، فأسّس مملكته في سنة 1511 ثم تعاون مع عروج لتحرير بجاية في سنة 1512 وفي سنة 1513 و1514 لكن بدون جدوى، ثم تعاون معه لتحرير جيجل من الجنويين فكان لهما ذلك في سنة 1514. ومن هذه المنطقة إتجها إلى مدينة الجزائر في سنة 1516، بعد طلب حاكم مدينة الجزائر سالم التومي المساعدة من الإخوة بربروس.وفي سنة 1517 إتّجه عروج وأحمد اولقاضي إلى تلمسان لتحريرها من الإسبان.[1]

من هنا يمكن القول بأن فترة التحالف بين مملكة كوكو وأحمد أولقاضي دامت من سنة 1511 إلى سنة 1517، وهذه السنة الأخيرة قُتل فيها عروج، بعدما تركه أحمد اولقاضي لوحده، فإعتبر خير الدين ذلك مؤامرة من طرف ملك كوكو، فكان ذلك سببا لتوتّر العلاقات بين الطرفين.

---

[1]- أرزقي شويتام، إمارة كوكو 1511-1767، ص.10.

عادت فترة السلم بين الأتراك ومملكة كوكو بعد الحملة العسكرية التي شنّها خير الدين على مملكة كوكو في سنة 1529، وإستمرّ السلم بعد ذلك إلى سنة 1541.

والسؤال المطروح: لماذا توقّفت فترة السلم في سنة 1541؟ توقّف السلم في هذه السنة 1541، بسبب المؤامرة التي نسج خيوطها الملك الجديد لكوكو وهو سيدي الحسين مع شارلكان الإسباني للهجوم على مدينة الجزائر.[1] وعادت العلاقات العادية والسلم من جديد بعد الحملة العسكرية التي شنّها الأتراك على مملكة كوكو في سنة 1542.[2] واستمرّت حتى عهد اعمر اولقاضي الذي كانت علاقاته مع الإسبان حسنة، أما مع العثمانيين فقد كانت سيئّة ، وفي عهد حندّ اولقاضي إبن اعمر أولقاضي الذي عاد إلى بلده الأصلي لإسترجاع الثأر، فكان له ذلك، ثم أصبحت علاقاته مع العثمانيين حسنة.

**2- علاقات المصاهرة:**

لجأ العثمانيون إلى سياسة الليونة والإستمالة وذلك خير لهم من إستعمال القوة وما ينجرّ عنها من خراب وقتل وإنفاق للأموال. ومن هنا طلب حسن بن خير الدين يد إبنة ملك قلعة آث عباس أحمد أمقران، فرفض ثم طلب يد إبنة الملك كوكو سيدي الحسين فقبَل ذلك. وطلب صديق حسن بن خير الدين وهو علج علي يد إبنة أخ ملك كوكو.[3] وكان هدف حسن بن خير الدين تهدئة منطقة القبائل التي تمول مدينة الجزائر باليد العاملة والمحاصيل الزراعية والزيت، بالإضافة إلى تأمين الطريق الرابط بين مدينة الجزائر وبايلك الشرق. وبالتالي فإن لهذه المصاهرة فوائد سياسية وإقتصادية [4] .

---

1- (D) de Haedo, op.cit, p.63 -
2 - Idem, p.65.
3 - Idem, pp, 119-121.
4 - (S) Boulifa, op. cit,113

وتحدثنا في الباب الأول من البحث، عن تلك الإحتفالات الكبيرة التي حدثت أثناء الزفاف وكيف أصبح القبائل (الزواوة) في موقع قوّة، إذ أصبحوا يمشون بأسلحتهم في مدينة الجزائر وكثر عددهم وكانوا يتمتّعون بحرية كبيرة كأن المدينة تابعة لهم على حد قول هايدو[1].

مما سبق ذكره عن المصاهرة التي وقعت بين حسن بن خير الدين وإبنة ملك كوكو، يتبين لنا أن الزواوة إستفادوا كثيرا من تلك المصاهرة سواءا العمل أو الإحترام والتقدير.

والعثمانيون أيضا إستفادوا من إستتباب الأمن، فأصبحت المدينة نشيطة ومزدهرة أكثر من السابق بسبب اليد العاملة القبائلية ذات الكفاءة سواء في النشاط الإقتصادي أو البحرية، إذ دخل الكثير منهم في الأسطول الجزائري. وإستمرّ التحالف والتعاون بين كوكو والحكم العثماني في الجزائر، إذ في أوت 1562 شارك 12 ألف قبائلي من مملكة كوكو وقلعة آث عباس في الحملة العسكرية ضد وهران ومرسى الكبير التي تزعمها البايلرباي حسن. وفي سنة 1569 شارك 6 آلاف قبائلي في الحملة العسكرية التي تزعمها البايلرباي علج علي ضد تونس.

وفي سنة 1575 شارك ألف قبائلي من زواوة في الحملة التركية ضد المغرب.[2] تطرق المؤلف سعيد أعمر بوليفة، إلى أن فيما بين سنتي 1623-1624 إستطاع أحد أبناء اعمر أولقاضي بمساندة الأتراك أن يتخلّص من عمّه الذي تولّى الحكم في مملكة كوكو، فحلّ محلّه فأصبح ملكا.

هذا الحدث يبيّن بأن التحالف عاد بين العثمانيين ومملكة كوكو في سنة 1623، وذلك قبل وصول حند اولقاضي التونسي، ومن هنا يمكن أن يلقب بإسم الجزائري l'algéroi.

1 - (D) de Haedo, op. cit, p.121. -

2- (Jules) Liorel, op.cit. p.131 - (D) de Haedo, op.cit, p.p, 127-128.أنظر أيضا

ونفس الشيء حدث للإبن الآخر و هو حند التونسي، الذي ولد في تونس ولما علم بما حدث لوالده عاد إلى كوكو بمساعدة التونسيين لإسترجاع الثأر.[1] وكان له ذلك بعد أن تلقّى الدعم من العثمانيين.[2]

هنا يمكن القول بأن العلاقة كانت حسنة بين العثمانيين وكوكو ولكل طرف أغراض يطمح لتحقيقيها، فمن جانب حند اولقاضي الملقب التونسي نجد انه كان يطمح الى استرجاع حكم والده المقتول . ومن جانب العثمانيين، كانوا يستهدفون تهدئة المنطقة القبائلية و التوغّل في اراضيها أكثر. وما يمكن إدراكه بخصوص مملكة كوكو منذ عهد حند التونسي وخاصة في عهد الذين خلفوه في الحكم وأحفاده، أنهم قد تخلّواعن مشروع اجدادهم المتمثّل في تأسيس مملكة قوية يمكنها ان تنافس العثمانيين،بل هناك من طلب المساعدة منهم ضد أفرادعائلته [3].

### 3_ النزاعات والحروب :

بدأت العلاقات تسوء بين مملكة كوكو والعثمانيين بعد مقتل عروج في احدى المعارك التي جمعته بأبي حمو الزياني المتحالف مع القوات الاسبانية في وادي المالح بنواحي تلمسان في عام 1518، بعد ان تمّ القبض عليه وبالتالي أُعدم مع رفاقه . ويُروى ان أحمد اولقاضي الذي حضر المعركة، كان قد انسحب وعاد الى منطقة القبائل مع جيوشه . ولمّا بلغ خير الدين، الذي كان بمدينة الجزائر، نبأ وفاة أخيه عروج ، حَقَدَ على احمد اولقاضي وحمّله مسؤولية مقتل اخيه . وهكذا وقع فتور بين خير الدين واحمد اولقاضي , ووقعت حرب بين الطرفين في سهل ايسّر في سنة 1520 وانهزم فيها خير الدين وفرّ الى جيجل ثم الى جربة أمّا احمد اولقاضي فقد دخل الى مدينة الجزائر وجعلها عاصمة لمملكته حتى سنة1527 م[4].

1- (S) Boulifa, op.cit, p152,153.

2 –ارزقي شويتام،إمارة كوكو ،ص16

3 –نفسه، ص16

4 -محمد الصغير فرج، المرجع السابق،ص 29_ 31

وساءت العلاقات أيضا في عهد الملك الجديد سيدي الحسين في سنة 1541، عندما تآمر مع الاسبان للهجوم على مدينة الجزائر، إلا أن فشل حملة شارلكان وبتأثير الأحوال الجوّية المضطربة، التي كانت في صالح العثمانيين فتحطّمت معظم السفن الإسبانية في أكتوبر 1541 وفرّ شارلكان الى بجاية.

لمّا علم سيدي الحسين بفشل الحملة الإسبانية لم يغامر بالهجوم برا على مدينة الجزائر كما كان الإتفاق على ذلك مع الإسبان و اكتفى بمساعدتهم عندما فروا الى بجاية.
لمّا علم حسن آغا بما فعله سيدي الحسين شنّ عليه حملة عسكرية في شهر افريل 1542 , قِوامها ثلاثة الاف جندي وهم من الاتراك ومعهم الفين فارس من العرب والمور والف من المشاة، لكن لمّا أدرك ملك كوكو أنه لايستطيع مقاومة أعدائه، طلب السلم فقبل الاتراك ذلك مقابل دفع أموال طائلة، وعدد كبير من العجل و الجمال و الكباش وأن يدفع غرامة سنوية . وقدّم ابنه ووريثه رهينة للاتراك وعمره 15 سنة ويسمى سيدي احمد بن القاضي .

إلاّ أن هذه الاموال والغرامات لم يتعوّد أسلافه على دفعها ولم يدفعها هوّ أيضا[1].

في عهد اعمر اولقاضي، كانت هناك مراسلات بينه وإسبانيا، مثل الرسالة التي بعثها الى فيليب الثالث في سنة 1603وشرح فيها الحادثة التي وقعت للإسبان الذين نزلوا بأزفّون ، من طرف العثمانيين[2].

هذه المراسلات بين كوكو واسبانيا، إن دلّت على شيء إنما تدلّ على سوء العلاقات مع الاتراك لأن العثمانيين وإسبانيا في عداء شديد منذ القرن 16 م، وتدلّ أيضا على سوء العلاقة بين كوكو وسكانها لأن نظام الحكم في مملكة كوكو أصبح إستبداديا و مطلقا .

---

1-( F) De Haedo,op.cit ;p65

2 -( H)Genevois ,op.cit,p6

**4-علاقات التعاون:**

لما فتح صالح رايس مدينة بجاية في سنة 1555، والتي شاركته في ذلك قبائل جرجرة ومملكة كوكو، أرسل صالح باشا خطابا يعرب فيه ،أن القائد حسن قد ابلى بلاءا حسنا اثناء فتح قلعة بجاية باستخدامه المدافع و قدّم خدمة جليلة في ذلك . و بناءا على ذلك فقد أمر بتوجيه اللواء المذكور، اي لواء بجاية , 300000 اقجه. [1]

هذه الوثيقة إن دلّت على شيء فانّما تدلّ على أن العثمانيين كانوا يشجّعون من ينجز الخدمات الجليلة، مثلما هو الشان في فتح بجاية واسترجاعها من أيدي الإسبان، لكن في الوثيقة المذكورة ليس هناك إشارة الى دور مملكة كوكو و سكان منطقة القبائل ككل، رغم مشاركتهم الفعّالة في تحرير بجاية.

لمّا اصبحت العلاقات بين العثمانيين و مملكة كوكو حسنة ، منذ عهد حسن بن خير الدين الذي تزوّج بابنة ملك كوكو، كان لذلك انعكاس إيجابي ، إذ وصل الخبر الى السلطان العثماني وأصبح يبعث الأوامر الى ملك كوكو لمساندة العثمانيين الأتراك وخير مثال على ذلك الحكم الذي أصدره السلطان العثماني الى امير كوكو يدعوه فيها الى مساعدة بايلرباي الجزائر على الوجه الذي يراه هذا الاخير مناسبا لحفظ وحراسة ولاية الجزائر على مايرام .

وأمر أمير كوكو على حد تعبيره، بأن لا يتوانى عن إظهار شهامته وبسالته المتأصّلة في نفسه والتي وصفها بالشجاعة، وطلب منه ان يبدي جل إهتمامه من أجل دفع الأعداء والمعاندين، ولحفظ البلاد على الوجه الذي يراه مناسبا وأمره بأن يفعل ما يقدر عليه ويسعى مشكورا في الغيرة على دين سيّد المرسلين المبين .

---

[1]- الارشيف الوطني ، لواء بجاية،مهمة دفتري رقم 23، صحيفة 63،حكم رقم565،بتاريخ963/06/9ه

تمّ إصدار هذا الحكم في 22 شوال 981 الموافق ل 1567 م (أنظر الوثيقة التاريخية : حكم الى امير كوكو في ولاية جزائر الغرب [1]).

هذه الوثيقة التاريخية إن دلّت على شيء فانّما تدلّ على العلاقات الطيّبة بين نظام الحكم في الجزائر و مملكة كوكو، خاصة وأن هناك مصلحة مشتركة بين الطرفين وتوجد مصلحة للبلاد و العباد تتمثل في حراسة وصيانة دار الجهاد ، ولاية جزائر الغرب* و الوقوف في وجه الأعداء، وهم خاصة الإسبان والدول المسيحية الأخرى التي كانت تشن حملات بحرية على سواحل الجزائر .

وتدل هذه الوثيقة ايضا على السمعة الحسنة التي كانت تتمتّع بها مملكة كوكو في تلك الفترة، أي النصف الثاني من القرن 16، وهي المرحلة التي كانت فيها الدولة العثمانية في أوّج قوّتها و مجدها، بعد أن إستطاعت فتح مدينة القسطنطنية على يد محمد الثاني الملقّب بمحمّد الفاتح في سنة 1453.وهي بِشارة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) التي تحقّقت، وأصبحت هذه المدينة تُسمّى إلى الوقت الحالي إستانبول. ثمّ في القرن16 وفي عهد سليمان القانوني أصبحت الدولة العثمانية قوية جدا ومترامية الأطراف، و خير مثال على ذلك تحكّمها في معظم البلدان العربية مثل مصر وليبيا وتونس والجزائر .

إذن يمكن القول أن الوثيقة التاريخية المذكورة تعبّر عن الشرف والأهمية التي كانت تكتسيها مملكة كوكو وملكها في تلك الفترة . وذكرت كلمتي أمير كوكو، وهي إعتراف من السلطان العثماني نفسه بالسلطة لحاكم كوكو بأنه أمير، ولإمارته أو مملكته التي ذكرها باسمها

---

[1] -وثيقة من الارشيف الوطني، حكم الى امير(قوق)كوكو، مهمّة دفتري رقم23، صحيفة294، حكم رقم633.

* جزائر الغرب: هي بلاد الجزائر المعروفة حاليا، سميت كذلك تمييزا عن الجزائر الموجودة في العراق في تلك الفترة.

كوكو . والهدف من الأمر الذي أصدره السلطان العثماني هو أن يساعد الملك كوكو العثمانيين ضد الأعداء الذين سبق لهم وأن سيطروا على بعض مدن الجزائر مثل وهران وبجاية وعنابة وهم الإسبان ، وضد الدول الاوروبية الأخرى التي تتحيّن الفرص للاستيلاء على البلاد.

وحسب هذه الوثيقة دائما، فإن هذا الامر أُصدر إلى أمير عباس و المقصود به أمير قلعة آث عباس* وهذه المملكة أيضا إعترف بها السلطان العثماني وبالتالي لها شرف و أهمية مثل مملكة كوكو.

بعد شهرين من الأمر الذي أصدره السلطان العثماني إلى أمير كوكو في 18/ 12 / 981 هـ أي 18 ذو الحجة 981 هـ الموافق لسنة 1567 م . أصدر السلطان العثماني حكم آخر إلى أمير كوكو، أشار فيه إلى الحكم والأمر الذي تمّ إصداره في شوال 981 هـ بشأن معاونة ومساعدة أمير كوكو لأمير أمراء الجزائر أي بايلرباي ، فيما يتعلّق بالحفاظ على الولاية وكذلك في كافة الأمور الخاصة بالدين المبين لسيد المرسلين وأن ذلك الأمر لايزال مُقرا كما كان عليه .

وأشار إلى أمير كوكو، أن يبذل مايستطيع ويقدر عليه في كل الأمور التي تتعلّق بالمحافظة على البلاد وتطرّق إلى إرسال الأسطول العثماني لإسترجاع مدينة تونس بعد أن إستولى عليها أسطول الكفّار وهو الأسطول الإسباني .

* – إمارة أسّسها عبد الرحمان , تقع في سلسلة البيبان ، يحدّها من الشمال منطقة بني عيدل ويليها من الشرق والجنوب الشرقي كل من قبيلة اولاد نايل وسهل مجانة، أما من الغرب منطقتي تازمالت وبني منصور، ومن الجنوب جبل مزينة وونوغة – انظر نبيل بومولة،المرجع السابق،ص80 ،24

وبناءا على هذه الأحداث، طلب السلطان العثماني من أمير كوكو تأمين القدر الكافي من الذخيرة للعساكر أي للجنود، وإعداد ما يمكن إعداده من العساكر لأجل إلتحاقهم معهم بالأسطول الهامايوني أي السلطاني. وذكر السلطان العثماني أنّه صدرت أحكام شريفة بهذا الشأن إلى أمير أمراء الجزائر أي إلى بايلرباي الجزائر، وأمر في النهاية أمير كوكو بإظهار مساعيه الجميلة لمساعدة بايلرباي الجزائر في الأمور التي طُلبت منه [1].

مما سبق ذكره عن الحكم و الأمر الصادر عن السلطان العثماني، يتبيّن لنا أن هذا الأخير أظهر إهتمامه بأمير كوكو، وذكّره بالأمر الصادر قبل شهرين، أنّه ساري المفعول أي ليس خاصا ببضعة أيام فقط ، وذلك بمساعدة بايلرباي الجزائر لحفظ الأمن في الولاية و كذلك في كافة الأمور المتعلّقة بالدين المببين . فلو لم تكن له قوّة يملكها أمير كوكو لما أرسل إليه أمر، إذن هذا الحكم وللمرة الثانية يدل على أهمية و مكانة مملكة كوكو في الجزائر وخارجها. لأن الأمر يتعلق بالسلطان العثماني ومن جهة أخرى تدلّ الرسالة والأمر على الإرتباط الشديد الذي يتميّز به السلطان العثماني بالدين الإسلامي، فكان يسمي الجزائر دار الجهاد، ومحاربة الأعداء بمثابة جهاد ، وهو ذات أهمية كبرى في الإسلام .

وأمر السلطان العثماني أمير كوكو ببذل قصارى جهده في جل الأمور المتعلقة بالمحافظة على البلاد، وتوفير السلاح للعساكر أي للجنود وإعداد الجنود للإلتحاق بالأسطول الهمايوني أي السلطاني، مثلما هو الشأن بهذا الخصوص فقد صدرت أحكام شريفة بهذا الخصوص إلى بايلرباي الجزائر. وطلب من أمير كوكو إظهار قدراته وشجاعته لمساعدة أمير أمراء الجزائر. وكل هذه التحضيرات تهدف إلى إسترجاع مدينة تونس من الأسطول الإسباني الذي وصفه السلطان العثماني بأسطول الكفار، وأضاف إلى ذلك دعاء وهو: خذله الله، وهذه

[1] – وثيقة من الأرشيف الوطني،حكم الى امير(قوق)كوكو، مهمة دفتري رقم 23، صحيفة 349، حكم رقم 783 .

المصطلحات تدلّ على أن الحروب الصليبية عادت في تلك الفترة بين الدولة العثمانية التي حملت لواء الخلافة الإسلامية والتي إستطاعت فتح عاصمة بيزنطة وهي القسطنطينية في سنة 1453 والتي أصبحت تدافع عن مصالح الإسلام والمسلمين في العالم. ومن جهة أخرى هناك إسبانيا وهي البنت البكر للمسيحية والتي طردت المسلمين من الأندلس وأسقطت مدينة غرناطة في سنة 1492 م آخر معقل للمسلمين في إسبانيا، وإتّبعت سياسة الهجوم بدلا عن الدفاع.

ويتبيّن من خلال هذه الوثيقة التاريخية المتضمنة حكم إلى أمير كوكو، أن مملكة كوكو ليست مجرد مبالغة في الوصف، وإنّما هي واقع وأصبح لها دور ليس محليا فقط في الجزائر وإنّما حتى خارجيا، إذ طلب السلطان من أمير كوكو الإلتحاق بجنوده مع جنود أمير أمراء الجزائر لتحرير مدينة تونس من أيدي الإسبان.

وهناك أحداث أخرى تدلّ على دور سكان ورجال كوكو في الأحداث الإقليمية، مثلما هو الشأن في الحملات العسكرية التي شنّها الأتراك، ففي سنة 1569 شارك 6000 قبائلي في حملة بايلرباي الجزائر علج علي على تونس، وهناك حملات على المغرب الأقصى، ومنها مدينة فاس، من أجل مساعدة طرف ضد طرف آخر، ولمّا أعجب المغاربة بشجاعة وخصال القبائل(الزواوة) طلبوا منهم الإستقرار هناك، مثلما حدث في سنة 1575 عندما شاركوا في الحملة ضد المغرب[1].

وأصبح إدراج العنصر القبائلي في جيوش البر والبحر، مثلما كانت تفعله قرطاجة في القديم، جعل العثمانيين أكثر هيبة. وأصبح الأسطول العثماني في الجزائر أكثر تطوّرا بإنضمام منطقة القبائل إلى البحرية وذلك بواسطة اليد العاملة أي المقوّمات البشرية .

ويجب أن نذكر حقيقة هامة لا يعرفها الكثير، وهي أن السفن التي تبحر من جيجل وبجاية، كان طاقمها من القبائل، وكانوا يُعرفون بتحمّل الصعاب، فكانت البحرية الجزائرية

---

1- ( J)Liorel,op.cit,p131

تزخر بأعداد كبيرة من رجال القبائل، والدليل على ذلك تبادل الأسرى بين الجزائر وإسبانيا في سنة 1767، إذ أن معظم الذين أُطلق سراحهم جاؤوا من منطقة القبائل، ثمّ تمّ القبض عليهم في عرض البحار.

وبالإضافة إلى ذلك، كانت منطقة القبائل تزخر بالثروة الخشبية، خاصة في غابة تامقوت في آث جناد، فعن طريق آث القاضي أي العائلة الحاكمة في مملكة كوكو، كانت هذه الثروة الخشبية تُرسل إلى ورشات بناء السفن في مدينة الجزائر وبجاية [1].

فبواسطة آث القاضي أي ملوك كوكو، فإن إستغلال هذه الغابة من طرف العثمانيين قد يرجع إلى عهد خير الدين بربروس وهو الأول الذي سمح بإمتداد وإتّساع ورشّات بناء السفن في جيجل وشرشال. هذين الmينائَين القبائليين تمتّعا لمدة طويلة بصيت وشهرة سمحت لهما ببلوغ درجة كبيرة وعالية من الإزدهار، بفضل هذه الصناعة. فمنهما تَبحر السفن، بالإضافة إلى الموقع الجغرافي لكل منهما اللذان يسمحان بالمراقبة واللجوء في البحر الأبيض المتوسط. ويعتبران أيضا عشّين للجهاد، ليس كما كتب المؤلّف سعيد بوليفة، عشّين للقرصنة لأنّ هناك فرق بين المصطلحين "الجهاد" و"القرصنة"، فالأول يدخل في الجانب الديني للمسلمين و هو دفاع عن النفس، والثاني إعتداء على سفن الدول الأخرى بدون سبب، بل من أجل الإكتساب فقط فهو إعتداء، وهذا ما فعلته الدول الأوروبية وخاصة إسبانيا التي طردت المسلمين من أراضيها ثمّ توسّعت على حساب دول شمال إفريقيا، وهي التي بدأت بتهديد سفن دول شمال إفريقيا. فكان رد فعل هذه الدول الدفاع على سواحلها وأراضيها، مثلما فعله الإخوة بربروس، ثم إنتقل هذا الفعل إلى الهجوم، لأن أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم، كما يقال. ومهما يكن الأمر، فإن هذين العشّين أي المينائَين يعتبران من بين الموانئ التي تخشاها أكثر البحّارة الأوروبية[2].

1 - (S)Boulifa,op.cit,pp 116,182,183
2 - Idem, p.117 .

## ب- سياسة العثمانيين في منطقة القبائل الغربية

نظرا لأهمية موقع منطقة القبائل إهتمّ العثمانيون كثيرا بهذه المنطقة، إذ أنها تتوسّط بايلك الشرق بدار السلطان وبالتالي فإن الكثير من مصالحهم مرتبطة بهذه المنطقة، ومن هنا إتّبع العثمانيون مختلف الوسائل للتحكم فيها ومنها:

### 1- بناء الأبراج

قام العثمانيون ببناء بعض الأبراج في المناطق الحسّاسة من منطقة القبائل[1] ومنها: برجي سيباو وبوغني، شيّدهما علي خوجة الذي إشتُهر بأنه كان مشيّدا كبيرا، كما قام بتوسيع وتحصين مركز المراقبة القديم بتيزي وزو الذي صار يدعى برج تيزي وزو، وأقام فيها ثكنة مزوّدة ببعض المدافع[2]، وبالإضافة إلى ذلك شيّد العثمانيون برج بوغني، وبرج تيزي وزو، وبرج دلّس وبرج منايل. وكان الهدف منها فرض الرقابة على تحرّكات السكان، وضمان عملية الإتّصال من مختلف المناطق، خاصة بين بايلك الشرق ودار السلطان، وقد نصّب العثمانيون هذه الأبراج في سفوح الجبال والمناطق السهلية الزراعية وذلك بهدف إستغلال هذه الأراضي الضيّقة، التي تعتبر المصدر الأساسي لمعيشة السكان، وبالتحكم في هذا المصدر سيضطرّ السكان إلى الخضوع للإدارة العثمانية، وكان رد فعل سكان هذه المناطق الإنسحاب من أراضيها السهلية والإستقرار في المناطق الجبلية، فرارا من دفع الضرائب [3].

وكان موقف السكان من بناء البروج، عدم الرضى بها وبالتالي الهجوم على بعضها مستغِلّة بعض الظروف، مثلما حدث في سنة 1755 وقعت معركة في ضواحي بوغني، بين

---

1 - أرزقي شويتام، امارة كوكو ،ص21 .

2 - محمد الصغير فرج، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، تعريب موسى زمولي، منشورات ثالة، الجزائر ،2007، ص38

3 - أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص.21.

رجال من آث إيراثن والباي محمد المدعو الذبّاح، نظرا للمجازر التي إرتكبها في حق بعض القبائل المستقلة.

وإستطاعوا قتل الباي، وإستغلوا الفرصة فإستولوا على برج بوغني وأحرقوه وإنتقموا مما فعله الباي في حق بعض القبائل، ويعتبر هذا الحدث إحدى الحلقات المجيدة في تاريخ القبيلة [1].

وبخصوص واقع منطقة القبائل الغربية، كانت تنقسم إلى جزئين مختلفين يحتل الجزء الأول أو السفلي المنطقة الممتدة ما بين وادي يسر شرقا وحوض سيباو غربا، وهي منطقة خاضعة للإدارة العثمانية وبمرور الوقت حوّلتها إلى قبائل المخزن، كانت مطالبة بتوفير بعض الخدمات البشرية والمادية للعثمانيين عندما يشنّون الحملات العسكرية في الأرياف لجمع الضرائب ووضع حد لحركات التمرّد، أما الجزء الثاني أو العلوي فإنه يتمثل في المنطقة الجبلية وكانت تتمتّع بالإستقلال عن الإدارة العثمانية، هذا ما جعل الأتراك يقومون بهجمات عسكرية ضدّها من أجل إخضاعها، وإن لم يتمكنوا من ذلك يرغمونها على دفع ضريبة ضئيلة، تعدّ رمزا للتبعية لهم.

بخصوص الحاميات العسكرية في الأبراج، فإنها لم تخضع القبائل الجبلية، التي حافظت على تنظيماتها التقليدية المتمثلة في "تجماعث" "tajmaΣt" والقبيلة "lΣerc"، والقرية "taddart" والخروبة "taxerrubt" والأسرة "tawacult"، ومن بين أسباب عدم نجاح الأبراج في تجسيد أهدافها، نذكر قلّة عدد جنود العثمانيين الموجودين فيها، إذ لم يكن عدد أفراد الحامية الواحدة في كل برج يتجاوز سفرتين، علما أن عدد الجنود في السفرة الواحدة لم يكن يتجاوز عشرين نفرا، ورغم إعتماد العثمانيون على قبائل المخزن، إلا أن الأبراج كانت تتعرّض للتّخريب في

1 - (s) Boulifa, op.cit. p.177 .

العديد من المرات، فكلما ثارت القبائل الجبلية، إلاّ وهاجمت تلك الأبراج[1] مثلما حدث لبرج بوغني الذي خُرّب المرة الأولى في 1756 بعد ثورة عارمة من طرف القبائل المجاورة[2] وإستمرّت هذه الأعمال إلى عهد يحي آغا في مطلع القرن 19 الذي رمّم برج بوغني بعد أن خرّبته قبائل قشتولة [3].

ممّا سبق ذكره، يمكن القول أن الأبراج التي شيّدها الأتراك إستطاعت أن تتحكّم في المناطق السهلية، أما المناطق الجبلية فقد عجزت عن إخضاعها، وقد ساعدت التضاريس الوعرة صعبة المسالك هذه المناطق مثل موقع مملكة كوكو، والدليل على هذا بعض الأبراج التي تعرّضت للتّخريب مثل برج بوغني، وبرج تزاغارت.

## 2- إنشاء قبائل المخزن

أنشأ العثمانيون قبائل مخزنية، قصد تدعيم حامياتهم، لأن عدد الجنود المرابطين في الأبراج العسكرية المقيمة ببلاد الزواوة قليل، وقد إعتمد العثمانيون في إخضاعهم لأحواض بلاد القبائل مثل ايسّر، وسيباو، وبوغني، على عدد من القبائل، لاسيما قبائل قشتولة التي كانت تشكل رعية حوض بوغني، وقبائل نزليوة في المناطق العالية من وادي سيباو.

كان رجال نزليوة يشكّلون فرق الفرسان الخاضعة لقائد برج بوغني، وتعتبر قبائل نزليوة غير خاضعة نهائيا للعثمانيين. فقد كانت تتمرّد لمّا تتاح لها الفرصة، هذا ما جعل نظام الحكم العثماني في الجزائر يشنّ ضدها حملات عسكرية. ومنها الحملة التي تمّ شنّها في سنة 1800م، وذلك من طرف باي التيطري، نظرا لإقدام بعض أفرادها على نهب بعض المسافرين

---

1–أرزقي شويتام، امارة كوكو، ص22،21.

2- (Josef) Nil Robin, *la grande kabylie sous le régime turc*, ed, l'Artisan, Alger, sans l'année d'édition, p.15.

3– أرزقي شويتام، المرجع السابق، ص22.

في منطقة بني عائشة. فكان العقاب شديدا، إذ أسفرت الحملة عن قطع 30 رأسا من رجال نزليوة. وأرسل العثمانيون حملة ثانية ضد نزليوة بزعامة يحي آغا، الذي أعاد ترميم برج بوغني بعد أن هدّمته قبائل قشتولة. وأخضع قبائل نزليوة للإدارة العثمانية، وجعلها قبائل مخزنية، فأصبح رجالها يشكّلون فرقة الزمّالة التي كُلّفت بتدعيم الحامية العسكرية في برج بوغني، والعمل على إخماد حركات التمرّد في المنطقة، حيث تحوّلت قبائل نزليوة إلى قبائل مخزنية [1].

يغلب على قبائل المخزن الطّابع الفلاحي، ومن بين هذه القبائل نجد القبائل المحلّية العريقة، وهي تحتلّ أراضي خصبة في المناطق التلّية أو القريبة من المدن منذ أقدم العصور. وقد جعلها موقعها عرضة للحملات العسكرية.[2]

ولهذا السبب إختارت منذ البداية، التعامل مع العثمانيين، للإحتفاظ على أراضيها والإستفادة من بعض الإمتيازات، وجمع الضرائب وكان دورها توفير الرجال وتدعيم الإدارة والمحلّة العسكرية.

وهناك صنف من قبائل المخزن، يتشكّل من القبائل الممتنعة أو المستقلّة أدخلت بالقوة إلى صنف قبائل المخزن، لكنها كلما شعرت بضعف الإدارة تقوم بالعصيان وتنفلت عن صفتها المخزنية، وخير مثال على هذه القبائل نذكر قبائل نزليوة في أعالي ايسر، فكان رجالها يشكّلون فرق الصبايحية، التي وضعت تحت قيادة برج بوغني، فكانت تتميّز بالإنتفاضات التي تشعلها، هذا ما دفع الحكم العثماني في الجزائر يشنّ حملات عسكرية ضدها عدة مرات. وكان أشدّها

[1] – أرزقي شويتام، إمارة كوكو، ص22،23

[2] – أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وتفاعلاته في العهد العثماني، دار الكتاب العربي للطباعة، 2009، ص234–236.

تلك التي أرسلت ضدها في سنة 1800، إثر إعتداء بعض أفرادها على المسافرين في بني عائشة، وإستطاع يحي آغا إخضاعها وحوّلها إلى قبائل مخزنية.[1]

### 3- الحملات العسكرية

كان الحكام العثمانيون يشنّون حملات عسكرية على كل من يحاول الخروج عن طاعتهم، كما حدث ذلك مع مملكة كوكو وآث عباس. وكانت البداية بتلك الحرب التي نشبت بين أحمد بن القاضي وخير الدين في سنة 1520[2] والحملة التي أرسلها لمعاقبة أخ أحمد أولقاضي الذي قتل، وهذا الحاكم الجديد هو سيدي الحسين، وكان ذلك في سنة 1529 وإنتهت بإبرام إتفاق سلم بين الطرفين.[3]

### 4- الإستعانة بالقوى الدينية (المرابطون وشيوخ الزوايا)

إعتمد العثمانيون منذ إستقرارهم بالجزائر على المرابطين والشيوخ كهمزة وصل بينهم وبين السكان، لمّا تفطّنوا لنفوذ القوى التي يتمتّع به هؤلاء، حتى أصبحت هذه الوسيلة من مميزات السياسة العثمانية في الجزائر طيلة حكمهم في الجزائر، هذا ما يؤكدّه حمدان خوجة في كتابه المرآة.[4]

وعلى الرغم من عدم وجود قانون يُسوّون به خلافاتهم، ويكبحون به جماحهم، وعلى الرغم من أنهم لا يقبلون الخضوع لأي سلطان، فإن طاعتهم للمرابط طاعة لا يمكن تفسيرها." هذا ما جعل الحكم العثماني يتقرّب منهم وينال وُدّهم وفرضوا على أنفسهم إحترامهم، بغرض جذب هذه القوى، فجعلتها سندا قويا ووسيلة مهمّة للمرور عبر دار السلطان، وبايلك الشرق. ولا

---

[1] - نفس المرجع، ص236.

[2]-(S) Boulifa, op.cit.pp.84.85

[3] - Idem, pp.88-89 .

[4] - نبيل بومولة، المرجع السابق، 2013، ص96.

يمكن للسلطات العثمانية المرور بجبال البيبان وجرجرة دون أخذ ضمانات وحماية المرابطين المؤثرين في المنطقة.

ولم يستطع العثمانيون من الدخول إلى المنطقة إلا بموافقة المرابطين، كما إستعمل العثمانيون المرابطين وشيوخ الزوايا أثناء الثورات ضد الحكم، فكانت السلطة العثمانية تمنح لهؤلاء الشيوخ والمرابطين إمتيازات هامة مثل بناء المساجد ومنحهم الهبات والأراضي الزراعية لزواياهم وإصدار الضمانات، خاصة لمرابطي المناطق الجبلية.

وفي بعض الأحيان يتدخل المرابطون لفتح الطريق الرابط بين بايلك الشرق ودار السلطان الذي تغلقه بعض القبائل الثائرة والممتنعة، لكن في عهد أعمر اولقاضي وأصبح المرابطون يحرّضون السكان ضد حكم مملكة كوكو، نظرا لإستبدادها.[1]

**5- إتباع سياسة فرّق تسد**

بذل أمراء كوكو جهودهم منذ تأسيس مملكتهم، من أجل جعل قلعة آث عباس تحت سلطتهم، ولهذه الأسباب توتّرت وساءت العلاقات بين الطرفين، وزاد الطين بلّة بظهور الإسبان والعثمانيين في المنطقة في بداية القرن 16م. وأصبحوا يتدخلون في شؤون الإمارتين.

وخير مثال على ذلك، تلك العلاقة الودّية التي قام بها خير الدين مع أمير إمارة آث عباس، عندما غادر مدينة الجزائر في سنة 1520 وإستقرّ في جيجل، ولمّا عاد خير الدين دعّمته إمارة آث عباس بالآلاف من الرجال.[2]

---

[1] نفسه، ص، 98.97.

[2] – أرزقي شويتام، إمارة كوكو، ص ص، 13-14، 19-20

في تلك الأثناء تقرّب أمراء كوكو من الإسبان[1] مثلما حدث في حملة شارلكان 1541 على مدينة الجزائر، إذ كان هناك مخطّط بين شارلكان وأمير كوكو سيدي الحسين للإستلاء على مدينة الجزائر، الأول بحرا والثاني برا.[2]

وفي فترة أخرى، إستطاع الأتراك ربط علاقات ودّية مع كوكو خاصة لما رفض أمير آث عباس تزويج إبنته لحسن بن خير الدين، فطلب يد إبنة ملك كوكو، فقبَل هذا الأخير وتمّ الزواج في سنة 1561.[3] وقبل ذلك، في سنة 1555 ساهمت مملكة كوكو في تحرير مدينة بجاية من الإسبان. وقبل ذلك في سنة 1559 شاركت كوكو في حملة حسن بن خير الدين على قلعة آث عباس والتي تمخّض عنها القضاء على أمير القلعة الشيخ عبد العزيز.[4]

وكلّما تحسّنت العلاقات بين العثمانيين ومملكة كوكو، ساءت علاقة هؤلاء مع قلعة آث عباس والعكس صحيح، فكان المستفيد الأكبر من الصراع القائم بين المملكتين هم العثمانيون، الذين عرفوا كيف يحافظون بواسطة سياسة الصفوف المتّبعة على التوازن في منطقة القبائل، ومنع تجسيد الوحدة بين المملكتين، والإحالة دون تكوين قوّة محلية تستطيع تحقيق مصالحها على حساب العثمانيين.[5]

1 - نفسه، ص.20.

2 - Boulifa, op.cit.p.97.(S)

3 - أرزقي شويتام،إمارة كوكو. ص.20. انظر ايضا

- Boulifa,op.cit , pp.112.113

4 - زيد بن قاسمي، قيادة سيباو، 1132هـ/1720م-1247هـ/1857م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر،2006، ص.48.

5 - أرزقي شويتام،إمارة كوكو، ص.20.

### 6- إتباع سياسة المصاهرة

حاول العثمانيون إستعمال وسيلة أخرى للتحالف وهي المرأة، وذلك لتحقيق أهداف سياسية، فكانت المحاولة الأولى مع قلعة آث عباس، إذ بعودة حسن بن خير الدين من مستغانم في سنة 1558م منتصرا على الإسبان، عمل هذا البايلرباي على التصالح مع أمير القلعة عبد العزيز، لكن هذا الأخير لم يقبل بذلك وأكثر من ذلك رفض أيضا طلب الزواج[1] من إبنته التي يقال عنها أنها فائقة الجمال.

وكان رد أمير آث عباس على حسن باشا على النحو التالي: "إن البلاد ليست تركية حتى أناسبك". وكان قصد حسن من هذه المصاهرة، منع عبد العزيز من تحقيق مملكة كبيرة، والخضوع له لكونه أصبح صهرا له، وبالتالي لم ينجح في إستمالة آث عباس بهذه العلاقة، ويعتبر هذا إهانة في نظر الأتراك، إذ كيف بأمير بسيط، حسب نظرة العثمانيين ، يتولّى شؤون منطقة صغيرة مثل قلعة آث عباس يرفض مصاهرة البايلرباي؟ هذا ما لم يتقبله حسن باشا والعثمانيين، فكان ذلك سببا في شن حملة ثانية على القلعة وإنتهت بمقتل الأمير عبد العزيز.[2] ولحفظ ماء الوجه، طلب حسن باشا يد إبنة أمير كوكو، فكان له ذلك في سنة 1561، وكانت أيضا جميلة جدا، وأرسل حسن باشا من أجل المجيء بالأميرتين، لأن أحد أصدقاء حسن وهو علج علي، طلب أيضا يد إبنة أخ ملك كوكو لإبنه، فكان الرد إيجابيا وبالتالي كان حفل الزفاف كبير جدا، وذلك بواسطة العديد من الفرسان الذين أتوا بالأميرتين وإستقبلهم حسن كما ينبغي [3].

---

[1] - نبيل بومولة، نفس المرجع، ص.110.

[2] - نفسه، ص.111.

[2]- De Haedo, op.cit, pp.119.121 .

نفهم من علاقة المصاهرة أن الأتراك يريدون إيجاد حليف في منطقة القبائل لكي يحقّقوا بالزواج والسلم ما لم يحققوه بالنار والحديد والقتل والعنف، وهو أن تصبح منطقة القبائل مسالمة أو على الأقل محايدة تجاههم، لكي يمرون عبر طرقاتهم بالأمن ولإستغلال الثروة الخشبية، التي هم بأمس الحاجة إليها لبناء السفن ولإستغلال المقومات البشرية، إذ أن سكان المنطقة يتميّزون بالكفاءة في الفلاحة والصناعة والمجال البحري إذ أن الكثير من رجال البحرية العثمانية يعمل فيها العنصر القبائلي المتميز بالشجاعة، ومن جهة أخرى بواسطة المصاهرة ستصبح إحدى المملكتين التي تقبل هذه العلاقة حليفا قويا، يستعمله العثمانيون في حملاتهم العسكرية مثلما حدث في سنة 1590 عندما شن الأتراك حملتهم العسكرية ضد القلعة بمساعدة مملكة كوكو.

## خاتمة

بعد التطرّق إلى مختلف الطرق والوسائل التي إستعملها العثمانيون تجاه منطقة القبائل الغربية ، يتبيّن لنا أن هؤلاء الأتراك إتبعوا سياسة المرونة، فعندما يرون ضرورة إستعمال القوة يستخدمونها، وعندما يرون ضرورة التفرقة وإثارة النزاع والحساسية بين مختلف المناطق والقبائل يلجؤون إلى ذلك.

بإختصار فإن الظروف هي التي كانت تملي على العثمانيين نوع السياسة والوسيلة التي يجب إتباعها، ومن هنا يتبين لنا أنهم إتّبعوا سياسات متنوّعة بين القوّة والإغراء والسلم كالمصاهرة.

وكانت العلاقات متذبذبة، تارة تكون حسنة وتارة سيّئة وذلك حسب المصالح المتبادلة بين الطرفين، ونظرا للأهمية الإستراتيجية للمنطقة نجد العثمانيون يتقرّبون في كثير من الأحيان من ملوك كوكو لكسب ودّهم.

## الفصل الثاني: علاقات مملكة كوكو مع الإسبان.

### تمهيد

مرت العلاقات بين مملكة كوكو والإسبان بعدة مراحل وأنماط، ففي بداية تأسيس المملكة كانت العلاقات سيّئة للغاية وهذا أمر طبيعي، نظرا لسيطرة إسبانيا على عدة مناطق من الجزائر مثل وهران وبجاية وعنابة إلخ. ثم تغيّرت العلاقات بين الطرفين بسبب مصلحة كل طرف، ومن هنا نتساءل: ما هي أنماط العلاقات التي ربطت بين الطرفين؟

### 1- النزاعات بين الطرفين

منذ إحتلال إسبانيا لمدينة بجاية في سنة 1510، أظهر آث القاضي بزعامة أحمد اولقاضي عداوتهم للإسبان، إذ تعاون مع العثمانيين و على رأسهم عروج وخير الدين.[1] ، لتحرير هذه المدينة خلال سنوات 1512 و1513 و1514 بثلاث محاولات، إلا أنها باءت بالفشل.[2]

وفي سنة 1514 بعد فشل تحرير مدينة بجاية من السيطرة الإسبانية، إتّجه عروج وأحمد أولقاضي نحو جيجل لتحريرها من الجنويين، وتمكّنوا من تحقيق أهدافها.

وفي سنة 1516 أرسل سالم التومي، وهو حاكم مدينة الجزائر، إلى عروج طالبا المساعدة ، من أجل تحرير حصن البنيون الذي كان في قبضة الإسبان، ويعتبر تهديدا كبيرا لأمن المدينة وسكانها.

1-S. Outmani, *« le royaume de koukou et ses relations avec les principaux pouvons politiques- présent en kabylie »* in ¨actes journée d'études sur: le royaume de koukou¨, pp37.38 .

2 – أرزقي شويتام، إمارة كوكو، ص.10.

وبعد التفاهم بين عروج وأحمد اولقاضي على التخطيط الملائم، إتّجه عروج عبر البحر نحو مدينة الجزائر، أما أحمد اولقاضي إتبع طريق البر، إلا أن المتحالفين لم يتمكنا من تحرير البنيون من السيطرة الإسبانية وشارك أحمد اولقاضي إلى جانب عروج في حملته لتحرير تلمسان من الإسبان[1].

إلا أنه ترك عروج لوحده،ممماأدى إلى مقتل عروج[2] لكن المهم ممّا ذكرناه، أن مملكة كوكو بزعامة حاكمها أحمد اولقاضي كانت ضد الإسبان منذ تأسيسها في سنة 1511، وهذا أمر طبيعي، نظرا لإحتلال إسبانيا لعدة مدن جزائرية مثل بجاية وعنابة، وبالتالي هناك غيرة على الوطن خاصة وأن الأعداء مسيحيون.

**2- محاولات التحالف**

**أ- محاولة التحالف مع شارلكان ضد العثمانيين**

مرّت عدة محاولات من أجل التحالف بين مملكة كوكو والإسبان، مثلما هو الشأن في عهد الملك سيدي الحسين الذي تحالف عن طريق إبن الملك السابق لبجاية وهو عبد الله مع الإسبان بواسطة الإمبراطور شارلكان.

إتّفق الطرفان للهجوم على مدينة الجزائر، وأبدى سيدي الحسين إستعداده في الهجوم والسيطرة على مدينة الجزائر بجيش قوامه ألفين من المشاة والعديد من الفرسان، وصمّم على المرور بفج بني عائشة ومتيجة والتوغّل في المدينة عن طريق مرتفعات الساحل.

أمّا شارلكان فقد خرج يوم 18 أكتوبر 1541 على رأس جيش قوامه 30 ألف جندي ونزل في الضفة اليسرى لوادي الحراش[3] في 23 أكتوبر 1541،[4] وكادوا أن يحقّقوا النصر

1- (S)Boulifa,op.cit,pp64,65.
2-Idem,p82
3-(H) Genevois,op.cit,p12.
4- (S)Boulifa,op.cit,p 96.

لولا العاصفة القوية التي إستمرت يومين في 24 و25 أكتوبر 1541، والتي أدّت إلى إغراق الكثير من سفن التموين وحاملات الجنود، وهذا ما كان في صالح العثمانيين إذ إستبسلوا في الدفاع ثم الهجوم على الأعداء مما أدى بالإسبان إلى الإنسحاب.[1]

ولمّا سمع سيدي الحسين ملك كوكو بأخبار الحملة وإنهزام الإسبان، عاد إلى مملكته بعدما خرج بجنوده، وحسب هايدو فإن ملك كوكو ساعد بالمؤونة، الإسبان الذين إتجهوا إلى مدينة بجاية .[2]

من هنا يتبين لنا أن مملكة كوكو في عهد سيدي الحسين إلتجأت للتحالف مع الإسبان، رغم إختلاف الدين معهم ورغم عدائهم للمسلمين، وهذا يمكن تفسيره بأنها أرادت إستغلال الظروف السائدة في تلك الفترة والعداء الشديد الذي كان سائدا بين الإسبان، الذين إستولوا على بعض المناطق من البلاد، والإخوة بربروس اللذين كانا يريدان تحرير البلاد، وبسبب النزاعات التي وقعت بين العثمانيين وكوكو ما بين 1520 و1527، أراد سيدي الحسين ملك كوكو أن يعمل بمقولة عدوّ العدوّ صديق، لكنّه لم يدرك خطورة ما أقبل عليه، إذ لو قدر الله للإسبان أن ينتصروا على العثمانيين، وإحتلال كل البلاد، لكُتبت صفحة أخرى من تاريخ الجزائر، ولما ميّزوا بين كوكو وباقي مناطق البلاد، لأن هدف الإسبان كان يتمثّل في إحتلال الجزائر والإنتقام ممّا فعله أسلافنا المسلمون في الأندلس.

توجد رسالة بعثها ملك كوكو محمد بن محمد القاضي إلى الإمبراطور الإسباني شارلكان في ديسمبر 1543، لكن حسب ما ورد من طرف بعض المؤلفين مثل سعيد بوليفة، فإن الملك الذي خلف أحمد أولقاضي هو أخوه سيدي الحسين وليس محمد بن محمد القاضي، وبإستغلال

[1] - De haedo, op.cit, p.63p.

2- Idem, p.65

هذه الوثيقة، يمكننا أن نثبت صحة ما ورد في الرسالة، إلا إذا كان سيدي الحسين قد حكم لمدة قصيرة ثم خلفه محمد بن محمد.

وبخصوص مضمون الرسالة، فقد إستهلّها ملك كوكو بمدح شارلكان و ذكره بصفات حميدة، وبالعظمة والسمو مثل: البطل والباسل وصاحب الشهامة والشجاع، وسيّد ملوك الزمان، وهذه فقرة من تلك الرسالة تثبت ذلك: "... ورسالة خص بها الملك الإمام والسلطان الفاضل الهمام، والمرتضى لأيالة الأنام، البطل الشمام، الباسل الضرغام، صاحب الشهامة والإقدام، الأمضى السامي الشجاع، الحامي البطل، الكامل الأحفل، تاج الملوك الكبراء، وفخر السلاطين الأمراء، الأمجد الأنجد المعلوم بالجلالة والعفاف، المعدود في فضلاء الملوك الأشراف، ملك البرين وحائز حكم البحرين، سيد ملوك الزمان.."[1].

ما يمكن ملاحظته هو الإكثار من مدح الإمبراطور شارلكان، والمبالغة في ذلك، وبدون شك كان الهدف من ذلك أن ينال رضاه والوصول إلى مبتغاه بالإتّفاق معه على ما يريد وتحقيق المصالح المتبادلة. وورد في الرسالة ذكر مكان كتابتها وهو مقر كوكو أين يوجد الحصن، ورفع من شأن هذه العاصمة، فقال عنها أنها مشهورة عند القريب والبعيد، وأنها شائعة الذكر عند الأحرار والعبيد، وعلى أنه قائم بجميع شؤونها وأنه سيد الزواوة وسلطانها وأنه أميرها وقاهرها.

[1] – رسالة محمد بن محمد القاضي الى الإمبراطور شارلكان، أحمد توفيق المدني، من كتاب حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492–1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص301.

وهذا ما ورد ذكره في الرسالة:

"فإننا كتبناه إليكم من حصننا المصون، وملجئنا المنصور المشهور عند القريب والبعيد. الشائع ذكره عند الأحرار والعبيد، كوكو عن إذن ملكها القائم بجميع شؤونها، سيد زواوة وسلطانها، وأميرها وقاهرها..."[1]

من خلال هذه الصفات التي خصّها ملك كوكو لنفسه، يتبيّن لنا أن حكمه فردي و مطلق، و هذا مانفهمه من عبارة : « ...قائم بجميع شؤونها » بالإضافة إلى « أميرها و قاهرها » ويتضح أيضا أن حصن كوكو مشهور لدى الجميع و شائع الذكر، وبالتالي يدلّ على أن كوكو ليست عاصمة أو مقر مغمور كما يدّعيه بعض المؤرخين .

وبعد ذلك تطرق كاتب الرسالة وهو ملك كوكو إلى الأهمية والجدّية التي يولّيها للعلاقات مع الإسبان وذلك منذ سنوات ، وذكّر الإمبراطور شارلكان أنه دائما على اتصال بقبطان إسبانيا في بجاية ، وأنه يبدو عليه عدم العلم بذلك، وهذا هو سبب إرسال إبن أخيه سيدي عمر إلى إسبانيا لتوضيح الأمور و النوايا الصادقة التي يكنّها ملك كوكو للإمبراطور الإسباني وذكر بأنه لم يرسل إليه شخص عادي ، وإنما أعزّ الناس إليه .

وهذا مايتجلى في فقرة أخرى من نفس الرسالة : « فأنا على ما تعلم من الجد و الإهتمام فيما يجمع كلمتنا معكم منذ أعوام ، وما غفلنا من المكالمة مع خديمكم قبطان بجاية ، ولا نشك في أنه خفى عنكم جميع ذلك ، فلما رأينا أن ذلك غير كاف وجّهنا إليكم بأعزّ الناس عندنا ، وأشرفهم لدينا ، الذي هو ولدنا وضَوء حدقتنا ابن أخينا سيدي عمر ليقوم مقامنا ، و تتحققون منه ماعندنا وليزول الإشكال وينتهي اللّبس . وأنه مهما ورد عليكم بليل تبادرون إلى ماطُلب منكم بنهار ، و إن ورد عليكم بنهار فكذلك .»

---

[1] – نفس المرجع ،ص301.

وبعد ذلك وجّه اللّوم إلى الإمبراطور شارلكان بأنه لم يبادر إلى فعل ما طُلب منه ووصفه بالمتقاعس ، وأن ذلك غريب عن طبعته وسيرته وذكّره بصفاته المعروفة سابقا وموقفه من الملوك الذين يطرقون بابه.

وهي المبادرة بالإجابة في الحين، إلى مايطلبونه منه بالرغم من أنهم كانوا يوجِّهون ويبعثون إليه أصحابهم أما هو ( ملك كوكو ) فقد وجّه الأولاد إلى مقرّ الإمبراطور أي إبن أخيه .

وتطرّق صاحب الرسالة إلى انتظاره وصول الإمبراطور وإبن أخيه ( أي إبن أخ ملك كوكو ) ثم ذكر القتال الذي وقع بينه وبين العثمانيين في فصل الصيف، وكان ملك كوكو يطمع وصول قوات شارلكان إلى الجزائر خاصة وأن خير الدين كان غائبا عنها.[1]

وكان يأمل في الحيلولة بين خير الدين ومدينة الجزائر لكي يستريح الناس منه. وهنا نفهم بأن العلاقة بين الطرفين أصبحت لاتطاق ، وهناك إشارة إلى أن العلاقة أيضا بين خير الدين والشعب ليست على مايرام . لكن لو كان الأمر كما يقول ، لماذا أتته وفود من مدينة الجزائر إلى جيجل عندما كان أحمد أولقاضي ملك لمدينة الجزائر ؟ وطلبت منه هذه الوفود أن يعود إلى المدينة من أجل حكمها والتخلّص من حكم أحمد أولقاضي . إذن يمكن القول أن هذه الإشارة والعلاقة التي كانت سيّئة بين خير الدين و سكان المدينة ليس لها أساس من الصحة ، إلاّ إذا كان يتحدث عن سكان مملكته فهذا شيء آخر. وذكر بعد ذلك أن الله لم يرد ذلك ، وهذا الكلام يمكن فهمه بالقضاء والقدر . وتطرّق بعد ذلك إلى أن خير الدين كان يطلب الصلح منه، ومما يفهم من الرسالة أيضا أن المعارك و النزاعات و الإقتتال كانت باستمرار بدون توقّف . لكن حسب الأحداث التاريخية ، لم تكن المعارك بين الطرفين متواصلة بدون

---

[1] – رسالة محمد بن محمد القاضي الى الإمبراطور شارلكان، ص 302.

انقطاع وإنما توجد المعارك والحروب مثل ماحدث في سنة 1520 و 1527 و 1541 . لكن مع فترات الهدنة أيضا بين الطرفين إذن، فإن ملك كوكو بالغ قليلا فيما ذكره عن القتال بينه وبين العثمانيين وقد يكون الهدف من ذلك إستمالة الإمبراطور شارلكان إليه ، لكي يقبل بالمشروع الذي ينوي تجسيده معه.

وهذا ما نلاحظه في الرسالة ، إذ مباشرة بعد ذلك طلب منه الجِد و العزم والنهوض و الحزم ، والورود بنفسه مع إبن أخيه، وعيّن له حتى الشهر وهو يناير ، إلا إذا كان ذلك غير ممكن . وطلب منه توجيه خمسين سفينة خفيفة حربية كانت تسمى الغراب ، وذلك في يناير 1544 ، قصد التضييق على العثمانيين و بالتالي يتيسّر عليه تحقيق أهدافه .

وهذا ماذكره في هذه الفقرة : « فإذا بكم توانيتم في الأمور ، وتقاعستم في الأشياء وليس هذا من طبعكم ، ولا ممّا نتعاهده من سيرتكم ، وإنّما المعلوم منكم والمعهود من طرفكم مع من سلف من الملوك الحالين ببابكم المبادرة من حينكم بالإجابة إلى مايطلبونه منكم، مع أنهم لم يوجّهوا إليكم مثل من وجهناه إليكم، لأنهم يوجهون إليكم الأصحاب، ونحن وجّهنا أولادنا إلى مقامكم الرفيع و حلّوا ببابكم المنيع.[1]

وهذه مدة طويلة ننتظر قدومكم معه أقدمكم الله في ساعة خير، ولا خفى عنكم ماوقع بيننا وبين عدوّنا في الصيف من القتال مدة تزيد عن شهرين، وظننا ورودكم على الجزائر مع عيبته ، وتنقطع مادته ، وتريحون الناس منه ، ولم يرد الله ذلك .

هو الآن يطلب صلحنا وأبينا، والقتال كل وقت بيننا وبينه . وعليكم بالجد والعزم والنهوض والحزم، والقدوم بنفسكم مع ولدنا الذي عندكم، وليكن ذلك في شهر يناير إلا إذا تعذّر عليكم ذلك ولم يساعدكم الزمان إلى ماطلبناه فوجِّهوا خمسين غرابا في هذا الوقت

[1] – رسالة محمد بن محمد القاضي للإمبراطور شارلكان، 1543، ص 303، 304.

المذكور ليقع بها بعض التضييق على العدو، حتى يتيسر عليكم الحال، ولو كان السّر في وجودكم، لكن في هذا الكفاية في الوقت .

وفي فقرة أخرى موالية، عاد صاحب الرسالة إلى الإشادة بالإمبراطور شارلكان، واعتبره ذو شأن عالي وهمّة كبيرة والوفاء بالعهد . ذكر له بأنّه قام بواجبه ولم يبق إلا واجب شارلكان فطلب منه العمل بمقتضى هذه الرسالة وشكره على حسن التعامل مع إبن أخيه وأعلن له قبوله كلّ ما إتّفق عليه، وفي ختام الرسالة ذكّره بضرورة المسارعة في الهجوم على مدينة الجزائر في دوجامبر أي ديسمبر عام 949 هـ.

يتبيّن لنا من خلال الرسالة أن ملك كوكو يتمتع بالدبلوماسية العالية لتحقيق مآربه ومخطّطاته ضدّ الأتراك، وهكذا وصفه بصفات حميدة وبعد ذلك طلب منه تطبيق خطته . ثم عاد إلى الإشادة به وتوجيه الشكر إليه على المعاملة اللّطيفة مع إبن أخيه، وبعد ذلك أيضا طلب منه تنفيذ الهجوم على مدينة الجزائر، وحدّد له التاريخ وهو شهر دوجامبر أي ديسمبر . وإسم هذا الشهر أمازيغي ، وهذا يدل على أن ملك كوكو ملمّ بالتراث الأمازيغي .

وهذا ما ذكره في الفقرة الأخيرة من الرسالة بالتفصيل : « وبالجملة لمّا أن شاع عندنا وعند غيرنا علوّ شأنكم ، وكبر همّكم، وإيفاء عهدكم، وتكميلكم المرغوب من قصدكم، بادرنا إلى الحلول ببابكم، فما علينا فعلناه ، ولم يبق إلاّ ماعندكم ، فاعملوا بمقتضى ذلك،[1] ولا يسِعكم التخلّف عنه طبعا مع ما نعلمه من سيرتكم وكتابكم الذي وجّهتم إلينا صحبة صاحب سيدي عمر تأمّلناه, وفهمنا منه ماعندكم، وسرنا غاية السرور مع ما أثنى عليكم صاحبنا من فعل الخير مع ولدنا وشكرنا فعلكم، فجزاكم الله خيرا . إن ذلك المعلوم عنكم وأعلم أن جميع ماتلفّظ به معكم ، ووقّع العقد عليه بينكم وبين ولدنا قبلناه ، ولا نقصر معكم في جميع ذلك جلّ أو قلّ وعليكم بالمسارعة إلى ماطلبناه منكم، وبتاريخ شهر دجامبر عام

[1] – رسالة محمد بن محمد القاضي للإمبراطور شارلكان، ص. 303 ، 304.

تسعة وأربعين وتسعامئة، والسلام التام عليكم والرحمة والبركة » ( أنظر نص الوثيقة في الملاحق ).[1]

وتوجد رسائل أخرى، من بينها تلك التي بعثها عمر بن أحمد لحاكم بجاية، وبدأها بحمد الله والصلاة على رسول الله، والإشادة ونعت حاكم بجاية الإسباني دون الويس بأنه القائد المعظّم والمكرّم والوجيه .وبعد ذلك ذكّره بأن العهد بين الطرفين لازال مستمرا من طرف كوكو ولو تتوقف المشاورات بينهما حسب كاتب الرسالة، فإن الناس سيضحكون عليهم .

وبعد ذلك طلب منه أن يراسل السلطان ويقصد هنا حاكم إسبانيا أن يسارع بإمدادهم بالعمارة أي بالسفن أو القيام بصفقة، ترضي الإسبان وتسرهم وبعد ذلك أصّر على الموقف الأول، أنه يحبّذ التعجيل بإرسال العمارة قبل فوات الوقت على الطرفين .

وهذا نص الفقرة بالضبط : « الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، من عمر بن أحمد أصلحه الله إلى القايد المكرم الوجيه المعظم قبطان بجاية شنيور دون الويس، سلم عليكم وإليه أعلم وأن نحن على العهد الأول وعلى المحبة و تجديد السلطان، ولا بطل مشورتن الأولى، إلا الناس يظحك فينا أولا أعلش نعمل الآن، إن كان أنتما ( أنتم ).[2]

على العهد الأول أرسل للسلطان يعجل علينا بالعمارة أو نعمل معكم عقدة ترضيكم وتصرّكم (تسرّكم ) والذي حبيت في خاطركم تعمله أعجل بالعمارة قبل أن يفوت الحال فينا و فيكم ».

---

[1] – نفس المرجع، ص. 304.

[2] -رسالة عمر بن أحمد إلى قبطان بجاية شنيور دون الويس , توفيق المدني , حرب الثلاث مئة سنة، ص 304.

وبعد ذلك طلب منه إذا أراد أن يراسل السلطان بواسطة عمه ويقصد بذلك ملك كوكو، سيكون ذلك وطلب منه أن يخبرونهم بالسلطان أين هو والدوك دالبة وبالبرنسيب ذويه وبالقباطن كلّهم أين كانوا .

وبعد ذلك أصرّ على ضرورة إهتمام السلطان الإسباني بالجزائر وعدم الغفلة عنها لأنه حسب رأيه تضرّ مملكة كوكو والإسبان معا ثم أخبر صاحب الرسالة الإسبان وأنّ خير الدين بربروس وفرنسا لمّا حاصروا مينة إنهزموا .

في الفقرتين الأخيرتين من الرسالة تطرّق عمر بن أحمد إلى إمكانية مراسلة سلطان كوكو سلطان إسبانيا إذا أراد قبطان بجاية ذلك أي أن تكون المراسلات مباشرة مابين الملكين، ملك كوكو وملك إسبانيا لكي تتمّ كما ينبغي .

ثم سأل صاحب الرسالة عن المسؤولين الإسبان وهم السلطان والدوك دالبة والبرانسب وكل القباطن . وبعد ذلك نبّه ملك إسبانيا بضرورة الإهتمام بالجزائر لأنها حسب رأيه، تعتبر عدوا مشتركا للطرفين ثمّ أفاده بخبر انهزام العثمانيين وعلى رأسهم خير الدين عندما حاصروا مينة إلى جانب الفرنسيين أي أن الأتراك في موقف ضعف ويجب اغتنام الفرصة لطردهم من الجزائر .

و في الأخير طلب صاحب الرسالة من الإسبان التعجيل في رد الجواب وبما يدور في أذهانهم وهذا ماورد فيما تبقّى من الرسالة : « و إذا بغيت كتوب عم ( عمى )... ترسلهم للسلطان نكتبوهم وإعلم لنا (اعلمنا) بالسلطان أين هو وبالدوك دالبة، وإعلم لنا بالبرانسب أين هو وبالبرانسب ذويه وبالقباطن كلّهم أين كانوا ونحن قلن (قلنا)، ما يغلفتش على الجزائر لأن

هي تضرّنا وتضرّكم. وأيضا بلغنا أن خير الدين وصاحب فرانسية حاصروا مينة وانكسروا... وإعجلوا لنا بالجواب وبما كان لنا بالأخبار وبما في قلوبكم والسلام."[1]

نلاحظ في هذه الرسالة أن اللّغة التي كُتبت بها، هي لغة دارجة وليست فُصحى، وكثيرة الأخطاء اللغوية، مثلما ذكر في بداية الرسالة: "ولا بطل مشورتن الأولى. إلا الناس يضحك فينا أو لا أعلش نعمل الآن. ويجب أن يقول: "لو تَّبطل مشاوراتنا الأولى، سيضحك الناس علينا، وماذا سنفعل الآن." إلى غيرها من الأخطاء.

وهذه الرسالة ذات الخط الرديء واللّغة الشعبية، كُتبت من طرف عمر إبن أحمد وهو إبن أخ سلطان كوكو محمد بن محمد القاضي. أما الرسالة السابقة المبعوثة إلى شارلكان، كُتبت من طرف ملك كوكو وهو محمد بن محمد القاضي، وقد كُتبت بخط جميل وعبارات متينة. ومهما تكن الكتابة، فإن ما نستنتجه من الرسالة الثانية أن حكام كوكو طموحين في الحصول على المساعدات من الإسبان، ويتمنّون التعاون مع الإسبان لطرد الأتراك من الجزائر، خاصة وأن الظروف مواتية بعد إنكسار خير الدين والفرنسيين في حصار مينة.

### ب- توطيد العلاقات في عهد عمر أولقاضي

في عهد أعمر أولقاضي، كانت علاقاته مع العروش (القبائل) متوترة نظرا لحكمه الإستبدادي، وبالتالي فإن هذا الملك بحاجة إلى حليف من أجل قمع أي تمرد محتمل ضده.

هذا الحليف الذي أوجده أعمر أولقاضي هو إسبانيا، فكانت هناك عدة مراسلات بين الطرفين.

---

[1] – رسالة عمر بن أحمد، السابقة إلى قبطان بجاية شنيور دون الويس، ص 306.

في الرسالة الأولى التي وصلت إلى ملك إسبانيا والتي تعتبر الأساس والرسالة الثانية إلى الأمير وهو محتمل أن يكون فليب الثالث، ذكر فيها أهم شيء كتب في الرسالة الأولى. هذه الرسالة كتبت من طرف إبنة ملك كوكو عائشة، أين طلبت فيها الهدايا التي تأمل أن تتسلمها.

لو تتصفح الرسالة الاولى، نجد أن اعمر اولقاضي قام بتقديم نفسه وسلالته الى ان وصل إلى جده أحمد اولقاضي مؤسس المملكة.ثم قدم رسوله أبومالك و هو ابن أخيه، وذكر أنه مستشاره الحميم.

وأبدى إستعداده مع ذويه أن يكونوا في خدمة فليب الثاني، ثمّ بيّن أن الأتراك، و يقصد بذلك العثمانيين، ليس لديهم أي حق على مملكته، وهذه الأخيرة ليست خاضعة لايّ غرامات، و أنه يطمح لمحاربتهم ولكنه يريد فعل ذلك بمساعدة إسبانيا. وأن ملك فاس إقترح عليه الهجوم على تلمسان،إلا أنه ينتظر موافقة مدريد.

وأشار اعمر اولقاضي إلى أن الظروف مواتية للهجوم، فالأتراك يتناحرون فيما بينهم، والفوضى منتشرة في مجلسهم وأن الأعلاج في مدينة الجزائر، والذين تربطه بهم علاقات سرّية يحرضّونه للهجوم على المدينة ليرتبط مصير الطرفين.

وأعطى اعمر اولقاضي فيما بعد لمحة عن قوّاته وذكر أنه مستعد لتجهيز 100الف عسكري، أما خصومه لا يملكون إلا 9000 عسكري وباستطاعته القضاء عليهم بسرعة.

و يعتبر هذا العدد مبالغ فيه من حيث عدد عساكر الذي هو بحوزة كوكو، ولم يشر الى هوية هؤلاء الخصوم هل الاتراك ؟ هل هم القبائل المتمرّدين؟ لكن بدون شك يقصد العثمانيين.

يجب ان نشير أن عدد القوات التي يملكها اعمر اولقاضي كبيرة، خاصة بالمقارنة مع عددهم في بداية تاسيس المملكة.(1)

1 -(P) Boyer ,op.cit,p30 .

بعد ذلك تطرّق ملك كوكو إلى المكاسب التي ستعود على إسبانيا لو تساعد مملكته، ومنها : –التحالف مع كوكو، ثم الإستفادة في المجال التجاري، بحيث أن التجار المسيحيون سيُسمح لهم أن يربطوا علاقات تجارية مع المملكة وفي أمان.

بعد ذلك تطرّق ملك كوكو إلى التفاصيل التطبيقية، فذكر أن فليب الثاني يبعث له خمسون سفينة إلى أحد موانئ المملكة.

هنا نلاحظ العدد الكبير الذي طلبه اعمر اولقاضي من السفن، وبالتالي نستنتج بأن المهمة ليست بالسهلة.

وطلب ملك كوكو أيضا من فليب الثاني، إذا رغب في ذلك، أن يؤسّس له قوّة في أرضه أي في مملكة كوكو، مثل قوة وهران ، ويختار المكان الذي تّؤسس فيه.

وأضاف ملك كوكو أن إبن أخيه سيتكلّف بالترتيبات الأخيرة وتوضيح النقاط الغامضة.

وفي إنتظار ذلك، طلب من ملك إسبانيا أن يرسل له المسحوق الذي يُستعمل في السلاح، بالإضافة إلى الرصاص وطلب أيضا الملابس لكي يعطيها للمحاربين من أجل أن ينضمّوا إليه. إلا أن هذا اللفظ alarves غامض، ماذا يعني به اعمر اولقاضي؟ هل هي قبائل (عروش) متيجة؟ أم القبائل الشبه بدوية الموجودة في السهول العليا؟ أم مجرّد غلط في الكتابة، وبالتالي المقصود به آث عباس، أي يطمح في إنضمام سلطان آث عباس إليه، أو على الأقل أن يبقى على الحياد من أجل إحراز الإنتصارات.

في نهاية الرسالة طلب من فليب الثاني أن يعامل كما ينبغي المرسول أبو مالك، و أشار اعمر اولقاضي إلى أن الأتراك على علم بما يخطط له وهم يراقبون موقف إسبانيا، وبالتالي طلب من فليب الثاني أن يبعث له مرسول ونجدات بسرعة، أو على الأقل الجواب. (1)

1 - (P)Boyer,op.cit,pp30,31.

والرسالة التالية وجهها ملك كوكو إلى أمير إسبانيا، وهي موجزة تضمّنت رغبة اعمر في طرد العثمانيين وإستلام السفن والمسحوق المستعمل في الأسلحة والرصاص والملابس لإعطائها للمحاربين لأنهم لا يملكونها ويملكها الأتراك فقط.

وهناك ملاحظة من طرف عائشة، إبنة أعمر أولقاضي، على رسالة أبيه تطلب إرسال سلسلة ذهبية من الحلي و وسوارين من الماس... وأضافت أنها ليست بحاجة إلى ذلك، إلا أنها تريد أن تحتفظ بها كذكرى للذي منحها لها.

من خلال ما تضمنته هذه الرسالة، يتبيّن لنا أن اعمر اولقاضي يطمح لتحقيق أهداف بعيدة، وهي طرد الأتراك من الجزائر، وهذا يظهر ويتجلّى في الأسلحة التي طلبها من إسبانيا وخطّط لتحقيق ذلك بالإستعانة بغريمه آث عباس بإعطائهم الأسلحة والملابس.

وبخصوص الرسالة التي بعثها ملك كوكو إلى فليب الثاني، فإن هؤلاء ذهبوا إلى أكثر مما ذهب إليه اعمر اولقاضي، إذ عرضوا أخذ وإحتلال مدينة الجزائر وإعطائها للإسبان، وتعهّدوا بدفع غرامة لإسبانيا.

من خلال هذه الرسالة نلاحظ أن هؤلاء المثقفين ساروا في إتجاه ملك كوكو، وهو مساندة الإسبان ضد العثمانيين، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على سوء العلاقات بين منطقة القبائل الغربية، التي تقع فيها مملكة كوكو والعثمانيين.

توجد رسالة أخرى وجهها الأعلاج في مدينة الجزائر إلى حاكم إسبانيا ليخبروه بالمعاملات السيّئة التي يتعرّضون لها من طرف العثمانيين، أمّا ملك كوكو فقد ساعدهم كثيرا، وأخبروا فليب الثاني بأنهم قرّروا مساعدته في غزوه للمدينة وطرد العثمانيين ومن أجل ذلك

[1]–Idem,pp31–33

نصحوه بالإعتماد على حاكم إسبانيا الذي سيقدّم له المساعدات المطلوبة، وبذلك يتم تحقيق صفقة. وأضافوا على ذلك بأن هذه الأرض ويقصد بها مدينة الجزائر تبقى لحاكم إسبانيا إذا أراد أن يثبت قواته هناك.[1]

قُدّم هذا الملف إلى رئيس مجلس الأمر دون مارتن دو قرطبة Don martin de cortoba*، بواسطة كريستوبال دو مورا Don christobal de mora المستشار الحميم لفليب الثاني من أجل دراسته وإعطاء رأيه فيه.

ومن النتائج التي خرج بها، أن دون مارتان ركّز على أهمية طرد العثمانيين من بلاد البربر (شمال إفريقيا)، بالنسبة لإسبانيا. وأن سكان السواحل تصير في مأمن ولا يتمّ تحويلهم إلى عبيد أو رقيق. والملاحة في البحر الأبيض المتوسط والمضيق تكون في مأمن، بالإضافة إلى جزر المحيط وسفن الهند لا يتمّ الهجوم عليها والتجارة تكون رابحة.

أما إقتراحات ملك كوكو فتتمثل في المساعدة التي يتلقّاها من سلطان آث عباس، ومن المحتمل أن تكون نفقات الحملة على عاتق إسبانيا، وبفضل هذه المساعدة يمكن للحملة الوصول إلى مبتغاها.

والمعلومات التي جُمعت، تَظهر أنها دقيقة وأن هذه الفرصة لم تُتَح لهم منذ سنوات، وأن وضع الأتراك ليس على ما يرام.

كان ملك كوكو يهدف إلى أخذ سلطة العثمانيين ومملكتهم التي يعتبرها مملكته، وتتمثل خطته فيما يلي: الهجوم على مدينة الجزائر، وسيسعى الأتراك للدفاع عنها، فيتم إهمال

---

1 - (P)Boyer,op.cit,pp32,33

*- دون مارتان دوقرطبة1538-1613رجل برتغالي كان في خدمة إسبانيا.في البداية كان مكلفا بالشؤون البرتغالية،ثم أصبح مستشار حميمي لفيليب الثاني في أمور الحرب و الأحوال الشخصية،بوفاة فيليب الثاني أبعد عن مسؤولياته منصبه،و تم تعيينه نائب ملك البرتغال.

قواعدهم في الداخل، وبفضل مساعدة سلطان آث عباس يسهل تنظيم إنتفاضة عامة وبالتالي محاصرة العثمانيين في المدينة ويتركهم الجميع، وبالتالي يؤسرون قبل وصول أية مساعدة من القسطنطينية وإن تمّ ذلك فإن الأسطول الإسباني سيعارض ذلك.

يمكن القول أن رسالة الأعلاج تستدعي الإهتمام، لأن هؤلاء الاعلاج وسكان المدينة هم ضعفين عدد العثمانيين ، وأن الاعلاج يريدون أن يعودوا إلى ما كانوا عليه في السابق، أما السكان فهم يريدون أن يتحرروا أكثر وأن يعاملوا أحسن معاملة.

لكن قبل الإقدام على أي هجوم أو حملة ، كان لابد من التحقيق من مدى صحة أقوال الاعلاج.[1]من أجل معرفة ذلك، إقترح دون مارتان إستخدام عامل يهودي وتاجر إسمه cancino، وهو رجل ذكي جدا، يمكن إستدعاؤه لإعطائه التوجيهات الضرورية من أجل التفاوض مع الشريف، أما صهره أكابورطاس Acaportas سيتّجه إلى مدينة الجزائر بغطاء أو لون التجارة من أجل التحدّث مع الأعلاج.

وفي أثناء هذا الوقت يمكن الإجابة لملك كوكو وإرسال شخص جدير يتحقّق من أقوال الملك، وخاصة إذا كان لديه التأييد من جميع المسؤولين في مملكته وما إذا كان سلطان آث عباس ينوي في الواقع مساعدته، وبأية وسائل.

ولكي لا يتم رفض طلب كوكو و إرضائه جزئيا، يمكن التوجه ب15 و20 باخرة إلى ساحل أزفون في أراضي كوكو بالقرب من مدينة بجاية، وإرسال الشخص المعني بالأمر والذي سيمنح الهدايا المتواضعة إلى الملك وإبنته، هذه البواخر سترجع إلى إسبانيا ثم سترجع من أجل البحث عن المرسول في الوقت المناسب.

[1] - (P)Boyer,op.cit,pp32,33 .

ويواصل دون مارتان إقتراحاته وخطته، يجب إرسال الفارس الموري أبو المالك إلى وهران من أجل ضبط تاريخ هذا السفر وتأمين ميناء أزفون.

ومن خلال تقرير المبعوث سيتم النظر وأخذ القرار بشأن تقديم المسحوق المستعمل في الحرب والملابس التي يطلبها الملك .

ثم تطرّق مارتان إلى إقتراح هذا اللغز من طرف ملك كوكو، وهو وضع مدن مستغانم وتلمسان تحت حكم إسبانيا، وهذا ما يراه مارتان أنه حِبر على ورق بالنظر إلى إستحالة تحقيق هذا الأمر. [1]

كان دون مارتان يطمح بعد هذه المشاريع الجسيمة،أن يصبح ملك إسبانيا متحكما في كل المغرب ويطرد الأتراك فلا يهاجمون على سواحل المملكة، وينصح دون مارتان فيما بعد على المعاملة الحسنة لإبن أخت ملك كوكو الذي يأتي بهذه الإقتراحات، ويُلبس كما يجب وأن يُستقبل من طرف أحد أعضاء المجلس للحديث عن القضية، ويختم بأهمية الفرصة الإستثنائية المواتية لأخذ مدينة الجزائر بنفقات قليلة.

الوثيقة الثالثة تمثل الحالة الأخيرة من المفاوضات، بما أنها تحمل في جزئها الأيمن ملخص إقتراحات كوكو، وفي جزئها الأيسر القرار المتّخذ، رغم أن هذه الوثيقة ليست مؤرخَة، إلا أنها تعكس الأهم في قضية المفاوضات وموقف المسؤولين.

وها هي أهم إقتراحات كوكو التي وردت في الوثيقة:

1- إرسال إبن أخ ملك كوكو وهو أبو المالك.
2- الرغبة في التحالف ضد الترك، العدو المشترك.

[1]) p Boyer,op.cit,pp.34,35 .

3- كوكو تملك 100.000 رجل وأكبر من العدو.

4- تمنّي رؤية 50 سفينة في أحد مراسيها وتكون مؤيَّدة من طرف الإسبان.

5- كل هذه الأراضي والتي تتحصل عليها ستصبح بقيادة ملك إسبانيا وسيبني فيها قاعدة قوية مثل وهران، إذا رغب في ذلك في المكان الذي يريده

6 - يملك بقيادته 150 تجمّع مدني، ذات شأن وقيمة مثل مستغانم. وستصبح تابعة لإسبانيا وتتاجر معها.

7 -منح الثقة لإبن أخيه

8-إرسال المسحوق المستعمل في الحرب وهو متفجر، والملابس للعرب.

9-إعطاء الإجابة بسرعة.

في هذا النص الذي يتماشى مع إقتراحات كوكو لم يرد فيه تدخل سلطان آث عباس.

في هذه الوثيقة ليس هناك إشارة إلى السيطرة على مستغانم، وإنما مجرد مقارنة معها، وأخيرا توجد إشارة إلى تأسيس قوة في إقليم ملك كوكو[1]

أما بخصوص القرارات التي إتّخذتها الحكومة الإسبانية، فهي تتمثل فيما يلي:

- أن يأتي أبو مالك إلى إسبانيا، وأن يرى سيادة الملك أو الملكة.
- يُلبس ثياب أخرى ويعود مسرورا.
- أن يرسل إلى ملك كوكو شخص، وهو كانزينو cansino أو شخص آخر مثله الذي يجب إستدعاؤه. - يجب على إسبانيا مراسلة حاكم المغرب من أجل هذا الشأن.
- أن يكون التفاوض وتُعطى الإرضاءات اللآزمة.

[1]- (p) Boyer,op.cit,pp.34,35 .

كان من الصعب على الملك فليب الثاني المريض، أو مستشاريه التركيز على هجوم أو حملة فورية، وذلك نظرا لهذا الظرف، وهو المرض، وبوفاة الملك توقّف كل شيء.

وأشار بوايي إلى حدث تطرّق إليه قرامون Grammont، وهو هجوم سكان منطقة القبائل على مدينة الجزائر في سنة 1598، وربط بين هذا الحدث ومفاوضات جوان 1598، وذكر أن هذا الحدث قد يكون نتيجة لهذه المفاوضات بين الإسبان ومملكة كوكو.

ومهما يكن التاريخ الذي وقع فيه الهجوم بالضبط، فإن التفاهم بين الإسبان وكوكو قد تحقّق إلى حد كبير، هذا ما جعل مملكة كوكو تشن الهجوم على الأتراك معتمدة على المساعدات الإسبانية. [1]

هذا الهجوم على مدينة الجزائر كان خطيرا، حسب ما ذكره جول ليورال في كتابه قبائل جرجرة kabylie du djurdjura، بحيث تسبب في خسائر كثيرة، وتوقف أتباع كوكو في بساتين وحدائق باب عزون، وحاصروا المدينة لمدة 11 يوما.

وفي سنة 1600، حدثت ثورة في منطقة القبائل بتأييد من إسبانيا، وهزموا سليمان شر هزيمة، وفي 1601 تغلب القبائل على سليمان في جمعة الساريج.[2]

راسل اعمر اولقاضي أيضا ملك إسبانيا في 25 جوان 1603، وهذا الملك هو فليب الثالث، فبعد عبارات التقدير والإحترام والسلام على هذا الملك، ذكّره اعمر اولقاضي بما وقع بإرادة الله في جامجوت jamijute، وأنه ترك مائتي رجل من أجل الحوار وتبادل الأجوبة، لكن ظهرت الخيانة في سفنه، إذ تم إخبار الأتراك بالعدد القليل من رجاله الموجودين هناك، فهاجموا عليهم وقتلوا حوالي20، أما من جانب الأتراك(العثمانيون) فقد قتل حوالي مائتي رجل.

1 - Idem,p,35,36

2-(Jules) Liorel,op.cit,pp132,133 .

وشرح أعمر أولقاضي أسباب الحادثة، بكون رجاله لم يتصوّروا بأن الأتراك (العثمانيون) سيهاجمون على المكان، لأنهم لم يتركوا أي شيء له وزن أو قيمة كالسلاح ولا أي شيء آخر يطمحون للحصول عليه.

وبعد هذه الأحداث وصل الإسبان إلى الميناء وحدث لهم ما كتبه الله، على حد تعبير، صاحب الرسالة، وأرسلوهم إلى بعض الأشخاص من المنطقة، لكن هؤلاء خدعوا رجال كوكو.

وتطرق أعمر أولقاضي في آخر الرسالة إلى أن رجاله وجنوده أقوياء ومسلحين جيدا، والأتراك لا يستطيعون الوصول إلى منزله لأن الإسبان سيكونون ويتواجدون في أراضيه وإقليمه .[1]

وإقترح ملك كوكو على نظيره الإسباني، إذا أراد الإستيلاء على مدينة الجزائر ، أن يكون الهجوم سريعا، لأن الأتراك(العثمانيون) موجودين كلهم في أراضيه بما فيهم الخياطين والبنائين والنجارين، ولم يبق في المدينة إلا التجار.

وأشار ملك كوكو بأنه يوجد على أراضيه 5000 إنكشاري و3000 من المور وبالتالي 8000 في المجموع، وأشاد بالقنصل الإسباني بأنه من أحسن القناصل، بحيث نصح الملك (كوكو) بما هو جيد، وإستفاد منه عدة مرات منذ مجيئه إلى ذلك الوقت.[2]

تطرق سعيد بوليفة في كتابه جرجرة عبر التاريخ، إلى مشروع إسبانيا في الإستيلاء على مدينة الجزائر، مستغلة سوء العلاقات بين الزواوة (القبائل) والعثمانيين، وبالتالي أرادت الحصول على إتفاق مع أولقاضي وطلبوا منهم الحماية من أجل إرساء سفنهم في ميناء أزفون، وبمساعدة منطقة القبائل سيحاولون الهجوم على مدينة الجزائر.

---

1- H) Genevois,op.cit,p6 - (s)Boulifa,op.cit,pp145,146. أنظر ايضا

2 -(jules) Liorel,op.cit,pp132,133

وهكذا تم بعث وفد من البليار في سنة 1603 من أجل الدخول في علاقات مباشرة مع زعماء القبائل معتمدين على معلومات أحد المسيحيين الذي كان أسير في كوكو، ويدعى الأب

ماتيو Mathieu، وكان يقيم في كوكو لمدة طويلة، فربطوا علاقات معه، وتم الإتفاق على النزول في مرسى الفحم بالقرب من أزفون .

وكان عدد السفن أربعة، تحت قيادة نائب الملك مايوركا، وكان يأمل في إيجاد أصدقائه القدامى وخاصة عبد الله إبن أخ ملك كوكو، لكن خدع من طرف الذين وعدوه بالمساعدة، فتم محاصرته من طرف بعض الاشخاص وقتلوه بدون أن يحرك أصحابه الذين بقوا في سفنهم ساكنا

وحسب بربروجير، الذي قدم تفاصيل دقيقة، فإن الأب ماتيو نزل إلى البر مع ثمانون شخصا من أهم الشخصيات.[1]

من خلال رسالة أعمر أولقاضي إلى الملك الإسباني فليب الثالث، يتبين لنا أن العلاقات ما بين كوكو والإسبان كانت وطيدة، وما يدل على ذلك المحاولة التي وقعت في سنة 1603 من طرف الإسبان من أجل إرساء سفنهم في ميناء أزفون، لولا الخيانة التي وقعت، وبالتالي إدراك وإكتشاف العثمانيين خيوط المؤامرة، وتم قتلهم عن آخرهم، وذكر بوليفة بأن الإسبان كانوا يخططون للإستيلاء على مدينة الجزائر بمساعدة مملكة كوكو. ولكي يصل الطرفان إلى هذه المرحلة من العلاقات بدون شك هناك إستعدادات ومراحل أولية من العلاقات مع الإسبان للقيام بعمل مشترك ضد العثمانيين.

وحاول اعمر أولقاضي تجديد العلاقات مع الإسبان وتجديد المشروع المشترك المتمثل في الهجوم على مدينة الجزائر، وشرح للملك أسباب الحادثة التي وقعت والتي أدت إلى مقتل

1 - (S) Boulifa,op.cit,pp144,145

الإسبان الموجودين في ميناء أزفون على متن السفن، كأنه يريد تبرير ما وقع، ثم إعادة إحياء فكرة الإستيلاء على مدينة الجزائر.

فاقترح خطته على ملك إسبانيا وأفاده بعدة معلومات وأخبار تتعلق بوجود الكثير من الأتراك(العثمانيين) في إقليم كوكو وعددهم 8000 من الإنكشارية والمور، بالإضافة إلى الخياطين والنجارين والبنائين، هذا ما يساعد الإسبان على الإستيلاء على المدينة بإستعمال السرعة، أي بالتعجيل وإستغلال الفرصة.

هذه المحاولات بين الطرفين والرسائل المتبادلة، إن دلت على شيء فإنما تدل على إصرار الطرفين وخاصة أعمر أولقاضي على الإتفاق والتفاهم من أجل السيطرة على مدينة الجزائر وطرد العثمانيين منها.

والداعي إلى ذلك المصلحة المشتركة، إذ أن الأتراك أعداء الإسبان، وفي نفس الوقت يمكن إعتبارهم حسب أعمر أولقاضي حجر عثرة في طريق هذا الأخير لتأسيس دولة تضم كل أطراف الجزائر، أو تقسيمها بين الطرفين[1].

في سنة 1608 حاول ملك كوكو أعمر أولقاضي منح مرسى الفحم للإسبان، إلا أن مشروعه باء بالفشل، بحيث لما علم العثمانيين، أرسلوا فرقة من الجيش إلى نفس المكان.

وفي سنة 1609 أرسل ملك كوكو أعمر أولقاضي مبعوثين، وعددهم أربعة للإتصال بالإسبان، لكن ألقي عليهم القبض في مستغانم، وبعد مدة وصل إلى وهران مبعوثين من المور لمهمة التفاوض، وكان موقف الكونت داقويلار* حذرا إذ أوصل المراسلة إلى مدريد، لكنه رفض ومنع المبعوثين من العبور.

---

1 - (P)Boyer,op.cit,p39 .

*– الكونت داقويلار، كان حاكما على وهران من أوت 1608 إلى أكتوبر 1616.

فيما بعد وصل رجل يدعى موسى، المعروف لدى الإسبان بمشاركته في المفاوضات السابقة. وكانت لديه رسائل يريد إعطاؤها بيده إلى ملك إسبانيا، لكن في نهاية الأمر إضطر لتسليمها إلى الكونت داقويلار، وهذا الأخير أرسلها إلى مدريد مع تقرير عام حول المفاوضات.

وفي سنة 1610 تم الهجوم على متيجة من طرف رجال كوكو، إلا أن مصطفى خوجة إنتصر عليهم ووصل إلى كوكو، ولما طلب السكان الأمان كان لهم ذلك من طرف العثمانيين .[1]

توجد مراسلة أخرى بتاريخ 14 مارس 1610، بعثها الكونت داقويلار Daguilar من وهران، تطرقت إلى نقطة دقيقة وهي: طلب إرسال برجونتين Brigantin للمجيء بالمسيحيين المحميين في كوكو.

أما أعمر أولقاضي، فقد طلب بإسترجاع المور الذين إختطفهم دون مارتنا Don Martin، ومبعوثيه الموجودين في وهران، للعودة عن طريق البر.

خلافا للرأي الشائع، فإنه في سنة 1608 لم تنقطع العلاقات بين كوكو وإسبانيا، بحيث حاولت مملكة كوكو إعادة العلاقات في سنة 1609. وهذا التاريخ يتوافق مع توتر العلاقات بين المملكة والعثمانيين[2].

والدليل على ذلك الحملة العسكرية التي شنها القبائل على متيجة، ثم رد العثمانيين وعلى رأسهم مصطفى باشا بحملة معاكسة وقد أشرنا إلى ذلك في الفقرات السابقة.

يمكن إعتبار عودة المفاوضات مع الإسبان مقدمة لهذه الأحداث، ففي 15 جانفي 1610، سعى أعمر أولقاضي إلى إستئناف الإتصالات مع مدريد، لكن عن طريق رسائل

[1]- (jules) Liorel,op.cit,pp132,133

2-(p)Boyer,op.cit,392

كتبت بيد عميل وخائن صقلي يعمل لمصلحة كوكو، بلغة إيطالية ركيكة وسيئة، ووجهت إلى الملك فليب الثالث، والأخرى إلى الدوق دوليرما De lerma

شرح فيها الضرورة التي وجد فيها في سنة 1608 لإبرام السلم، وتطرق فيها إلى مصير الأربعة أشخاص المور الذين تم إنزالهم عن طريق مارتان دو لا سردا Martin de la cerda، أثناء مهمته المجهضة في نفس السنة، ولم يلُم هذا الأخير على فشل المهمة، وتأسف على عدم إرسال إسبانيا مبعوث من طراز ماتيو Mathieu الذي قتل في تامقوت، وتطرق إلى محاولاته العديدة للإتصال عن طريق وهران، وأعلن عن ذهاب الموري موسى إلى وهران، وهو الذي إشتغل في هذه القضايا من قبل.

هذه المحاولات عن طريق مدينة وهران ،إن دلت على شيء فإنما تدل على أن العثمانيين يراقبون منطقة القبائل البحرية، وأن الإتصال لا يمكن أن يتجسد إلا بواسطة البر.

هذه الرسالة أغلقت وغطت بطابع، فيها تنويه بالعربية كتبت بيده. نستنبط من إختيار أعمر أولقاضي للعميل الإيطالي لكتابة الرسالة، قلة ونقص الثقة في محيطه.

كل هذه الأحداث إن دلت على شيء، فإنما تدل على جدية المفاوضات بين مملكة كوكو وإسبانيا، لمواجهة العثمانيين، والسكان الذين سئموا من حكمه المطلق، بالإضافة إلى المرابطين، وبالتالي يمكن القول أن كوكو إنتقلت إلى المرحلة الجدية وتنفيذ ما تم التفاهم عليه منذ 1598 إلى سنة 1610، وإلا كيف يمكن تفسير توالي وتتابع الأحداث وهي متقاربة ومتوافقة مع تاريخ المفاوضات وهي 1598 و1603 و1610.[(1)]

إستغل المرابطون عامل حماية المسيحيين من طرف أعمر أولقاضي، ذريعة لغرس العداوة في نفوس سكان القبائل لهذا السلطان، وبالتالي كسب ودهم.

---

[1] - (P)Boyer,op.cit,pp38,39 .

ومن جهة أخرى، كانأعمر أولقاضي يهدف إلى تقوية الهيمنة على منطقة القبائل، خاصة عندما لاحظ حركة المرابطين ضده، وكان يطمح من وصول السفن الإسبانية في

سواحل كوكو، وإرسال البارود والرصاص والملابس لزرع الخوف في قلوب خصومه وأعدائه من جهة، ومن جهة أخرى أن يتحصل على الوسائل الضرورية لتقوية حكمه، أكثر من تفكيره في طرد العثمانيين.

وهناك دليل يؤكد صحة هذا الرأي، بحيث في سنة 1608، تحصل الإسبان على المؤونة ووصلت سفنهم إلى سواحل مملكة كوكو أي أزفون، ورغم أهمية هذه العمليات، إلا أنها لم تزعزع أركان الحكم العثماني ولم تؤثر عليهم، بحيث بقوا بقوة في تامقوت، وتوغلوا في جمعة الساريج.

وأمام هذا التهديد العثماني،أصبح أعمر أولقاضي في حتمية تغيير حساباته، بحيث يجب عليه التعامل معه لحماية مملكته وليس مع الإسبان، وكانت الهدنة مبنية على أساس تغيير وإعادة الحدود الإقليمية بين الطرفين.

وبدون شك فإن هذا التغيير في الحدود الإقليمية كان لصالح العثمانيين المنتصرين والموجودين في موقف قوة، وليس في صالح أعمر أولقاضي المنهزم والموجود في موقف ضعف.

في الفترة الممتدة ما بين 1608 و1618، كان أعمر أولقاضي مستهدفا من طرف المرابطين، وحاول بمشقة المحافظة على سلطته.[1]

---

[1]- Idem ,p38.

من خلال هذه الأحداث ومحاولات مبعوثين أعمر أولقاضي وموقف إسبانيا منها، يتجلى لنا أن أعمر أولقاضي كان دائما مصرا على التعامل والإتفاق مع الإسبان، ومن جهة الإسبان يتبين أنهم حفظوا الدرس جيدا من خلال ما حدث لرجالهم في أزفون إذ إغتيلوا جميعا، فلم

يسمحوا لمبعوثي كوكو الذهاب إلى إسبانيا، وإكتفوا بأخذ رسائلهم فقط وطلبوا منهم العودة إلى بلدهم.

أما جواب مجلس الحرب على مراسلات كوكو، يتبين أن الإسبان لم يهضموا بعد ما حصل لهم من إحباط في سنة 1608، إذ طلب المجلس من الكونت داقويلار، الإكتفاء بالكلام الطيب، وعدم الإلتزام والمبادرة إلى فعل أي شيء، وإذا أراد المور شيء آخر يقولونه، عليهم فعل ذلك، والجواب سيصل إلى داقويلار عن طريق وسيط، وفي الأخير طلبوا من المبعوثين العودة إلى كوكو.[1]

توجد رسائل أخرى أصلية توجد في أرشيف سيمانكاس بإسبانيا تتطرق إلى العلاقات بين مملكة كوكو والإسبان، والتخطيط لنزول قوات هؤلاء في مراسي المملكة.

ومن هذه الرسائل، تلك التي أرسلها وبعثها عبد الله عمر بن عمر إلى القبطان الإسباني بنتور، وبدأ بالسلام على من إتبع الهدى وهذه الصيغة كانت واردة تقريبا دائما في رسائل هذا الملك .

بعد ذلك تأسف صاحب الرسالة عن التقصير الذي وقع من طرف الإسبان، وبعد ذلك أشار إلى حلول فصل الشتاء، فكانت مملكته تنتظر المدد من الإسبان لركوب البحر، حتى قدمت محلة الصيف، فأخبره ملك كوكو بأن العثمانيين إستعدوا بجيوشهم مشرقا ومغربا، فكان ينتظر قدوم الإسبان ولو بقوات قليلة لكي يستولوا على الجزائر بغير مشقة ولا قتال، وقال له

1 - Idem,pp39,40

بأنه أخبرهم بغزوها، وبعد ذلك طلب منه التعجيل بإرسال العمارة أي السفن، لأن الأتراك(العثمانيين) في ضعف عظيم وليس لهم أي قوة تماما، ويكفي أقل القليل لهزمهم .

وبعد ذلك إقترح عليه رأي آخر، إن عجز على تقديم المدد، بأن يبعث إحدى الشخصيات الأخرى للتحاور معه ويلتقي الطرفان، الطرف الممثل لكوكو والطرف الممثل للإسبان، وذلك في بعض الموانئ ويقدم أكثر من عشرين غرابا وطلب منهم مرة أخرى التعجيل وأن رجال كوكو في انتظارهم.[1]

وهذه فقرة من الرسالة : « .... اعجلوا إلينا العمارة و إن كانت لكم قدرة، فإن الترك في ضعف عظيم وليس لهم قوة على شيء بالكلية ويكفي فيهم أقل القليل، وإن عجزتم وظهر لكم أنه لاقدرة لكم، فليقدم إلينا من يليق ومن نتكلم معه ونلتقي به في بعض مراسي بلادنا ويقدم مايزيد على عشرين غرابا، فاعجلوا وأنا في انتظاركم فاعزموا وتوكلوا على الله . » [2]

فمن خلال هذه الرسالة يتبين لنا، أن ملك كوكو قد سبق له أن اتفق مع القبطان الإسباني بأن يكون نزول القوات الإسبانية في إحدى الموانئ، وهذا مايظهر في بداية الرسالة، لما تطرق صاحب هذه الرسالة إلى التقصير الواقع من طرف الإسبان وعلى رأسهم القبطان بنتور وذكر أنه ينتظر الوفاء لما وعد السلطان وأن ذلك مكتوب وهو في أيديهم، ولمّا حل فصل الشتاء إلتمس رجال كوكو العذر للإسبان بعدم ركوب البحر، وذلك نظرا للظروف المناخية وصعوبة المأمورية ، ولما حل الصيف كانت مملكة كوكو تنتظر قدوم الإسبان ولو بأقل القليل للإستيلاء على الجزائر بدون مشقة ولا قتال، وذكر صاحب الرسالة أن كوكو ورجالها أخبرتهم بغزو الجزائر .

---

[1] – أرشيف سيمانكاس ،رقم E192 ، رسالة موجهة للقبطان الاسباني بنتور،بدون تاريخ

[2] – نفسه.

إذن هذا يدل على وصول الأمر بسلطان كوكو إلى الإتفاق على الإستيلاء على الجزائر، وأخبر الإسبان بالحالة السيئة التي كان يعاني منها العثمانيين وهي الضعف الكبير و لاحول ولا قوة لهم.

نفهم من هذه التفاصيل والأخبار أن سلطان كوكو كان ملم بأوضاع خصومه العثمانيين، وشجع الإسبان على المضي قدما لاحتلال مدينة الجزائر وبالتالي التخلص من خصومه العثمانيين بدون النظر في عواقب ذلك على البلاد.

ولم يفقد الأمل في ذلك، وطلب من قبطان إسبانيا إن عجز على تنفيذ الخطة أن يرسل آخرون للتحاور معهم ويبعث أكثر من 20 سفينة إلى مراسي كوكو ويتم التشاور على مصالح الطرفين .

من خلال هذه الرسالة نستنتج أن ملك كوكو عبد الله عمر بن عم،ر وبدون شك هو اعمر أولقاضي المقتول في سنة 1618، كان عازما و مصرا على التعاون مع الإسبان ضد العثمانيين إلى أبعد حد، لإخراجهم من الجزائر، رغم أنهم مسيحيون و غزاة لعدة مناطق ساحلية من الجزائر و المغرب الأقصى . وبالتالي لم يفكر في الإنعكاسات الخطيرة التي ستنجر عن فعله فيما بعد لو نجح في خططهم مع الإسبان، ويبدو أن ملك كوكو طبّق مقولة عدو العدو هو صديق. لم يتوقف ملك كوكو في الحد من العلاقات مع الإسبان، وإنما راسل شخصيات أخرى ومنها إيركود مارديال، وتطرق فيها عبد الله عمر بن عمر في رسالته، إلى التقصير الذي وقع من طرف الإسبان، وتأسف كثيرا على ذلك . ووصفهم بأنهم مخالفون للوعد، وأن ذلك ليس من صفات السلاطين ولا الناس البسطاء، وذكر أن حاكم إسبانيا كتب إلى كوكو يخبره بإرسال العمارة وبسرعة، وأضاف صاحب الرسالة أن التقصير من طرف الإسبان وقع عدة مرات . وهذا ماورد في الفقرة الأولى من الرسالة « المعظم إيركود مارديال، بعد السلام على من إتبع الهدى، فإن ماوقع من التقصير منكم ومخالفة الوعد ليس من شأن

السلاطين ولا من شأن الناس وقد كتب إلينا السلطان بطابعه يعدنا وجود العمارة وعجالتها ثم إن التقصير وقع غير ما مرّة .... ».[1]

[1]–أرشيف سيمانكاص،رقم192 E،رسالة موجهة إلى إيركود مارديال

و أضاف صاحب الرسالة ، أنه لما حل فصل الشتاء التمسنا لكم العذر بعدم الإبحار وبعد ذلك يضيف، أن ملك كوكو أخبر الإسبان قبل قدوم العمارة إلى حدود و إقليم كوكو، لكي يبعثوا لهم بعض المساعدات و لو كانت قليلة ، لكن لاحياة لمن تنادي وفي نهاية الأمر تغلب رجال كوكو على أعدائهم وهم بدون شك يقصد بهم العثمانيين .(1)

وهذا ما ذُكر بالضبط في الرسالة : «...وكانت محلّة الشتاء، فأعذرناكم في تخلفكم ركوب البحر، وهذه المرة قد كنا عرفناكم قبل قدومها علينا لعلكم تخيلون عليها ولو بما قل، فلم نرى منكم قليلا ولا كثيرا حتى هزمناهم بعون الله بجيوشنا وانقلبوا مدبرين ...».

وفي الفقرة الأخيرة من الرسالة ، ذكّر كاتب هذه الرسالة الإسبان بهدفهم ، إن كان قدوم العمارة أي السفن والمساعدات لكوكو للإنقضاض والإستيلاء على الجزائر، فإن الظروف مواتية وهي الضعف الكبير الذي وصل إليه الأتراك ويمكن التغلب عليهم بإمكانيات قليلة جدا.

ثم أضاف صاحب الرسالة، أنه في حالة عدم الإستعداد والتمكن من إرسال العمارة، يوجد إقتراح وحل آخر، يتمثل في قدوم ممثل آخر للكلام والتفاوض معه، ولو في عشرين غرابا، فيتم الإلتقاء به ببعض موانئ كوكو ويتم التشاور على مصلحة الجانبين والطرفين .

وفي الأخير طلب منه إيركود أن يعوّل ويثق في قول خديم كوكو عمر لأنه ذو نصائح، وهذا ما ذكر بالضبط في الفقرة الأخيرة من الرسالة :

---

[1] – أرشيف سيمنكاص ،رقم 192 E، رسالة موجهة الى إيركود مارديال

« فالآن إن كان غرضكم قدوم العمارة كلها، فإن الترك في ضعف عظيم ويكفي فيهم أقل القليل كما رأينا منهم، وإن عجزتم ورأيتم تخلف العمارة فليقدم علينا من نتكلم معه ويليق بالأمور ولو في عشرين غرابا فنلتقي به ببعض مراسي بلادنا ونتشاور على مايصلح بالجميع وعولوا على مايقوله لكم خديمنا عمر وثقوا بقوله فإنه نصيح... » [1]

من خلال تحليل وشرح الرسالتين، يبدوا واضحا أن التشابه كبير فيما بينها . إذ تطرقتا إلى التقصير الواقع من طرف الإسبان بتنفيذ الخطة والوعد المتفق عليه مع كوكو للإستيلاء على الجزائر. وتطرقتا أيضا إلى التماس العذر، بعدم تنفيذ ما تم الإتفاق عليه، بسبب حلول فصل الشتاء، لأن الظروف المناخية تكون صعبة خاصة في عرض البحار ، لكن بحلول فصل الصيف كان حكام كوكو ينتظرون مجيء الإسبان، لكن بدون جدوى فلم يأتوا .

تطرقت الرسالتين أيضا إلى ذكر الحالة والوضعية التي وصلت إليها القوات العثمانية من الضعف،وكلتا الرسالتين أيضا ذكرت اقتراح ملك كوكو،في أن يرسل الإسبان بعض السفن إلى أحد مراسي البلاد وعلى رأس هذه القوات من يتحدثون معه للتشاور بخصوص مصالح الجانبين .

من خلال تحليل الرسالتين يتبين لنا، التشابه الكبير في محتواهما وهذا إن دل على شيء إنما على إصرار ملك كوكو على التعاون مع الإسبان لإخراج العثمانيين من الجزائر، وأفادهم بظرف يخدم مصلحة الطرفان وهو ضعف العثمانيين . وهذا يدل من جهة أخرى على توتر العلاقات بين العثمانيين و كوكو .

[1] – أرشيف سيمانكاص، رقم E 192، رسالة موجهة الى إيركود مارديال

وهناك رسالة أخرى أصلية، وجهت من طرف الملك عمر أولقاضي إلى عبد الله ابن أخيه يطلب منه الإتصال بسرعة بالإسبان وبذل جهده لكي يبعثوا على الأقل 20 غرابا وعلى رأسها من يليق مثل سدوانا جوزيف وغيرهم ،ويتم اللقاء مع ممثلين عن كوكو في أحد مراسي

الجزائر للتحاور بغية تحقيق مصلحة الطرفين، أي مصلحة مملكة كوكو ومصلحة الإسبان لكي يتم القضاء على عدوهما المشترك وهو العثمانيين .

وهذه مقتطفات من الرسالة : « الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . حفظ الله وأعز ورعى عرض ولدنا سيدي عبد الله سلام عليكم، وبعد كيف بك ليس هذا الطريق ولا هذا الذي قدمت إليه، ماوجهناك إلا بجزمنا أنك تكفينا و تعجل أولئك الناس إلينا .....والآن عزموا أولئك الناس واعزم بهم وابذل جهدك في بعث ما تيسر منهم عاجلا ولو عشرين غرابا، ويأتي فيهم من يليق مثل سدوانا جوزيف وغيره، فتلتقوا معهم على مرسى من مراسي بلادنا فنتفاوض معهم فيما يصلح بنا و بهم ويراهم العدو عيانا وينهزم عدونا ويفرح محبنا .»[1].

وبعد ذلك، ومثل الرسالتين السابقتين , تطرق صاحب الرسالة إلى ضعف الأتراك وأنهم في شدة ومأزق فلو يقدموا إليهم ولو خمسين غرابا لمات معظمهم من الخوف .

وبعد التطرق إلى هذا الظرف الخاص بحالة العثمانيين، إقترح على الشخص الذي يتزعم السفن الإسبانية أن يعجل بالقدوم، ومنح له أجل ثمانية أيام، وفي نهاية الرسالة أصر على قدوم الإسبان في الأمان والسلم . ويمكن اعتبار تحديد آجال قدوم القوات الإسبانية بثمانية أيام أن عمر أولقاضي أولى وأعطى أهمية بالغة و قصوى لمشروع نزول الإسبان في إحدى موانئ

---

[1] – أرشيف سيمانكاص رقم E 192 . رسالة عمر بن القاضي إلى ابن أخيه عبد الله .

بلاده، وبالتالي كان يريد القضاء على الأتراك بكل الوسائل وبالتالي فقد كان يطبق شعار الغاية تبرر الوسيلة[1].

**خاتمة :**

مما سبق ذكره، يمكن القول أن العلاقات بين مملكة كوكو وإسبانيا كانت متذبذبة من فترة لأخرى فمنذ تأسيس هذه المملكة حتى سنة 1519 كان هناك عداء وحرب ، إذ شارك أحمد أولقاضي في حملات الإخوة بربروس لتحرير بجاية عدة مرات، ولتحرير تلمسان .

وفي سنة 1541، وقع تحالف بين الملك سيدي الحسين والإسبان للإستيلاء على مدينة الجزائر، ومعنى ذلك تحسن العلاقات بين الطرفين، ثم أصبحت العلاقات سيّئة عندما تولى حكم الجزائر حسن بن خير الدين، نظرا لعلاقة المصاهرة التي حصلت بين هذا الأخير وملك كوكو إذ تزوج ابنته .

ثم أصبحت العلاقات جيدة في عهد اعمر أولقاضي، إذ تبادل الطرفان الرسائل التي بموجبها ترسل إسبانيا السلاح والهدايا إلى كوكو واتفق الطرفان على نزول الإسبان في أزفون لولا إجهاض المؤامرة من طرف العثمانيين، وكان سلطان كوكو مصرا على التحالف مع الإسبان للهجوم على مدينة الجزائر وطرد العثمانيين منها، خاصة لمَا أصبحت علاقاته بالعثمانيين سيّئة ومع السكان أيضا نظرا لحكمة الإستبدادي.

---

[1] – نفسه.

وبعد مقتل اعمر أولقاضي، عادت العلاقات الحسنة مع العثمانيين وأصبحت المملكة كأنها تابعة لهم ، وبالتالي تراجعت قوتها وبدون شك كانت العلاقات سيّئة مع الإسبان .

**الفصل الثالث:**

## علاقات مملكة كوكو بمملكة آث عباس

### تمهيد

عندما تأسست مملكة كوكو في الجهة الغربية لمنطقة القبائل، ظهرت مملكة أخرى في الجهة الشرقية لنفس المنطقة ألا وهي مملكة آث عباس التي بدأ تاريخها يتم يظهر مع الأمير أبو العباس عبد العزيز الذي كان سلطانا على بجاية باحتلال الإسبان لبجاية في جانفي 1510، وكان هذا السلطان مرتبط بمملكة الحفصيين. والسؤال المطروح كيف كانت العلاقات بين المملكتين آث العباس وكوكو؟ وقبل ذلك نقدم لمحة حول مملكة آث عباس.

### 1- لمحة موجزة حول قلعة آث عباس:

يكتنف تاريخ تأسيس قلعة آث عباس الغموض، وفيما يلي نقوم بسرد روايتين تطرقتا إلى نشأة هذه الإمارة وهما:

الرواية الأولى، وهي التي تطرق إليها الدكتور يحي بوعزيز، مفادها أنه خلال النصف الثاني من القرن 9هـ/15م، ترك الأمير عبد الرحمان جبل عياض بالمعاضيد، وإنتقل إلى منطقة البيبان من سلسلة جبال الونوغة، حيث إستقر في البداية بموقة، فالشواريخ، وفي الأخير بقلعة آث عباس، الواقعة في شمال غرب سهل مجانة، داخل المنطقة الجبلية الغربية وعلى الضفة اليمنى لواد الساحل الذي يفصل بين قبيلتي آث عباس وقبيلة زواوة من إمارة كوكو التي كانت مقر حكم آث القاضي.[1]

وكما يذكر أعيان القلعة وشيوخها أنه كان بها برج حراسة حمادي يطلق عليه بالأمازيغية إسم (أخريب أوزيري) ومعناها خربة بني زيري والتي تقع في الجزء العلوي الأيمن من طريق القلعة، أي في الجهة اليمنى الشمالية الشرقية العليا من حي أولاد عيسى بالقلعة، وقد ذكر يوسف بنوجيت نقلا عن المريني، أن قلعة ونوغة التي ذكرها هذا الأخير ما هي إلا قلعة آث عباس[2].

حسب بعض المؤرخين مثل صالح عباد، فإن قلعة آث عباس يمكن أن تعود للحماديين بعد رحيلهم من قلعتهم بالمسيلة، بسبب الضغط الذي مارسته القبائل العربية الهلالية في القرن 11م، إلا أن القلعة كانت قد بنيت وأعيد بناؤها، وجعل منها إمارة آث عباس والتي إمتد نفوذها من جنوب جرجرة إلى الحضنة. فعاش عبد الرحمان بها إلى أن وافته المنية 905هـ/1500م.

---

1 – نبيل بومولة، المرجع السابق، ص79.

2 – عبد الحميد بودرواز، قلعة بني عباس ببجاية ما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر الميلاديين والعاشر والثالث عشر الهجريين– دراسة أثرية نموذجية – مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الآثار الريفية والصحراوية، جامعة الجزائر، معهد الأثار، 2011/2010. ص.24.

والرواية الثانية هي التي ذكرها كل من العشماوي وفيرود، بحيث قال الأول أن المقرانيين صنف من الأشراف، وأنهم من سلالة سيدي بوزيد بن إدريس الثاني، من سلالة الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما ذكر أولاده الأربعة (أولاد سيدي بوزيد): محمد، علي، عبد الله، وعبد الرحمان، ويقول بأن هذا الأخير إستقر في بلاد بجاية، وخلفه إبنه أحمد بعد وفاته، كما يشير كذلك إلى إتصال آث عباس بالنسب الشريف.

أما فيرود، فقد ذكر بأن العائلة المقرانية ممثلة في جدها الأول عبد الرحمان على أنه يعود إلى العائلة الملكية الإدريسية بالمغرب الأقصى، والذي خرج منها هذا الأخير، حيث أعطاه هذا النسب الشريف أصلا لهذه الشجرة العرقية التي تميزت بالنبل الديني لعشرين جيلا بعده.[1]

جاء في بداية كلام فيرود أيضا، أن الإنطلاقة الفعلية لهذه العائلة وتواجدها كانت من خلال وقفة الأمير عبد الرحمان الشجاعة مع سكان آث عباس ضد سوء المعاملة التي كانوا يتلقونها من لدن أمراء كوكو، وأعطاهم فكرة بناء القلعة، وأصبحت منطقة تحت حكم أحفاده من بعده، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد أورد فيرود كلاما آخر، وهو أن سي عبد الرحمان عندما كان يدرس في كوكو، أثار غيرة معلمه عمر بن القاضي نظرا لجدارته العلمية وتفوقه، وبسبب ذلك قام عبد الرحمان بالإنتقال إلى الضفة اليمنى لواد الساحل، إلى جبال آث عباس بالضبط، حيث إستقر هو[2]وعائلته في المنطقة المسماة بالقرّابةTaqerrabt* حيث أنشأ مدرسته بها.

---

1 – عبد الحميد بودرواز ،المرجع السابق، ص.25.

2 – نبيل بومولة، المرجع السابق، ص.81.

* القرابة: بالقبائلية تقرابت، هي عبارة عن غرفة ملحقة بالزاوية أو المدرسة يدفن فيها المرابط وأفراد عائلته من بعده.

وأدت شهرته بعد ذلك إلى جلب الأنظار إليه، وإلتف حوله عدد كبير من الأتباع والمريدين بسرعة، ومنذ هذه الفترة بدأ العمل على ربح الأتباع، وجاء بعد سنوات الحدث الذي سجل بداية حكمه لسكان الضفة اليمنى من واد الساحل، إذ بتخلص آث عباس من سلطة إبن القاضي الجائرة، وظهور شخصية عبد الرحمان الصانعة لمسرح الأحداث، أصبح أميرا على سكان آث عباس، فأصبح رجل السلطة الدينية والعسكرية، وبعد فترة ليست ببعيدة من إنطلاق اللبنة الأولى لتأسيس القلعة توفي الأمير عبد الرحمان في عام 1500م، ودفن بالقرابة، ولا تزال هذه الأخيرة محترمة من طرف سكان القلعة [1].

مما سبق يمكن أن نقول، أن قلعة آث عباس أول ما ظهرت في العهد الحمادي، بعد إنتقال الحماديين من القلعة في المسيلة إلى ظهور بجاية الناصرية خلال زحف بنو هلال على قلعة الحماديين بالمسيلة. وكانت قلعة آث عباس في تلك الفترة ما هي إلا تجمع سكني وضع به برج مراقبة. وكانت الإنطلاقة الفعلية لها بعد الفترة الموحدية، ثم الفترة الحفصية كإمارة ذات وزن في مسرح الأحداث، وبدأ ذلك منذ عهد عبد الرحمان في القرن 9هـ/15م، ثم في عهد ولده أحمد الأول 1500-1510 آنذاك، وشهدت أزهى وأقوى أيامها، وبلغت ذروتها في عهد عبد العزيز 1510-916/1559هـ-966هـ. وواصلت على ذلك المنوال مع فترة حكم أخيه أحمد أمقران 916/1559هـ-1600م/1007هـ، ثم عاشت مرحلة الضعف والإنهيار على يد سي الناصر، ثم ضاعت القلعة بعد وفاته[2].

## 2- علاقة ملوك كوكو بالقبائل الواقعة في الضفة اليمنى من واد الساحل

تعوّد أمراء كوكو أن يستبدوا بالقبائل الواقعة وراء واد بجاية (في الضفة) اليمنى منه، وكان من بين هذه القبائل عرش آث عباس، إحدى ضحايا ظلم وجور قبائل كوكو، الذي

[1] - عبد الحميد بودرواز، المرجع السابق، ص26.

[2] - نبيل بومولة، نفس المرجع، ص92.

مارسته في ظل حكمها عليها، ومن بين العادات السيئة التي كان يقوم بها أهل كوكو، وكانت وراء توتر وسوء العلاقات بين الإمارتين، هي حادثة وقعت بأحد أسواق آث عباس بالقرب من إغيل علي* [1].

وكان سي عبد الرحمان شاهدا عليها، حيث أنه في كل أسبوع يجبر حوالي أربعمائة فرد من آث عباس، بأن يقوم كل إثنين منهم بحمل عمود خشبي على كتفيهما حيث تعلق عليه الشاة بعد ذبحها وسلخها وتُعرض للبيع ويستمر ذلك طوال اليوم، بدون مقابل ومن دون معارضة منهم على هذا الفعل، ولما رآى الشيخ عبد الرحمان (جد أولاد مقران) هذا الفعل، غضب من ذلك وأمر شيخ السوق موبخا له، الكف عن هذا العمل، فما كان من رد شيخ السوق إلا القول: "إن الأمر لا يعنيك، وإن هذه العادة قديمة، لست أنا من يغيرها"، فقام الشيخ عبد الرحمان بعقد إجتماع مع شيوخ آث عباس لتخليصهم من عبوديتهم وتعاستهم، بوضع الحد لهذه المعاملة فما كان منهم غير الخوف والخذلان، ووضع لهم الشيخ خطة عسكرية محكمة لإزالة الظلم عنهم، والتخلص من الإستبداد الذي يمارسه أمراء كوكو، وهكذا أخذ آث عباس إستقلالهم عنهم.[2]

---

[1] - نفس المرجع، ص122

*إغيل علي: إحدى القرى التابعة لبني عباس سابقا، وهي الآن دائرة من دوائر ولاية بجاية تبعد عنها نحو 70 كلم وتقع غرب القلعة.

[2] - عبد الحميد بودرواز، المرجع السابق ، ص38

[2] - نبيل بومولة، المرجع السابق، ص.123.

وفيما يخص عبد الرحمان، فإنه بعد زيادة حسد معلمه عمر بن القاضي له، قام بالرحيل نحو منطقة القلعة وإستقر فيها، ووضع قاعدة وسياجا لحكمه.(1)

### 3-علاقة التحالف بين المملكتين

شهد عهد عبد العزيز أمير القلعة وأحمد بن القاضي أمير كوكو أول إتفاق من نوعه بعدما إجتمعا للإتحاد مع خير الدين باشا على محاربة الإسبان ببجاية عام 921/1515هـ، وتقدموا للقضاء على الإسبان، إلا أن النتيجة هي الإخفاق (2).

تطرق المؤرخ محفوظ قداش عن روابط الدم إلتي أدت إلى تقوية التحالف بين كوكو وقلعة آث عباس و ذكر ما يلي : "تحالف زعيم قلعة آث عباس، التي كانت قوتها في تزايد، مع ملك كوكو، وتزوج بإبنته، وشكل جيش قوي وهدد بجاية، وإستولى على المدينة في سنة 1559".

تُبين لنا هذه الفقرة، طموح السلطان عبد العزيز في إنتزاع بجاية، عاصمة أجداده من أيدي الأتراك.(3)

---

2 – عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 3،شركة دار الامة للطباعة و النشر 2010، ص37.

3 - (youcef) Benoudjit, *la kalaa des beni abbas,* alger, ed, dahleb, 1997, p.248

وهناك حدث آخر هام وقع في نفس الفترة، يتمثل في التحالف المبرم بين آث عباس وقبائل كوكو، والذي وقع في تاريخ 1553. وتطرق إليه مؤلفين جزائريين وهما مولود قايد والأستاذ محفوظ قداش. كتب مولود قايد:"أن عبد العزيز بفضل تدخل كبار مرابطي الصومام وجرجرة، إقتربوا من بلقاضي من أجل تحقيق سلم دائم وتحالف ضد العدو المشترك، و بمقتضى ذلك يجهز بلقاضي نفسه في جرجرة، وعبد العزيز في البيبان والصومام الذي تحرش بالقيادات التركية أينما وجدت بجوارها.(1)

من خلال ما ذكره المؤلف محفوظ قداش ومولود قايد، يتبين لنا أن هناك فترات وأحداث تعاونت فيها المملكتين، مملكة كوكو وقلعة آث عباس، وهناك نقاط مشتركة فيما بينهما، مثل علاقة المصاهرة التي تطرق إليها الأستاذ محفوظ قداش، والمؤلف مولود قايد الذي أشار إلى تدخل المرابطون وإقترابهم من كوكو بهدف تجسيد سلم دائم وتحقيق تحالف ضد العدو المشترك وهو العثمانيون.

إذن، نستنتج من هذا أن المملكتين لم تكن دائما في عداء كما يحلو للكثير ذكر ذلك، بل هناك بعض الفترات التي تفاهمتا فيها وتحالفتا.

**4- فترات التوتر والعداء**

عندما فر خير الدين من مدينة الجزائر إلى جيجل في سنة 1520، إستطاع أن يستميل إليه الأرياف المجاورة وقلعة آث عباس وبالتالي تحالف معها(2).

يقول مرسييه في هذا الصدد: "تفرغ خير الدين في غضون 1520-1525م، لتوطيد علاقاته مع عبد العزيز، زعيم البربر في قلعة بني عباس، ومنافس أحمد بن القاضي، زعيم كوكو، ومن ثم بسط نفوذه شرقا إلى غاية قسنطينة، وبعث علاقاته مع الجزائر التي رحب

---

1 - Idem, p.24,7.248 .

2 - مذكرات خير الدين بربروس، ص127.

سكانها به بسبب تذمرهم من سيطرة القبائل وفي سنة 1525، أدرك أن الوقت قد حان لإعادة غزو مملكته بقواته، وقد أيدته قوات عبد العزيز، وإتجه غربا لمواجهة ومحاربة إبن القاضي، في وادي بوغدورة ..."

وأشار المؤرخ الفرنسي بربروجر، إلى تحالف آخر بين آث عباس والعثمانيين وقع في سنة 1550، وكتب في هذا الصدد: "ظهر زعيم بني عباس في الساحة السياسية حوالي سنة 1550، هو الذي لم يذع صيته إلى ذلك الحين، ليغدو أولا صديقا للأتراك، لهذا كان سكان كوكو المجاورون لقبيلته والمخاصمون له أعداء للأتراك ..."[1].

إستعمل الأتراك سياسة فرق تسد، من أجل فرض سلطتهم على منطقة القبائل، وبهذا خلقوا الخصومة والعداوة بين آث عباس وآث القاضي، وكانت الخطة والإستراتيجية تتمثل في التحالف مع إحدى العائلتين لإضعاف الأخرى، أدت هذه السياسة على العموم إلى نتائج مرضية للعثمانيين، هكذا عندما شن البايلرباي حسن بن خير الدين حملة على قلعة آث عباس ووصل إلى مقرها، كان ذلك بتدعيم وتأييد ملك كوكو، وكان ذلك في سنة 1559 [2].

عندما حلت سنة 1559، كانت العلاقة سيئة للغاية ما بين قلعة آث عباس والعثمانيين، وبالتالي أعلن هؤلاء الحرب ضد حاكم القلعة، بمساعدة كوكو.

وكان الشيخ عبد العزيز قد رفض من قبل طلب حسن باشا للزواج من إبنته، ومن هنا فإنه كان يتوقع أن يهجم عليه العثمانيون، لأن رفض يد إبنته لإبن بربروس يعتبر إهانة كبيرة لا يمكن للعثمانيين أن ينسوها، وإستعمل عبد العزيز حرب العصابات.

1 - (youcef) Benoudjit,op.cit,p135

2 - (Settar) ouatmani, *« le royaume" de koukou et ses relations avec les principaux pouvoirs politique présents en kabylie,* ACTES journée d'étude sur: le royaume de koukou », HCA maison de la culture, mouloud mammeri, tizi ouzou, 2010, p40 .

وكان العثمانيون غير متعودين على هذا النوع من الحروب، وقاوم حاكم القلعة بشجاعة، وكانت المعارك تسير لصالح القلعة، لولا ذلك الرمح الذي إخترق صدر عبد العزيز وأردته ميتا. وكان ذلك في سنة 1560، وعوضه أخوه سيدي أمقران الذي قاوم ووقف في وجه مختلف الهجمات، وفي الأخير لما تعب الأتراك ورؤوا بأن تقلبات الأحوال الجوية في الشتاء على الأبواب أوقفوا الحصار ورجعوا إلى مدينة الجزائر.

وفي سنة 1590 كانت العلاقات سيئة جدا بين الأتراك والقلعة، وأرسل خيضر باشا حملة عسكرية كبيرة، بمساعدة مملكة كوكو. وبوصولها إلى آث عباس سيطرت على البلد وقام العثمانيون بحرق المحاصيل الزراعية وقطع أشجار الفواكه، لكن رغم ذلك قاوم السكان وأرادوا الإنتقام مما حدث لهم.

وحاصر العثمانيون القلعة لمدة شهرين، ولما تدخل أحد المرابطين توقفت الحرب بين الطرفين، ووقع الطرفان على الهدنة وإنسحب الأتراك[1] وكان هذا المرابط أخبرهم أنه عار كبير، وذنب كبير أمام الله أن تندلع الحرب بين أميرين مسلمين، وهذا ما يضعفهم وهو في صالح المسيحيين[2].

مما سبق ذكره عن فترات التوتر بين المملكتين كوكو والقلعة يتبين لنا ، أن العثمانيين إستعملوا سياسة فرق تسد لتجسيد أهدافهم، وبالتالي كانوا يميلون إلى إحدى المملكتين لضرب الأخرى والعكس صحيح، فكلما ساءت علاقتهم مع إحدى المملكتين تحالفوا مع المملكة الأخرى، مثلما حدث ما بين 1520 و1525 عندما فر وغادر خير الدين مدينة الجزائر وإلتجأ إلى جيجل، فما كان له إلا أن يتصل بأمير آث عباس وساعده عندما إندلعت الحرب مجددا بين خير الدين وأحمد بن القاضي وإنتصر العثمانيون.

---

1 - ( S)Boulifa, op.cit. pp.110.111.
2 - (D). de haedo, op.cit. p.208

وفي سنة 1550 لما تحسنت العلاقات بين العثمانيين والقلعة كانت من جهة أخرى سيئة مع كوكو. وفي سنة 1559 لما شن العثمانيون الحرب على القلعة، كان ذلك بمساعدة كوكو.

ولما رفض أمير القلعة طلب الزواج حسن باشا من إبنته، قبل ملك كوكو إعطاء إبنته لتتزوج بحسن باشا.

وفي حرب 1590 كانت العلاقات سيئة أيضا ما بين كوكو والقلعة، والدليل على ذلك مساعدة كوكو للعثمانيين في هذه الحرب.

**خاتمة**

مما سبق ذكره، يمكن القول أن العلاقة ما بين كوكو والقلعة كانت غالبا متوترة، وهذا يعود إلى عدة عوامل ومنها التنافس السياسي والعسكري والإقتصادي ما بين المملكتين، فكل مملكة تريد إبراز قوتها وسيطرتها وهيبتها، وهذا ما إستغله العثمانيون لتحقيق مآربهم بإتباع سياسة فرق تسد، خاصة وأن منطقة القبائل ذات أهمية إستراتيجية للعثمانيين لأنها تتحكم في الطريق الرابط ما بين بايلك الشرق ودار السلطان، وعن طريقه تصل الضرائب والمنتوجات والهدايا من قسنطينة إلى مدينة الجزائر، ومن جهة أخرى فإن منطقة القبائل تزخر بالثروة الخشبية التي تستعمل في بناء السفن.

ورغم سوء العلاقات ما بين المملكتين، فإن ذلك لا يخلو من بعض الفترات التي تحسنت فيها العلاقات مثلما حدث في سنة 1515 عندما إتفق عبد العزيز وأحمد بن القاضي مع خير الدين لمحاربة الإسبان في بجاية، بالإضافة إلى التحالف الذي وقع ما بين المملكتين في سنة 1553.

والأهم من كل ذلك، أن ظهور مملكتين قويتين في منطقة القبائل يدل على أن سكان المنطقة يتميزون بالنضج والقدرة على التنظيم، وأظهر رجالها شجاعتهم و قوتهم في الحروب، هذا ما جعل العثمانيون والإسبان يدرجونها في حساباتهم ويسعون إلى إستمالتها بشتى الوسائل.

# خـــاتــمـة

**خاتمة:**

بعد البحث والتحري في مختلف المصادر والمراجع وفي الميدان أي في المناطق التي تطورت فيها مملكة كوكو مثل قرية كوكو، وقرية أورير في آث غوبري، وبجوارها قرية أشلام التي دفن فيها الملك الأول أحمد أو لقاضي وصلنا إلى جملة من النتائج وهي:

أن أصول مملكة كوكو رغم اختلاف الروايات والآراء حولها، فإنها تشترك في الأصل الديني، فقرية كوكو هي التي أسس فيها أحفاد اعمر بن ادريس ،الذين انتقلوا بعد سقوط الأدارسة في المغرب الأقصى إلى كوكو في جرجرة ثم أسسوا زاوية، والرأي الأقرب إلى الحقيقة هو ما ذكره سعيد بوليفة معتمدا على الروايات الشفوية والذاكرة الجماعية التي جمعها من سيباو الأعلى، فحسب هذا المؤلف فإن جدّ العائلة هو القاضي الكبير الذي اشتغل في بجاية أثناء الحكم الحفصي لها، والذي أغتيل بعد مؤامرة الحساد عليه، ألا وهو أبو العباس الغبريني، وبما أنه كان قاضي القضاة، أطلق على أحفاده آث القاضي، أما الاسم الحقيقي للعائلة حسب الذاكرة الجماعية من قرية أشلام فهو آث أُومسعود لكن بسبب شهرة هذا القاضي أصبحت العائلة تسمى آث القاضي، وإلى حد الآن توجد عائلات تحت اسم بلقاضي، قاضي، ونايت أومسعود،ايت اومسعود، وهذا الاسم الأخير يوجد في أشلام.

أما ما يتعلق بتأسيس مملكة كوكو فهو مرتبط بالظروف التي كانت سائدة في المنطقة، وفي شمال إفريقيا، إذ سقط آخر معقل في الأندلس وهو غرناطة، وبعد ذلك قامت إسبانيا باحتلال بعض المدن مثل المرسى الكبير وبجاية وعنابة، وكان أحمد اولقاضي حاكما لعنابة التابعة للحفصيين، ثم جاء إلى عرش أجداده وهو آث غوبري وأسس مملكة كوكو في قرية أورير في سنة 1511م، وتحالف وتعاون مع الإخوة بربروس حتى سنة 1518.

وبخصوص الأطوار التي مرت بها المملكة، يمكن التمييز بين مرحلتين فالمرحلة الأولى التي بدأت بتأسيس المملكة على يد أحمد الذي كان في بداية الأمر متعاونا ومتحالفا مع الإخوة بربروس وساهم في تحرير جيجل من الجنويين، وشارك مع الإخوة بربروس في محاولات تحرير بجاية، لكن بدون جدوى وبعد ذلك تحوّلت العلاقة إلى تنافر وعداء واستطاع أحمد اولقاضي

التغلب على العثمانيين رغم قوّتهم وهيبتهم في البحر الأبيض المتوسط، ثم استولى على مدينة الجزائر وحكمها ما بين خمسة وسبع سنوات.

وفي منتصف القرن 16م تحالف العثمانيين وعلى رأسهم حسن بن خير الدين مع مملكة كوكو، وذلك بعد أن تزوّج بابنة ملك كوكو، ويبدو أن الهدف من ذلك ضرب قلعة آث عباس، وهذا ما حدث بالفعل عندما شاركت قوات كوكو في حرب 1559م على القلعة إلى جانب العثمانيين.

واختتمت المرحلة الأولى بعهد الملك اعمر اولقاضي الذي كان حكمه استبداديا فساءت علاقاته مع السكان ومع العثمانيين، وكانت له مراسلات عديدة مع ملوك الإسبان للتعاون ضد حكم العثمانيين، متبعا سياسة الغاية تبرر الوسيلة، لكن بدون جدوى، ورغم أنه فرض الأمن في المملكة إلا أن طبيعة حكمه المتميزة بالجور والظلم أدت بخصومه إلى قتله.

ثم بدأت المرحلة الثانية وهي مرحلة إبوختوشان وبدأت بمجيء ابن عمر اولقاضي حند اولقاضي من تونس إلى كوكو لاسترجاع الثأر، فكان له ذلك، ثم استقر في أورير وشيّد عاصمة أخرى اقتصادية في جمعة الساريج، فكان عهده عهد رخاء وأمن وازدهار.

وقبل وفاته ظهر صفين بسبب قضية العناية، الصف الأعلى أسَسه ابنه أُرخو في إفناين، والصف الأسفل أسسه ابنه الآخر علي، وبقي مع والده، ومن هنا بدأت ظاهرة الصفوف في منطقة القبائل، حسب بعض المفكرين، وبالتالي فقدت الأسرة هيبتها المعروفة خاصة بمصاهرة الباي محمد بن علي المعروف بالّذبّاج لابنة ملك كوكو.

وحسب الوثائق الهامة التي تتمثل في الرسائل التي بعث بها السلطان العثماني نفسه إلى ملك كوكو وخاطبه باسم أمير كوكو وهو احمد اولقاضي بهدف التعاون مع الإخوة بربروس ضد ما وصفه بالكفار ويقصد بهم الإسبان، هذه الرسائل تدل على اعتراف ما يسميه العثمانيون " الصدر الأعظم " بمملكة كوكو وبأميرها وتدل على دور هذه المملكة في الأحداث التي كانت تجري في البحر الأبيض المتوسط، وكذلك في الذد والدفاع عن السواحل الجزائرية من القراصنة الإسبان.

وبخصوص العلاقات مع العثمانيين، يمكن القول بأنها كانت متذبذبة من عهد لآخرتبعا للظروف الداخلية الخارجية، فبعد أن كانت حسنة حوالي تسع سنوات، توترت بعد مقتل عروج، وهناك محاولة للتحالف من طرف ملك كوكو محمد، الذي حكم بعد سيدي الحسين، مع شارلكان.ثم تحسّنت في عهد حسن بن خير الدين، وتعاون الطرفان ضد قلعة آث عباس، وفي عهد اعمر ولقاضي توترت كثيرا العلاقات مع العثمانيين، وحتى مع السكان الذين استاؤوا من طريقة حكمه وطغيانه، لكن في نفس الوقت تحسنت كثيرا العلاقات مع الإسبان ووصلت إلى حد التحالف لاحتلال مدينة الجزائر قصد طرد العثمانيين، والرسائل الأصلية الكثيرة تدل على ذلك، وكانت هناك مراسلات بين الطرفين، وكان ملك كوكو يخبر الإسبان بكل صغيرة وكبيرة، تخص الظروف التي يمر بها العثمانيين، بهدف استغلال الظروف الحرجة التي كان يعيشها هؤلاء أحيانا، من أجل التعاون ضدهم، إلا أن النتيجة النهائية لهذه المراسلات لم تتجسد في الواقع، وبقيت حبر على ورق، لكن من جهة أخرى، كانت تلك المراسلات اعترافا من الإسبان بمملكة كوكو وحكّامها، وحتى الكثير من المؤلفين الإسبان كانوا يطلقون هذه التسمية على كوكو.

وما نستخلصه أيضا من العلاقات بين مملكة كوكو وقلعة آث عباس أنها كانت سيئة بسبب التنافس بين الطرفين على بسط النفوذ، وساهمت اسبانيا والعثمانيين في تغذية هذا الشقاق بجذب أحد الأطراف ضد الآخر، أما العثمانيين فقد اتبعوا سياسة فرّق تسد، لتحقيق مآربهم، ومنع ظهور قوة محلية تهدد وجودها .في الوقت الذي لم تتفطن فيه المملكتين كوكو و آث عباس إلى ذلك، وأصبح ذلك وبالا عليهما.

إلا أن هذه العلاقات التي ربطتها مملكة كوكو مع العثمانيين، بدءا بالتعاون لتحرير جيجل وبجاية وبعث الرسائل من الباب العالي إلى ملك كوكو، طالبا منه التعاون مع الإخوة بربروس هذا من جهة والعلاقات التي كانت مع الإسبان في عهد اعمر اولقاضي، تدل على إعتراف الإسبان بهذه المملكة، وكل طرف عمل بحكمة " عدو العدو صديق. كل هذه العلاقات تدل على أن عائلة اولقاضي قد أسست مملكة فعلا.

وكان لهذه المملكة حدود، تغيرت بتغير الظروف التاريخية، بلغت، إلى وادي الساحل شرقا وإلى مدينة الجزائر غربا بعد انتصار أحمد ولقاضي على خير الدين، وكان لديها عدة عواصم مثل أورير و كوكو وجمعة السهاريج.

ومن بين النتائج الأخرى التي توصلنا إليها، نذكر الدور الفعال الذي قام به جيش المملكة عبر مختلف مراحلها، ففي عهد الملك الأول أحمد اولقاضي وأثناء التعاون والتقارب مع الإخوة بربروس شارك جيش المملكة، رغم تواضع إمكانياته ،في شن حملات عسكرية على مدينة بجاية عدة مرات لتحريرها من الاحتلال الإسباني، بالرغم من عدم الوصول إلى تحقيق ذلك، وشارك أيضا في تحرير جيجل من الجنويين، وشارك أيضا إلى جانب العثمانيين وساهم في تحرير مدينة بجاية سنة 1555م، وشهد المعاصرون لهذه المملكة بوجود جيش قوي، بما في ذلك الرماة والفرسان، وكانوا يتميزون بالشجاعة والتجربة، وتضاعف عدد العساكر عدة مرات في عهد اعمر اولقاضي.

وبالإضافة إلى ذلك هناك الكثير من رجال الزواوة في الأسطول الجزائري، وأظهروا شجاعتهم في عرض البحار.

وفي الميدان الاقتصادي، ازدهرت الفلاحة فتوفر القمح والشعير والزيتون والتين والعنب والعسل، ووجدت بساتين تستعمل الري، تنتج كل أنواع الفواكه.

وفي الميدان الصناعي، وجدت مناجم الحديد ويتم صنع السيوف والخناجر والرماح، أي الصناعات الحربية، بالإضافة إلى صناعة المجوهرات والنسيج، وكانت منطقة القبائل عشية الاحتلال من بين المناطق الأكثر تصنيعا في الجزائر.

أما التجارة ،فقد كانت رائجة داخليا وخارجيا، ففي الداخل كانت المملكة تستعمل المقايضة بين مختلف العروش، وفي الخارج كان هناك تبادل تجاري مع الدول الأجنبية، إذ كان تجار مرسيليا يأتون بسلع أوربا مثل الفولاذ مقابل السلع المحلية كالجلود والشمع والعسل والزيوت،

وكان للمملكة ميناء أزفون، وبالإضافة إلى ذلك كانت تالمملكة تستعمل عملة تسمى البياستر الإسبانية، وتستعمل أيضا الريال شكوتي، وهي عملة التجارة الأوربية في الجزائر.

وفي المجال الثقافي، ظهرت الكثير من الزوايا التي كانت معاقل للعلم والمعرفة، مثل زاوية منصور الجنادي، وزاوية علي أوطالب، وكانت تدرس القرءان واللغة العربية والحساب والهندسة، وعلم الفلك ولعبت دورا هاما في توعية المجتمع.

مما سبق ذكره يمكن أن نصل إلى حقيقة تاريخية هامة مفادها ،أن ذلك التنظيم السياسي، الذي كان مصدره آث القاضي يمكن اعتباره " مملكة فهي لفترات عديدة كانت مستقلة عن العثمانيين وتعاملت معهم تعامل الملوك، وتعاملت مع الخارج بحرية وباستقلالية وبسيادة وكان ملوكها يستعملون الطابع، مثل ما وقع في عهد اعمر ولقاضي، إلا أن هذه المملكة يجب النظر إليها بمفهوم ذلك العصر، إذ كانت لا تملك القصور الفخمة، مثلما هو الشأن في الممالك التي ظهرت في العصر الوسيط كالمملكة الزيرية، والحمادية ودولة الموحدون.

ووجود هذه المملكة إن دلّ على شيء فإنما يدل على الاستمرارية في الكيانات السياسية في شمال إفريقيا ككل ومنها الجزائر، إذ بإندثار المملكة الزيانية بتلمسان ورغم الأخطار العديدة التي كانت تحدق بالجزائر، مثل التحرش الإسباني الذي استولى على العديد من المدن الساحلية مثل بجاية عنابة، فقد ظهر هناك رد فعل تمثل في تأسيس مملكة كوكو في تاريخ ليس ببعيد عن تاريخ احتلال بجاية ألا وهو 1511م واستطاعت الصمود لأزيد من قرنين من الزمن، فهذا لا يتأتى لإمارة بسيطة أن تفعله.

وبخصوص المدة الزمنية الطويلة التي عاشتها هذه المملكة يمكن تفسير ذلك بحصانة الموقع الجغرافي للعاصمة كوكو و العديد من المناطق الاخرى مثل آث إيراثن .بالإضافة الى قوة المملكة خاصة في القرن السادس عشر و مطلع القرن السابع عشر، و علاوة عن ذلك تميزت سياسة مملكة كوكو بالمرونة، فعندما ترى ضرورة استعمال القوة تستعمل القوة عندما ترى ضرورة استعمال الليونة تلجأ الى استعمالها.

# قائمة المصادر والمراجع

# قائمة المصادر والمراجع

## I. المصادر

### أ. الأرشيف

**1. الأرشيف العام سيمانكاس بإسبانيا Archives générales**

قدمت لي من طرف الدكتور محمد ارزقي قراد

- رسالة من الملك اعمر أولقاضي إلى القبطان شارل E lego 192
- رسالة من الملك اعمر أولقاضي إلى القبطان الإسباني بنتورة192 E
- رسالة من الملك اعمر أولقاضي إلى ملك اسبانيا دون فليب192 E
- رسالة من الملك اعمر أولقاضي إلى المعظم ايركومارديا192 E
- رسالة من الملك اعمر أولقاضي إلى ولده عبد الملك192 E

**2. مخطوطات المكتبة الوطنية،**

**-مؤلف مجهول،غزوات عروج و خير الدين،رقم المخطوط1623،cd35،القياس 140x201**

**3. فتيحة بونفيحة،الإنتاج الفكري الجزائري و المخطوط في المكتبة الوطنية،بحث لنيل درجة الماجستير في علم المكتبات و التوثيق ،1999/1998**

- مخطوط رقم 3329
- مخطوط رقم 3140

**4. المركز الوطني الأرشيف**

- حكم إلى أمير كوكو في ولاية جزائر الغرب، مهمة دفتري، رقم 23 صحيفة 294، حكم رقم 633، تعريب محمد داود التميمي
- حكم الى أمير كوكو في ولاية جزائر الغرب، مهمة دفتري، رقم 23 صحيفة 349، حكم رقم 783، تعريب محمد داود التميمي.

**ب. المصادر المكتوبة باللغة العربية**

- مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر 2010م
- اين أبي دينارا( محمد) بن أبي القاسم، القيرواني، المؤنس في أخبار افريقيا وتونس، تونس 1993؛
- أبو العباس (أحمد) الغبريني، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تقديم رابح بونار 1981.

**ت. المصادر المكتوبة باللغة الأجنبية**

- Marmol (Carvajal), l'Afrique de marmol, traduction le nicolas perrot, frein d'ablancourt, T II, Paris
- Heado (Fray Diego) histoire des rois d'Alger ; traduction de Grammont, Adolphe Jourdan, Alger, 1881.

## II. قائمة المراجع

### أ. قائمة المراجع باللغة العربية

- بيات احمد،الولايات العربية في الوثائق العثمانية ،المجلدالأول تقديم خالدران، مركزالأبحاث التاريخ والفنون الإسلامية،إستانبول ، 2010
- بوعزيز يحي،علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1830/1500م، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 1980؛
- الجيلالي عبدالرحمان بمحمد، تاريخ الجزائر العام،ج3 ، ،شركة دار الامة للطباعة والنشر 2010
- إلتز (عزيز سامح)،الأتراك العثمانيون في إفريقيا االشمالية، ترجمة محمودعلي عامر، دارالنهضة العربية للطباعة والنشر، ط 1، بيروت 1989

- دراج محمد، الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1543/1512) الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011
- فرج محمد الصغير، تاريخ تيزي وزو منذ نشأتها حتى سنة 1954، تعريب موسي زمولي، منشرات ثالة، الجزائر، 2007
- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي1500-1830، ج 1، دار البصائر، الجزائر 2007
- سي يوسف محمد، مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي ثورة بوبغلة، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو 2000؛
- المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، ط 2 الجزائر 1976

## ب.قائمة المراجع باللغة الفرنسية

- AISSANI( Dj ), Elghobrini 1246-1314, hommes et femmes de Kabylie
- ADLI (Younes), la Kabylie à l'épreuve des invasions , des phéniciens à 1900 zyriab Ed 2004 ;
- ALAIN (Mahé), histoire de la grande Kabylie XIX –XX siècle ; anthropologie historique du lieu sociale, Ed Bouchéne, France 2001 .
- BENOUDJID (Youssef), la Kalaa des beni Abbas ; Ed Dahleb, Alger, 1997 .
- BERBRUGGER. (A), les époques militaires de la grande Kabylie, librairie générale de bestel, Paris 1857 .
- BERBRUGGER.( A), les turcs en Kabylie, belles-lettres, Alger, 2011
- BOULIFA. (S), le Djurdjura à travers l'histoire, depuis l'antiquité jusqu'à1830 ,Alger,1925,reédition en Algérie Ed j. Bringo ;

- CH. A, (Julien), l'Afrique du nord des origines à 1830, Ed Payot et rivages, Paris2
- DEVAUX.( G), les kébailes du Djurdjura,Etudes nouvelles sur le pays vulgairement appelés La grande Kabylie, Camoin Frères,Libraires Editeurs,paris, 1859
- DEGGMMONT. (H), histoire d'Alger sous la domination turque (1516-1830), Ed Alger 1887
- FEREDH. (M. S), histoire de Tizi Ouzou des origines à 1954, ENAP, Alger 1990, réed, Hammouda, 2000
- GENEVOIS.( H), « légendes des rois de Koukou » fichier périodique N°121, Alger 1974
- HANOTEAU ET LE TOURNEAU.(A), la Kabylie et les coutumes kabyles, Paris 1873
- KADDACHE (Mahfoud), l'Algérie des Algériens, de la préhistoire à 1954, office des publications universitaires, Edif Alger 2000
- LEONEL (Jule), la Kabylie de Djurdjura, 2 t, Paris 1877 ;
- NAIT DJOUDI. (O), Koukou : les lieux et les traces, 14 hommes et femmes de Kabylie, dir, salem CHAKER Edisud, Aix en Provence 2001 ;
- ROBIN.( J. N), la Kabylie sous le régime turc, présentation et note d'Alain Mahe, Paris, Ed Bouchene, 1999.
- SALHI (Mohamed Brahim), histoire économique, sociale et politique de la wilaya de Tizi Ouzou, CREAD, vol 1,1988.

## III. الرسائل والأطروحات

- شويتام أرزقي،المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، دار الكتاب العربي للطباعة، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، 2009
- بودرواز (عبد الحميد)، قلعة بني عباس ببجاية ما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر الميلاديين (العاشر والثالث عشر الهجريين)، دراسة أثرية نموذجية، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الآثار الريفية والصحراوية، جامعة الجزائر، معهد الأثار 2011.

- بومولة (نبيل)، صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني، إمارة المقرانيين ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير،مطبعة دار هومة، الجزائر، 2013
- قاسمي (زين الدين)، قيادة سيباو ما بين 1720 و1857، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، معهد التاريخ 2007

## IV. المجلات باللغة الأجنبية

- Boyer. (P), l'Espagne et Koukou, les négociations de 1589-1610 in ROMM, Aix en Provence, N°8, 1970
- Le clerc, Koukou, l'ancienne capitale de la Kabylie, R A , 1857

## V. الملتقيات

- أرزقي شويتام، إمارة كوكو (1511-1767)؛

In Actes journée d'étude sur le Royaume de Koukou, maison de la culture Mouloud Mammeri, Tizi Ouzou, 2010 .

- أرزقي شويتام، سياسة العثمانيين في بلاد الزواوة؛

In Actes journée d'étude sur le Royaume de Koukou maison de la culture Mouloud Mammeri, Tizi Ouzou, 2010 .

- أرزقي شويتام، دور القوى المحلية في الجزائر في ظل الحكم العثماني؛

In Actes journée d'étude sur le Royaume de Koukou, maison de la culture Mouloud Mammeri, Tizi Ouzou, 2010 .

- Nait Djoudi.( O), le royaume de Koukou chronologie et géographie des lieux,in Actes journée d'étude sur le royaume de Koukou,maison de le culture Mouloud Mammeri,Tizi ouzou,2010.
- OUATMANI (Settar), le royaume de Koukou et ses relations avec les principaux pouvoirs politique présents en Kétudeabylie,in Actes journée d'étude sur le royaume de Koukou,Maison de la culture Mouloud Mammeri,Tizi ouzou,2010.

# الملاحق

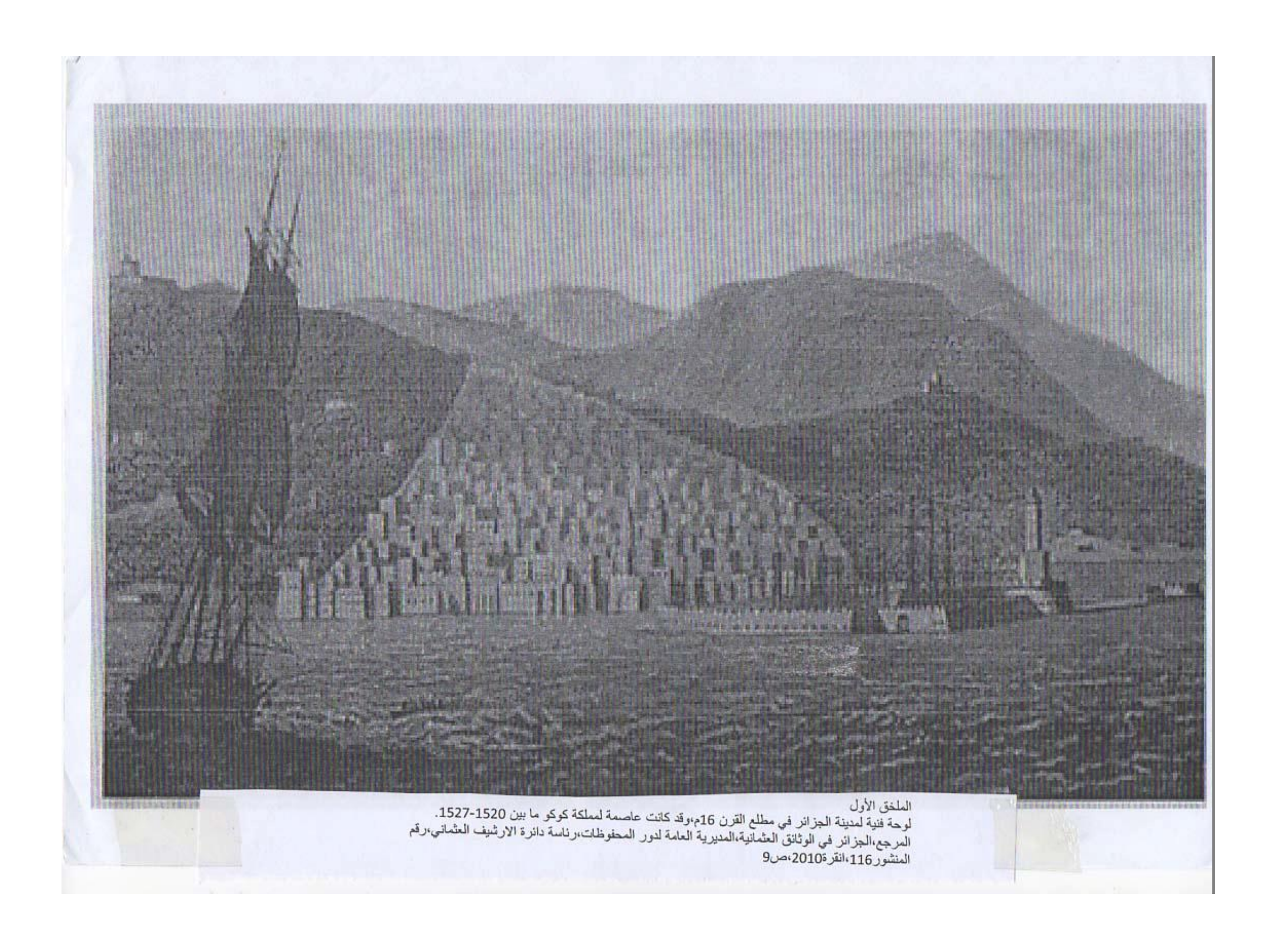
-اللوحات الفنية

-الصور

-الخرائط

# اللوحات الفنية و الصور المتعلقة بمملكة كوكو

## اللوحات والصور الفنية في كوكو



الملحق الأول
لوحة فنية لمدينة الجزائر في مطلع القرن 16م،وقد كانت عاصمة لمملكة كوكو ما بين 1520-1527.
المرجع،الجزائر في الوثائق العثمانية،المديرية العامة لدور المحفوظات،رئاسة دائرة الارشيف العثماني،رقم المنشور116،انقرة2010،ص9


الملحق الثاني
لوحة فنية لمدينة الجزائرمأخوذة من كتاب الجزائر في الوثائق العثمانية،تحت إشراف
يوسف صاريناي،ترجمة فاضل بيات،طباعة سيستام اوفسات،أنقرة، 2010 ،ص9
9
OSMANLI BELGELERİNDE CEZAYİR / الجزائر في الوثائق العثمانية
Cezayir'in Genel Görünümü

الملحق رقم:3



صورة لأزرو نلقلعه- صخر القلعة (الكاتب أوت2015)

الملحق رقم:4



صورة لأزرو نتعساسين - صخر  الحراسات (الكاتب أوت2015)

الملحق رقم:5



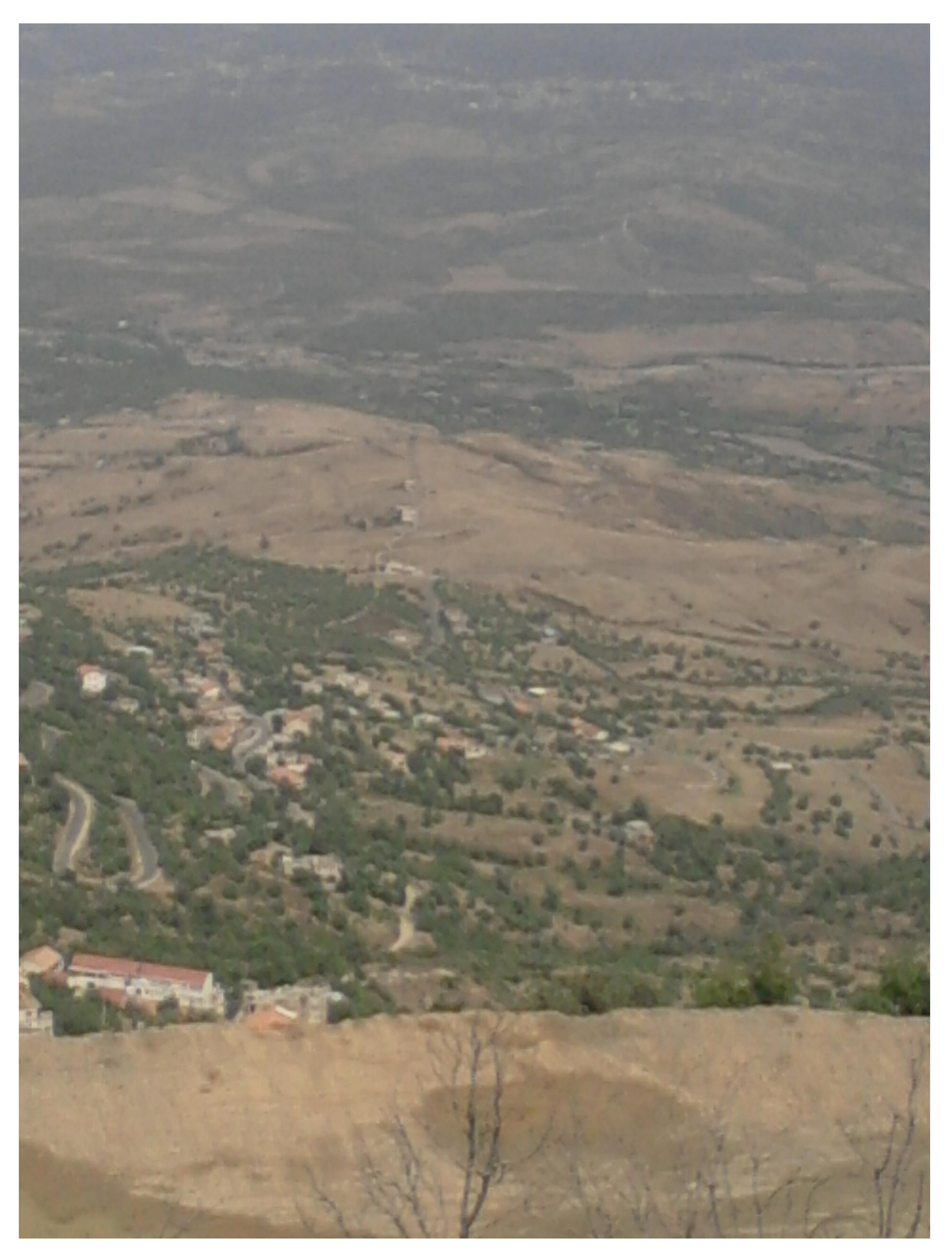
صورة ثيغيلت نْلَمْذافَع-قمّة المدافع(الكاتب أوت 2015 )

الملحق رقم:6



ضريح سيدي اوطالب- لمقام نسيدي علي اوطالب(الكاتب أوت2015)

الملحق رقم:7



صورة ثاجنانت نْتْعَلْجَتسْ- بستان ثاعلجتس(الكاتب أوت2015)

الملحق رقم:8



صورة ثاقرابث بُلقاضي - ضريح اولقاضي(الكاتب أوت 2015)

الملحق رقم:9



صورة ثيمقبرث ناث القلضي - مقبرة اولقاضي(الكاتب أوت2015)

الملحق رقم:10



صورة لإبريق يعود الى فترة حكم آث القاضي(الكاتب أوت2015)

الملحق رقم:11



صورة ثمازيرث نتقرابث- حديقة المقام (الكاتب أوت2015)

الملحق رقم:12



صورة ثابورث نسور - باب الصور(الكاتب أوت2015)

الملحق رقم:13



ملعقة تعود إلى فترة حكم آث القاضي (الكاتب أوت2015)

الملحق رقم:14

## صور المملكة في آث غوبري:

- في اشلام



لوحة فنية للملك أحمد اولقاضي موجودة في ضريحه بأشلام

في آث غوبري - في عزازقة (الكاتب نوفبر2015)

الملحق رقم :15



صورة  لنصب تذكاري وفيه لوحة فنية للملك أحمد اولقاضي(الكاتب نوفبر2015)




صورة للكتابة الواردة في النصب التذكاري(الكاتب نوفبر2015)

الملحق رقم:16



صورة لضريح احمد اولقاضي- لمقام نحمذ اولقاضي(الكاتب نوفبر2015)




صورة لواجهة الضريح (الكاتب نوفبر2015)

الملحق رقم:17




صورة لقبر الملك احمد (الكاتب نوفبر2015)



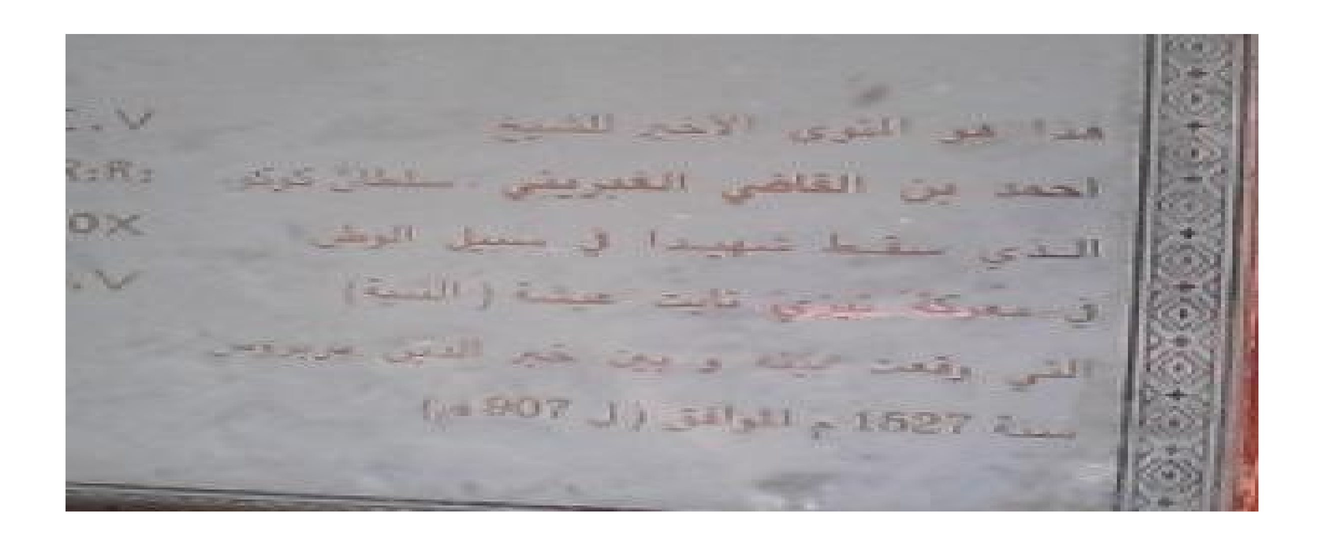

صورة للكتابة الواردة في قبر الملك احمد (الكاتب نوفبر2015)

الملحق رقم:18



لوحة فنية لاحدى المعارك (الكاتب نوفبر2015)

الملحق رقم:19




صورة للكتابة الواردة في قبر الملك أحمد (الكاتب نوفبر2015)

الملحق رقم:20



صورة للسور المحيط بمنزل احمد اولقاضي (الكاتب نوفبر2015)



صورة لقبر أحد عساكر أحمد اولقاضي(الكاتب نوفبر2015)

الملحق رقم:21



صورة للسور المحيط بمنزل احمد اولقاضي (الكاتب نوفبر2015)

الملحق رقم: 22

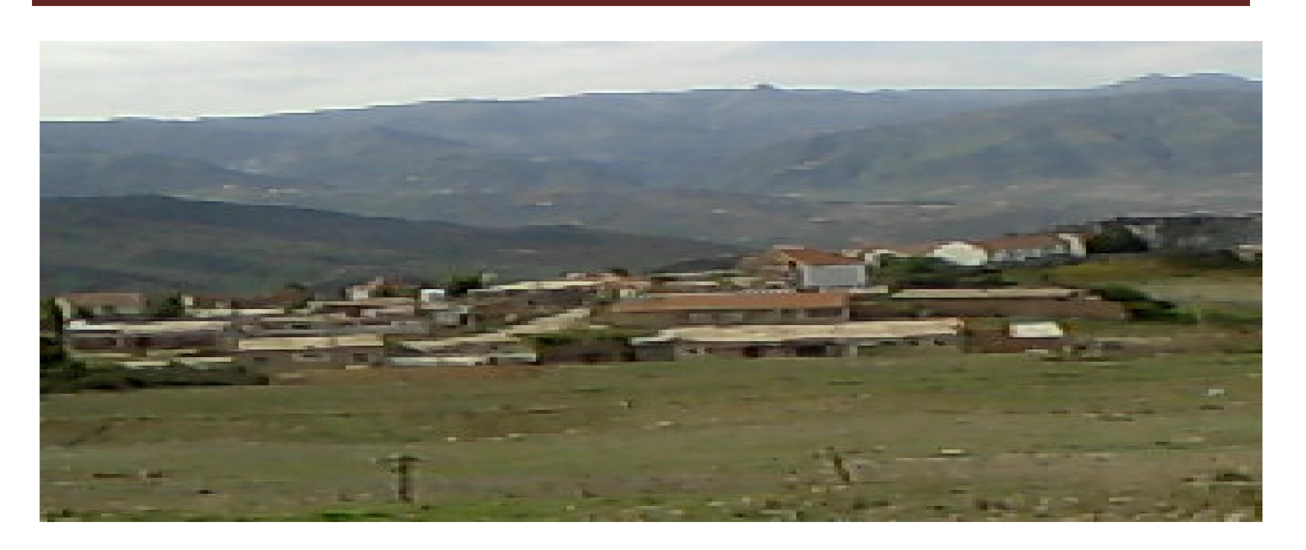


صورة لحقل الملك احمد (الكاتب نوفبر2015)

الملحق رقم: 23



صورة لقرية اورير (الكاتب نوفبر2015)



اصورة لقرية أشلام (الكاتب نوفبر2015)

الوثائق التاريخية

الوثيقة الأولى :

رسالة أهالي الجزائر إلى السلطان العثماني سليم الأول يناشدونه إبقاء خير الدين في الجزائر لحمايتهم من الغزو الإسباني. (925هـ/1519م)

المرجع: فاضل بيات ،البلاد العربية في الوثائق العثمانية ،النصف الأول من القرن 10هـ/16م، ص 384 و توجد ايضا في قصر توب كابي سراي، إستانبول رقم 6456

وهذا النص ترجمتها ص ص 151-151

412

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

**رئاسة الجمهورية**

**الأمانة العامة**



الجزائر في :

مهمة دفترى رقم 23 صحيفة 294 حكم رقم 633

بتاريخ / 23/ 10/ 981



اعطى الى كتخداء امير امراء جزائر الغرب في 22 شوال

كركر

حكم الى امير قوق ( كذا ) في لاية ا جزائر الغرب

ان حفظ حراسة و ضبط و صيانة ـ دار الجهاد ـ ولاية جزائر الغرب غاية مراد نا الهمايوني ،لذا ، فاننا نأمرك بمعاونة و مظاهرة امير امراء الولاية المزبورة احمد ـ دام اقباله ـ على الوجه الذى يراه المذكور مناسبا لحفظ و حراسة تلك الولاية على ما يرام و امرانا :

بالا تتوانى عن اظهار شهامتك و بسالتك المتأصلة في نفسك الشجاعة ، و ان تبدى جل اهتمامك سواء كان لدفع الاعداء و المعاندين ، او لحفظ القلاع و البلاد على الوجه الذى يراه المشار اليه ـ دام اقباله ـ مناسبا ، و عليك المقدور و السعى المشكور في الغيرة على دين سيد المرسلين المبين ، و فى سبيل الامور المتعلقة بعرض و ناموس السلطنة المقرون بسعادتنا .

صورة هذه ايضا ( اعطيت الى كتخداء امير امراء جزائر الغرب في 22 شوال ) كتبت الى الامير و( ـ ) امير جماس .

تعريب محمد داود التميمي

* لم يذكر اسم الامير ، بل ترك افراغا

**الوثيقة الثانية :**

حكم إلى أمير كوكو في ولاية جزائر الغرب

**المصدر**:الارشيف الوطني الجزائري ،مهمة دفتري رقم 23 صحيفة 294، حكم رقم 633، تاريخ 23-10-981 م

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة



الجزائر في :

مهمة دفترى رقم 23 صحيفة 349 حكم رقم 783

بتاريخ 981/12/18



كوكو

حكم الى امير قوق ( كذا ) في ولاية جزائر الغرب

سبق ان اصدرنا امرنا الشريف لك بشان معاونتك و مظاهرتك لأمير امراء دار الجهاد – جزائر الغرب فيما يتعلق بالحفظ على الولاية في هذا المهام، و كذلك في كافة الامور الخاصة بالدين المبين لسيد المرسلين و ان ذلك الامر لا يزال مقرا كما كان عليه و امرنا .

حال وصوله ، عليك ببذل المقدور في كافة الامور التى يراها المشار اليه مناسبة فيما يتعلق بالمحافظة على البلاد و نظرا لاستيلاء اسطول الكفار – خذله الله – على مدينة تونس، فقد تقرر ارسال اسطولنا الهمايوني في الربيع الخير .

و بناء عليه ، يجب تأمين القدر الكافى من الذخيرة للعساكر المنصورة ، كذلك ينبغى اعداد ما يمكن قدره من العساكر لأجل التحاقك معهم باسطولنا الهمايوني ، كما صدرت احكام شريفة بهذا الخصوص الى امير امراء جزائر الغرب ، فعليك باظهار مساعيك الجميلة لمعاونة المشار اليه في الامور التي طلبت منه .

تعريب : محمد داود التميمي

**الوثيقة الثالثة:**

حكم إلى أمير كوكو في ولاية جزائر الغرب

**المصدر:** الارشيف الوطني الجزائري، مهمة دفتري رقم 23 ،صحيفة 349 حكم رقم783، بتاريخ 981/12/18م

تعريب محمد داور

**رسالة محمد بن محمد القاضى ، للامبراطور شرلكان :**

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله

« الحمد لله الذى جعل الخلافة عصمة للانام • وحفظا لبقاء النظام • وركنا وثيقا على الدوام • وملجأ منيعا لنفوذ حكم الحكام • قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير •

أما بعد هذه المقدمة الحميدة المقاصد • المشتملة على السر فى حكمة البارىء والفوائد • ومكتوب وثيق كريم • وخطاب واضح جسيم • ورسالة خص بها الملك الامام • والسلطان الفاضل الهمام • والمرتضى لأيالة الأنام • البطل الشمام • الباسل الضرغام • صاحب الشهامة والاقدام • والضرب بالاسنة والحسام • الاظهر الاجود العماد • الاشهر الكهف الملاذ• الامضى السامى الشجاع • الحامى البطل• الكافل الاحفل• تاج الملوك الكبراء• وفخر السلاطين الامراء• الامجد الانجد المعلوم بالجلالة والعفاف • المعدود فى فضلاء الملوك الاشراف • ملك البرين • وحائز حكم البحرين • سيد ملوك الزمان • وناشر لواء الفضل والاحسان • السلطان الشهير • الحائز للفضل الكبير • الاظهر الاكبر • الامضاء الارضا الاحضا الاسنى الاسمى الاحمى • الالمع الامنع • ذو البأس المشهور • الملك أنبرضور • فاننا كتبناه اليكم من حصننا المصون • وملجئنا المنصور المشهور عند القريب والبعيد ، الشائع ذكره عند الاحرار والعبيد • كوكو • عن اذن ملكها القائم بجميع شؤنها • سيد زواوة وسلطانها • وأميرها وقاهرها • أبى عبد الله محمد بن محمد القاضى أيده الله• والى هذا• فأنا على ماتعلم من الجد والاهتمام •

301

**الوثيقة الرابعة :**

صورة الرسالة التي بعث بها محمد بن محمّد القاضي إلى الامبراطورشارلكان سنة1543م

**المرجع:** ارشيف سيمانتكاس، نقلا عن توفيق المدني،حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا ص 302

خريطة تبين تفصيل المعركة الجزائر

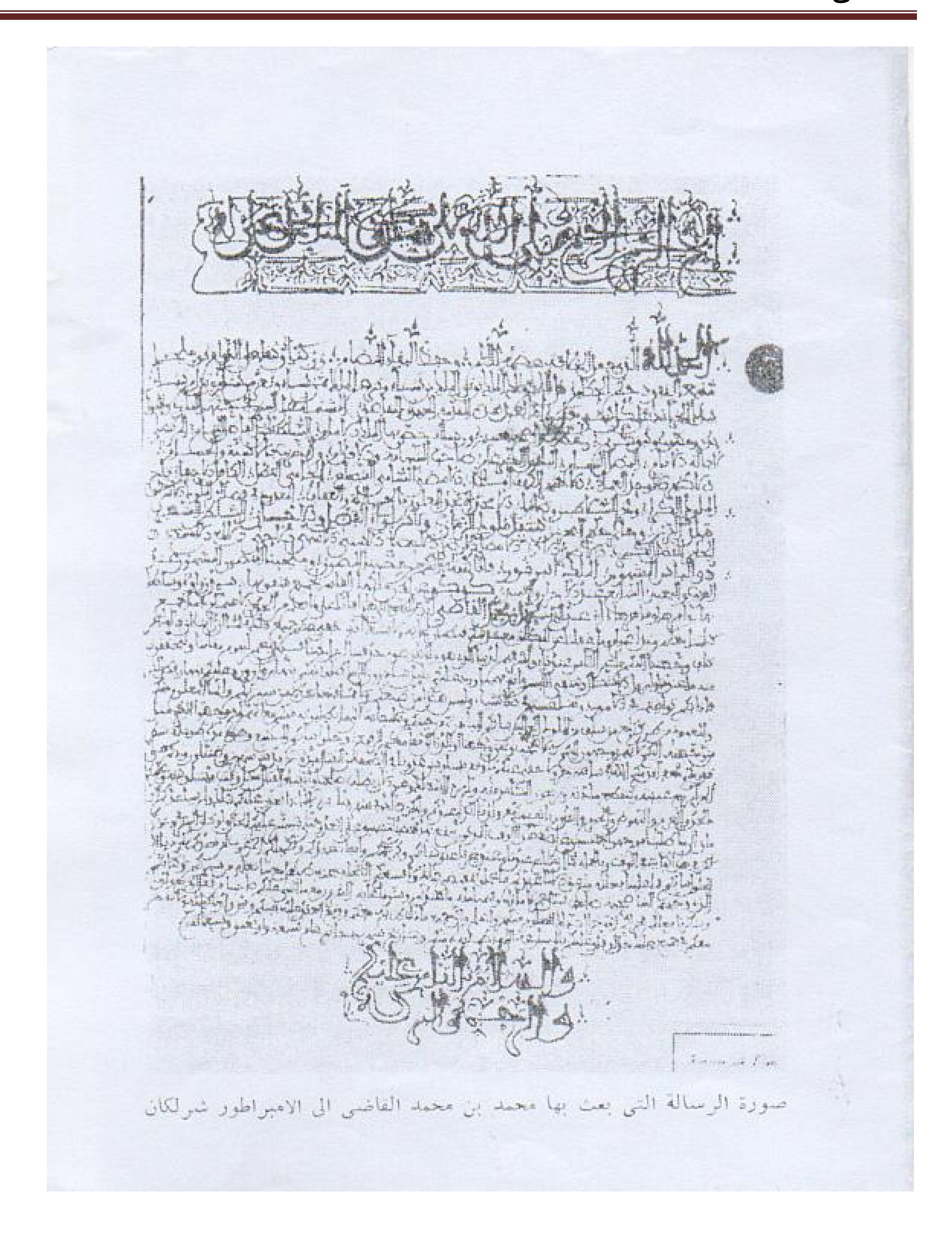
فيما يجمع كلمتنا معكم منذ أعوام • وما غفلنا من المكالمة مع خديمكم قبطان بجاية • ولا نشك فى أنه خفى عنكم جميع ذلك • فلما رأينا أن ذلك غير كاف وجهنا اليكم باعز الناس عندنا • وأشرفهم لدينا • الذى هو ولدنا وضوء حدقتنا ابن أخينا سيدى عمر • ليقوم مقامنا • وتتحققون منه ما عندنا • وليـزول الاشكـال وينتهى اللبس • وانه مهما ورد عليكم بليل تبادرون الى ما طلب منكم بنهار • وان ورد عليكم بنهار فكذلك • فاذا بكم توانيتـم فى الامور • وتقاعستـم فى الاشيـاء • وليس هـذا من طبعكم • ولا مما نتعاهده من سيرتكم • وانما المعلوم منكم • والمعهود من طرقكم مع من سلف من الملوك الخالين ببابكم المبادرة من حينكـم بالاجابة الى ما يطلبونه منكم • مع أنهم لم يوجهوا اليكم مثل من وجهناه اليكم • لأنهم يوجهون اليكم الاصحاب • ونحن وجهنا أولادنا الى مقامكم الرفيع وحلوا ببابكم المنيع • وهذه مدة طويلة ننتظر قدومكم معه أقدمكم الله فى ساعة خير • ولا خفى عنكم ما وقع بيننا وبين عدونا فى الصيف من القتال مدة تزيد عن شهرين • وظننا ورودكم على الجزائر مع غيبتـه (١) • وتنقطع مادته • وتريحون الناس منه • ولم يرد اللـه ذلـك • هو الآن يطلب صلحنا • وأبينا • والقتال كل وقت بيننـا وبينـه • وعليكم بالجد والعزم • والنهوض والحزم • والقدوم بنفسكم مع ولدنا الذى عندكم • وليكن ذلك فى شهر يناير • الا اذا تعذر عليكم ذلك • ولم يساعدكم الزمان الى ما طلبنا **فوجهوا خمسين غرابا (٢) فى هذا الوقت**

---

(١) يشير الى خير الدين الذى كان غائبا عن الجزائر •

(٢) نوع من السفن الحربية الخفيفة •

302



صورة الرسالة التي بعث بها محمد بن محمد القاضي الى الامبراطور شرلكان

المذكور (1) ليقع بها بعض التضييق على العدو • حتى يتيسر عليكم الحال • ولوكان السر فى وجودكم • لكن فى هذا الكفايـــة فى الوقت • وبالجملة لما أن شاع عندنا وعند غيرنا علو شأنكم • وكبر همتكم • وايفاء عهدكم • وتكميلكم المرغوب من قصدكم • بادرنا الى الحلول ببابكم • فما علينا فعلناه • ولم يبق الا ما عندكم • فاعملوا بمقتضى ذلك • ولا يسعكم التخلف عنه طبعا • مع ما نعلمه من سيرتكم • وكتابكم الـــذى وجهتم الينا صحبة صاحب سيدى عمر تأملناه • وفهمنا منه ما عندكم • وسرنا غاية السرور • مع ما أثنى عليكم ساجينا من فعل الخير مع ولدنا • وشكرنا فعلكم • فجزاكم الله خيرا • ان ذلك المعلوم عنكم • واعلم أن جميع ما تلفظ به معكم • ووقع العقد عليه بينكم وبين ولدنا قبلناه • ولا نقصر معكم فى جميع ذلك جل أو قل وعليكم بالمسارعة الى ما طلبنــاه منكم • وبتاريخ شهر دجامبر عام تسعة وأربعين وتسعمائة • والسلام التام عليكم والرحمة والبركة • » اه

**رسالة عمر بن أحمد لحاكم بجاية :**

« الحمد لله والصلاة على رسول الله •

**من عمر بن أحمد اصلحه الله •**

الى القايد المكرم الوجيه المعظم قبطان بجاية شنيور دون الويس ، سلم عليكم • واليه • اعلم وان نحن على العهد الاول • وعلى المحبـــة وتجديد السلطان • ولا بطل مشورتن الاولى • الا الناس يضحك فينا • اولا اعلش نعمل آلان • ان كان انتما ( أنتم ) على العهد الاول أرسل

(1) يعنى ينـاير سنة ١٥٤٤.

304

## الوثيقة الخامسة :

رسالة عمر بن أحمد لحاكم بجاية القبطان شنيور دون الويس

المرجع توفيق المدني،حرب الثلاثمائة سنة،ص306

( أرسلوا ) للسلطان يعجل علينا بالعمارة، أو نعمل ( ونعمل ) معكـــم عقدة ترضيكم وتصركم ( وتسركم ) والذى حبيـت فى خاطركـم تعمله اعجل بالعمارة قبل أن يفوت الحال فينا وفيكـم، واذا بغيـت كتوب عم ( عمى ) ... ترسلهم للسلطان تكتبوهم، واعلـم لنـا ( اعلمنـا ) بالسلطان اين هو، وبالدوك دالبة، واعلم لنا بالبرنسـب أين هـــو وبالبرنسب ذويسة وبالقباطن كلهم اين كانوا ونحن قلن ( قلنا ) ما يغفلتش على الجزائر لان هى تضرنا وتضركم، وايضا بلغنا ان خير الديـــن وصاحب فرانسية حاصروا مينة وانكسروا وهـل شتى فى تلك البلد . واعجلوا لنا بالجواب وبما كان لنا بالاخبار وبما فى قلوبكم والسلام، » ا هـ .

رسالة أخرى من عمر فيها حقيقة رائعة

وهناك رسالة ثالثة، أرى وجوب اثباتها، لان الاقطاعى يؤكـد فيها بالنص، أن « بلاد المسلمين » كارهة لهم ولاعمالهم ومساعيهم . واليـك بنصها وبرسمها :

« الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد

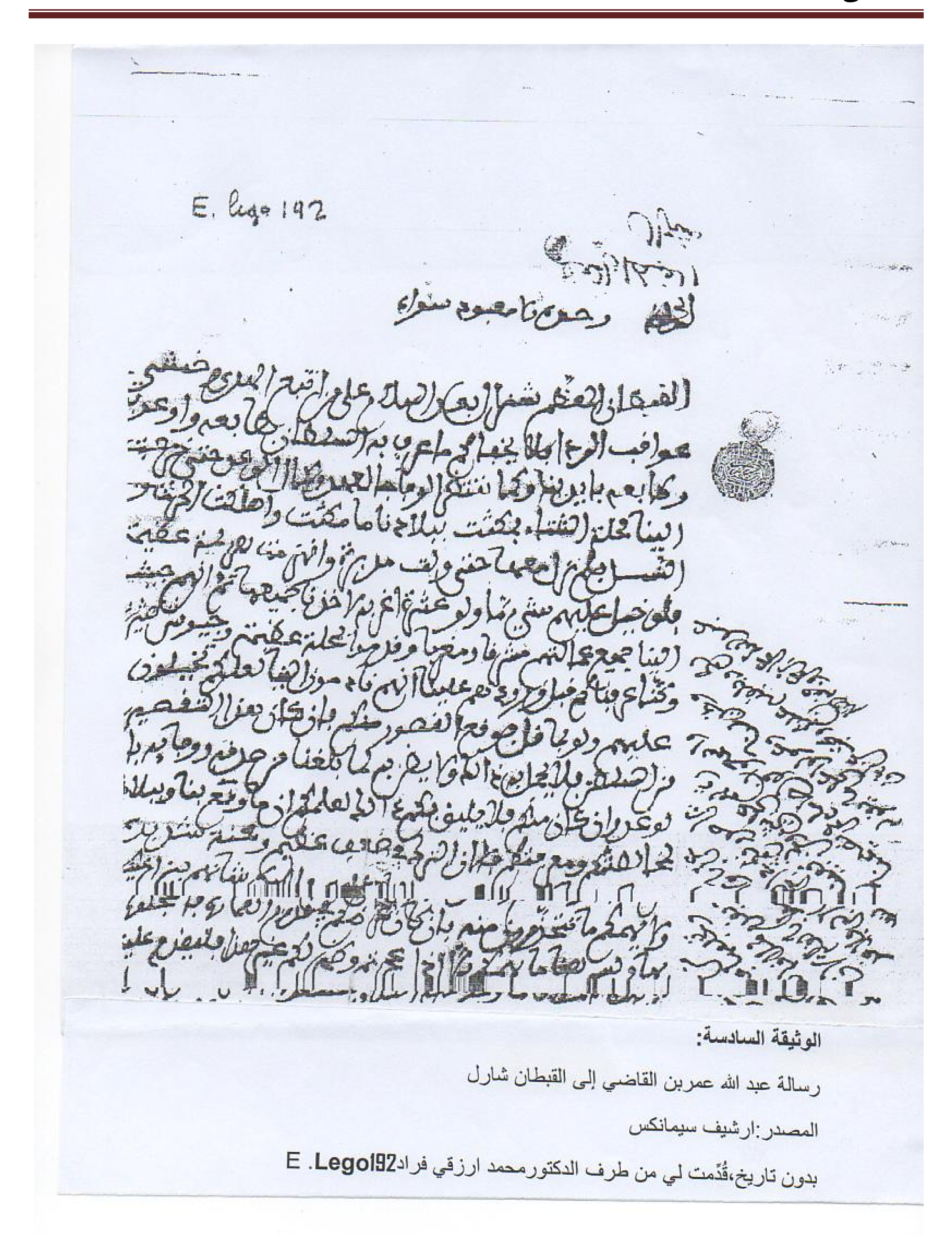
عمر بن احمد اصلحه الله .

الى سنيور دون الويس قبطان بجاية أكرمه الله ، سلام عليكـــم والسؤال عن جميع أحوالكم، من صاحبك وخديـم السلطان لنبر ادور ( الامبراطور ) وخديمكم عمر بن أحمد بعد السلام عليكم ، واليه ، نعلمكم بان العمارة الذى جاءت للجزائر على ذمة بجاية وهم ستة الاف ترك، وهم قاصدين الى بجاية، ماينتظر الا العيد وصلحنا أحنا واياهم،

306

الحمد لله والصلاة على رسول الله
من عمر بن أحمد لطفه الله إلى الغاية المكرم
الوجيه المعظم [illegible] تسنوا [illegible] والى
بن سلام عليكم والله [illegible] على العهد [illegible]
وال وعلى المحبة ونحن في السلطنة [illegible] مشور
من الآن [illegible] الناس [illegible] بيننا أو [illegible]
نعمل [illegible] وإن كان أنتم على العهد والى وأرسل
للسلطنة [illegible] علينا بالعمارة أو نعمل [illegible]
[illegible] ونصرتم والذي بينه وبين [illegible]
كم تعمله أعلمنا بالعمارة قبلا ويكون الحال
بيننا وبينكم وإذا تغيب [illegible] عم وسيدي [illegible]
للسلطنة [illegible] وأعلم لنا بأن السلطنة [illegible]
هو وبالدخل في البلد وأعلم لنا بالعمارة التي عمل
عام أول ابن [illegible] خرجته وأعلم لنا أن [illegible]
نسب ابن هو [illegible] وبالأخبار [illegible]
ابن كان [illegible] شرعا الجزائر [illegible] انظر
[illegible] وإنا بلغنا أن [illegible] وصاحب [illegible]
نسبة [illegible] مصيبة وانكسروا [illegible]
النقلة واعطوا لنا بالجواب [illegible] من الأخبار [illegible]
ذلكم والسلام

(رسالة عمر بن أحمد [illegible])


E. Lego 192

**الوثيقة السادسة:**

رسالة عبد الله عمربن القاضي إلى القبطان شارل

المصدر :ارشيف سيمانكس

بدون تاريخ،قُدّمت لي من طرف الدكتورمحمد ارزقي فراد E. Lego192

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

حفظك الله وأعزك ... ولدنا البار الحظي سيدي

عبد الملك سلام عليك ورحمة الله وبعد كتبت لك ليس

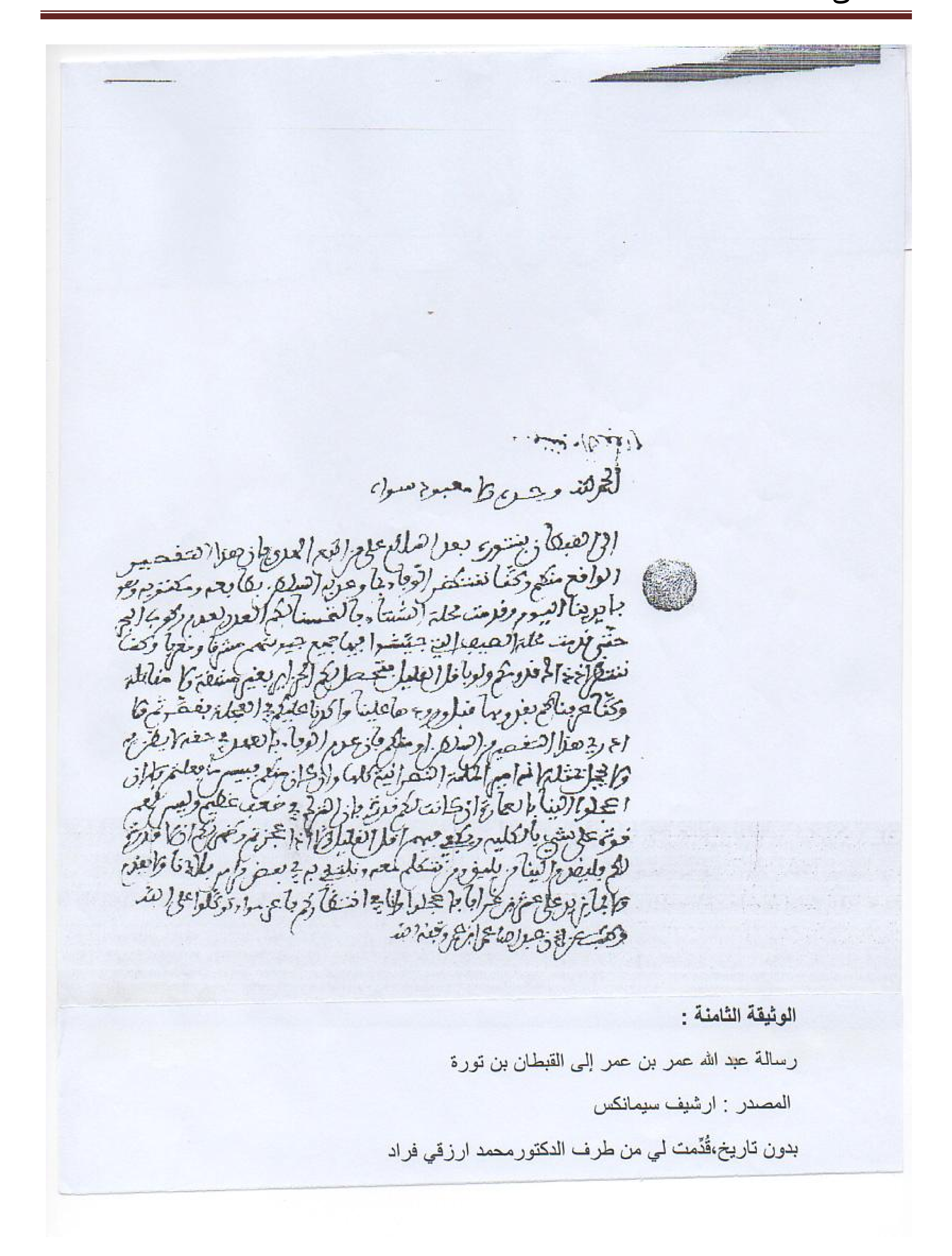
[illegible]

**الوثيقة السابعة :**

رسالة عمر بن عمر إلى إبن أخيه عبد الملك

المصدر: ارشيف سيمانكس

بدون تاريخ،قُدّمت لي من طرف الدكتورمحمد ارزقي فراد192. E

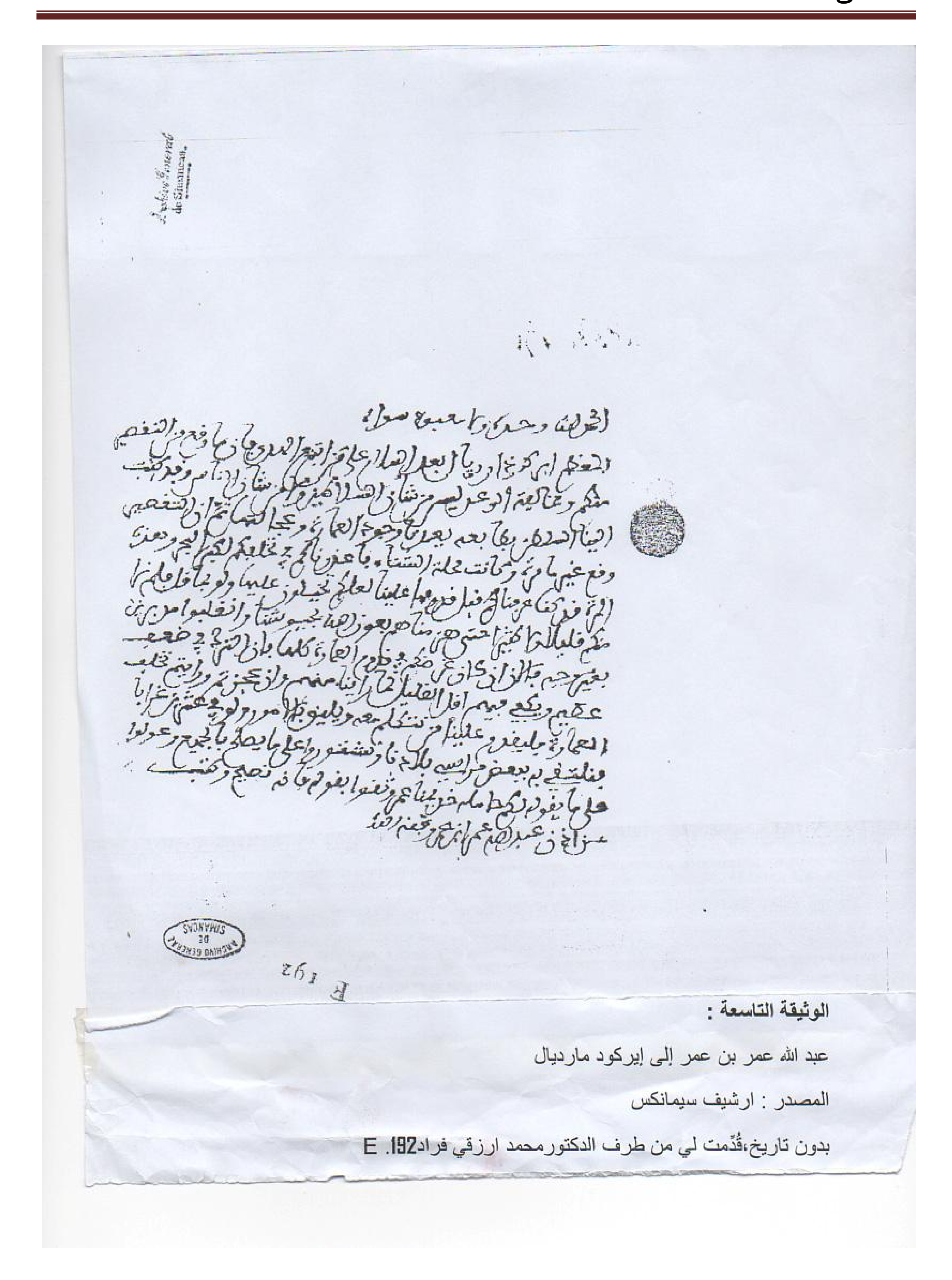


**الوثيقة الثامنة :**

رسالة عبد الله عمر بن عمر إلى القبطان بن تورة

المصدر : ارشيف سيمانكس

بدون تاريخ،قُدّمت لي من طرف الدكتورمحمد ارزقي فراد



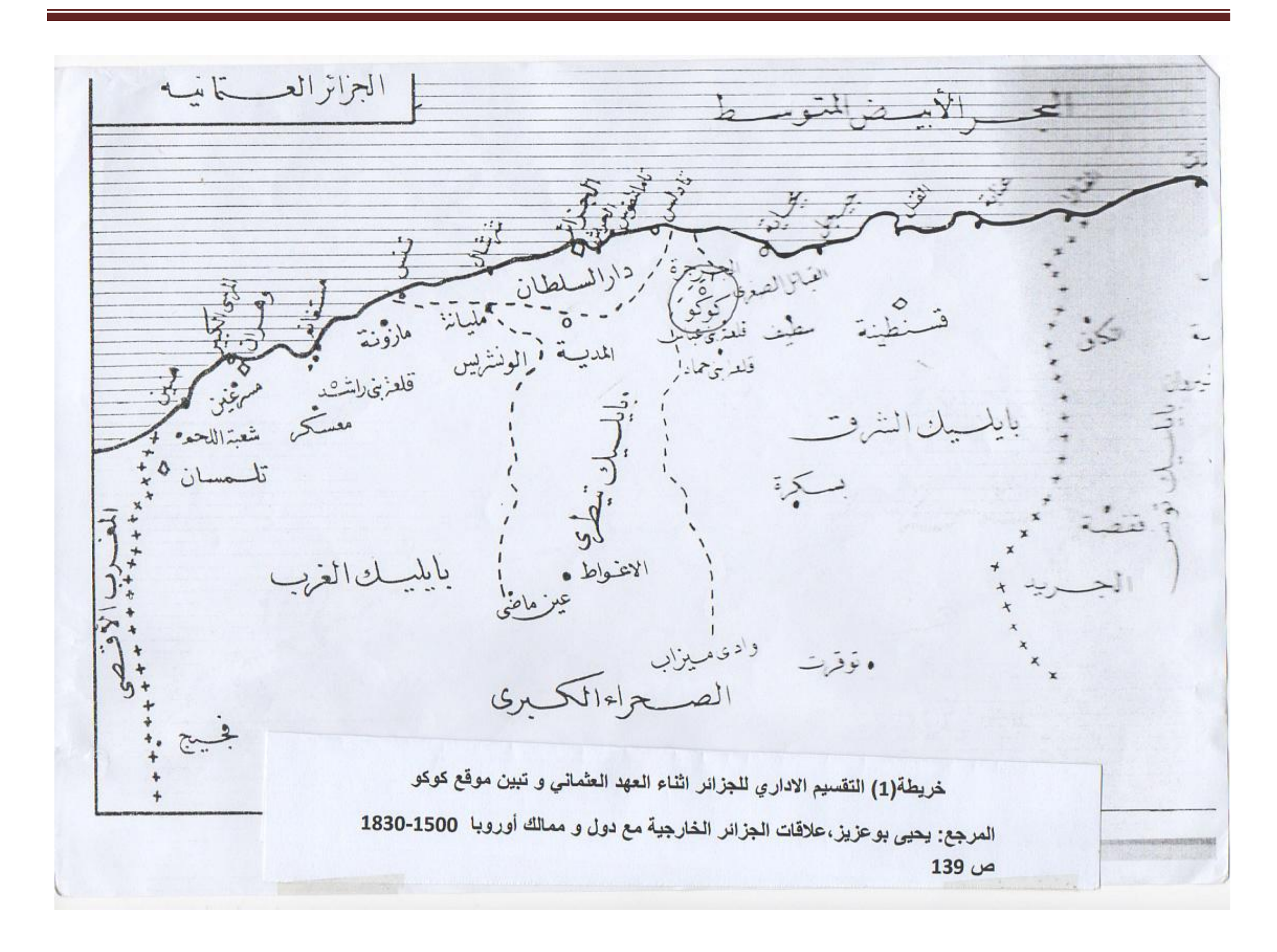
**الوثيقة التاسعة :**

عبد الله عمر بن عمر إلى إيركود مارديال

المصدر : ارشيف سيمانكس

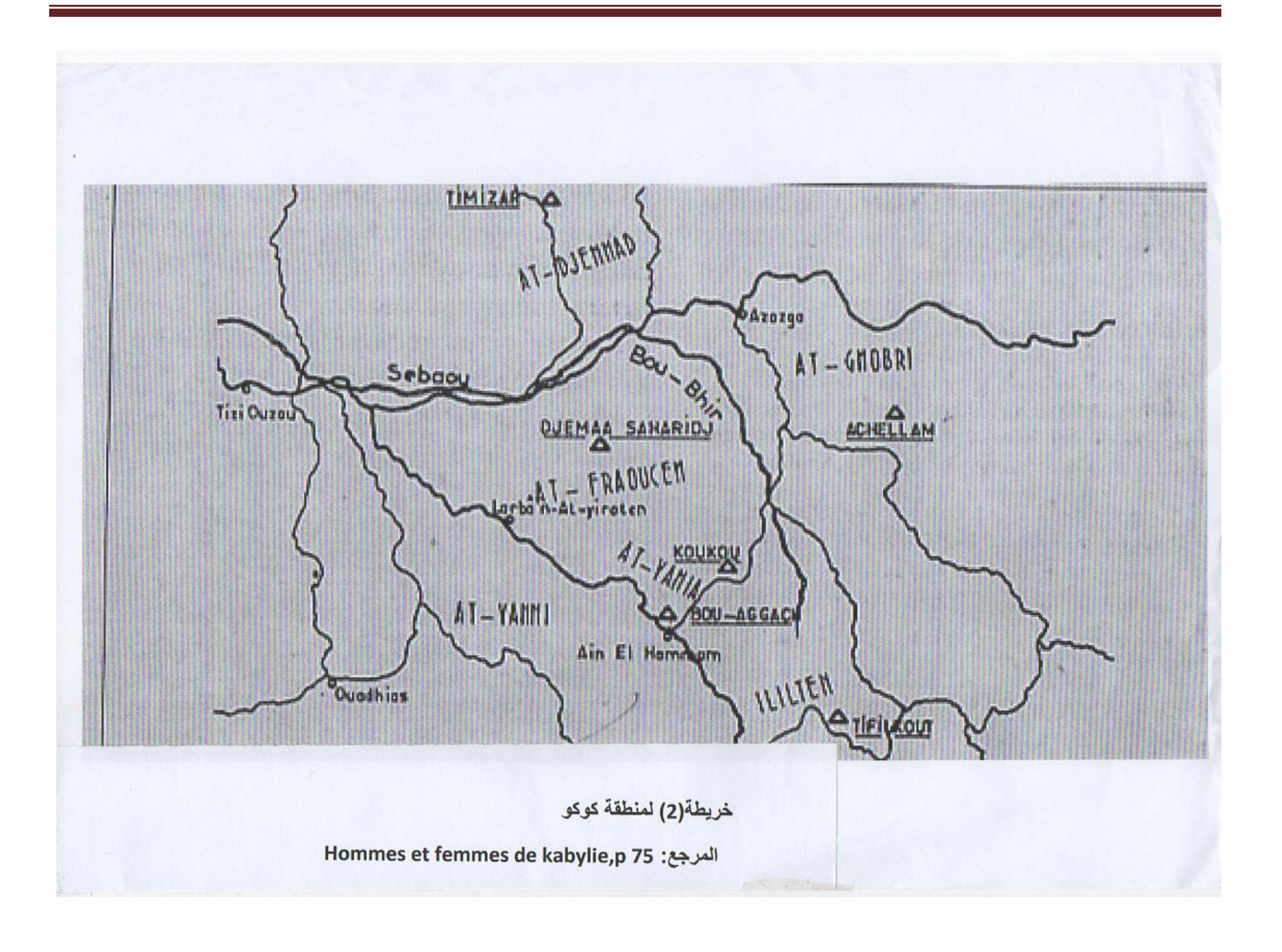
بدون تاريخ،قُدّمت لي من طرف الدكتورمحمد ارزقي فراد192. E

# الخرائط




**خريطة(1) التقسيم الاداري للجزائر اثناء العهد العثماني و تبين موقع كوكو**

**المرجع: يحيى بوعزيز،علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوروبا 1500-1830 ص 139**




**خريطة(2) لمنطقة كوكو**

**المرجع: Hommes et femmes de kabylie,p 75**




خريطة(3) خريطة منطقة القبائل أهم قابئلها

**الملخص:**

يتمثل موضوع هذه الأطروحة في:مملكة كوكو ونظامها السياسي و العسكري.طرحت فيه الإشكالية التالية:هل بإمكاننا إعتبار التنظيم الذي شكله آث القاضي مملكة ؟ وفي أي سياق تاريخي يمكن حصر مملكة كوكو،في تاريخ منطقة القبائل خاصة وتاريخ الجزائر عامة؟

تطرقت بالتفصيل ،الى اصل وتأسيس المملكة والمراحل التي مرت بها في الباب الاول.والى التنظيم السياسي والإقتصادي والثقافي في الباب الثاني،أما في الباب الثالث إستعرضت علاقات المملكة مع الأتراك و الإسبان وآث عباس.

وتوصلت الى نتيجة مفادها ،أن ما أسسه آث القاضي يمكن إعتباره مملكة.

**Agzul** :

Asentel n tezrewt-a : Tagelda n Koukou d unhil-is aserti d userdasi, deg-s tamukrist-a:Ma nezmer ad nefk I tuddsa Isbedden AT-LQADI isem n tgelda? Dacu I d asatal amazray I nezmer ad nsers tagelda n Koukou deg umezruy n Lezzayer sumata, ladɣa Tmurt n Leqbayel .

Mmeslay-ɣ-d geg uḥric amezwaru ,s telqayt ɣef tadra d usebded n tgelda d talliyin iɣef tΣedda.Deg Uḥric wis sin ,mmeslay-ɣ-d ɣef tuddsa tasertant d tdamsant d tdelsant,ma yella deg uḥric wis krad,selḍ-ɣ-d assaɣen n Tgelda d Yiterkiyen d Spenyul d AT Σabbas. uwḍ-ɣ ɣer tsegrayt belli ayen I sbedden At- Lqaḍi d tagelda.

**Résumé**:

Notre thèse s'intitule : Le Royaume de Koukou et son organisation politique et militaire.

Dans ce thème on a posé la problématique suivante : peut-on considéré le pouvoir constitué par les Ath-Lqadi comme un royaume ? Dans quel contexte historique peut-on mettre le royaume de Koukou dans l'histoire de l'Algérie en général et la Kabylie en particulier ?

Dans la 1ère partie, on a abordé l'origine, la fondation et les étapes qu'a connues le royaume. On a traité dans la 2ème partie l'organisation politique, économique et culturelle.

Dans la 3ème partie, on a traité les relations du royaume avec les Turcs, les Espagnols et les A th Abbas.

Au terme de cette étude, on a constaté vraiment, que l'autorité qu'a constitué les Ath Lqadi, on peut le considérer comme un royaume, selon le contexte historique de cette période.